عصير الكتب
fb.com/Book.juice
Facebook.com/groups/Book.juice

هذا الكتاب حصرى على جروب عصير الكتب

انضم الينا لتحصل على كل ماهو جديد

عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

هذا الكتاب حصرى على جروب عصير الكتب

انضم الينا لتحصل على كل ماهو جديد

follow me : facebook.com/OmaR.1.Bs

ليلة كغيرها من ليال شتاء لم تشتد برودته بعد...ليل بارد أسدل ستائر ظلامه منذ ساعات حتى قارب على الثانية عشر أو يزيد...طغى بسكونه على من أظلهم قمره من العباد...خيم بصمته على من ضمتهم هيبته من البرية...وهو بين هيبة السكون وبلاغة الصمت قد أحاط الوجود بذلك السياج من الجمال الهادئ...نسائم باردة متلاحقة كأنها المتسابقة لا ترى لتلاحقها نهاية ولا تجد لسباقها هدف...عميت فى تلاحقها عن النهاية أو ضلت فى سباقها الهدف فما زالت تنعم بتلك القدرة الربانية على عزف ذلك اللحن الطبيعى الوليد للكون من أثر لقائها بتلك الأوراق المتراقصة لدوح احتمت بأغصانها من برودة آخذة فى التزايد...حفيف رقيق اعتادت عليه مسامع بنو البشر فى ذلك الوقت من الليل لهذا الوقت من العام...بدر مكتمل الاشراق..جميل المحيى..وسيم الاطلالة..وشديد اللمعان...تراه ضاحكا متابعا من علياءه تلك الطبيعة الخجولة فى ليل تراه ربيعيا وان تواجد فى الشتاء...توسط كبد سماء طغى جمال صفائها على رهبة ظلامها فأنعم من بين أحشائها بشعاع فضى اكتسى لمسة ملحوظة من ابداع الخالق القدير على وجود استعاض برحمة نوره عن بعض ما فقده من الدفئ...اكتملت اذن تلك الصورة لطبيعة دافئة سكنت أطيارها فى وكناتها باخلة على آذان طواقة لتغريدها مما اشتاقت اليه...هدأت الطرق كثيرا عما كانت عليه خلال النهار الاَ من حركة بسيطة لرواد بين جنباتها...البعض عائد الى مبيته بعد يوم طالت ساعات عمله...بعض آخر تراه متريضا كاسرا حاجزا من الملل فى جلسات البيوت...وبعض أخير يراقب البعضين ساكنا فى شرفاته مستمتعا بتناسق الهى كاس للوجود...لعل أكثر ما دعى الى التأمل ذلك الصنف من قاتنى الشوارع من غير بنى الانسان...بين تلك الفروع لتلك الشجرة ترى صداقة تجسدت فى أبهى حللها بين مجموعة من الحمائم ما بين الأربعة والستة...استتروا بدفئ صداقتهم وأوراق شجرتهم من

برد مشرف على الشدة...وتحت ذلك السقف لشرفة صغيرة علاقة أخرى جلية متناتها فى تلك الصحبة من القطط بنفس العدد تقريبا...ضمهم حديث يفهم السامع لمواءه ما حواه من حنان متبادل وان لم يظفر بتفسير للكلمات...لكنه عمق المعنى المُغنى عن وضوح الملفوظ من الحوار...

صورة متكررة تعيد أقلام الأقدار رسمها كل ليلة وسط متابعة من تلك الشرفة فى ذلك المبنى المتداعى من مبانى القاهرة...والتى لا يؤنس وحدتها الا ذلك الشيخ المشرف على أواسط سبعينات عمره كما تؤنس هى وحدته فكانت صداقة من نوع فريد بين ذلك العجوز وشرفته الضيقة...صداقة طالت لسنوات لم تدم بين كثير من أصدقاء البشر...لم تعهدها كثيرا معيشة الأحياء من الآدميين بين ولد لآدم ونظير له من غير ولده...صانها المكان المتمثل فى شرفة صغيرة ضامة للبسيط من المتاع كما صانها الانسان المتجسد فى ذلك المسِّن...هاجم الشيب أكثر من موضع فى رأسه...واحتلت التجاعيد أكثر من درب فى وجهه...ذلك الوجه الذى يضم فى يمينه أثر لجرح قديم لم تملك السنون القدرة على محوه...ظهر حنته هموم حملها لعقود...عينان يظلهما هذان الحاجبان ذوو الشعر الأبيض وقد نظرتا الى لا شئ فى ذلك الافق المظلم...يدان استندت اليسرى منهما الى قرينها ذلك العكاز الذى عهدته منذ أعوام...أما اليمنى فكانت ممسكة بذلك الكوب الصغير الحاوى لشراب أعده لنفسه بنفسه مستعينا به كعادته على ملل كل ليلة...وما بين يمنى اليدين ويسراهما استوت تلك المنضدة الصغيرة التى باتت معلما لتلك الشرفة الضيقة لتلك الشقة الصغيرة لذلك المسكن البسيط...منضدة صغيرة حملت المئات من الأوراق فى ترتيب معين يعلمه كاتبه الذى استعد لاستكمال ما سطرته أقلامه طيلة عشرين عاما أو يزيد...تسطير لأحداث أراد صاحبها تخليد سيرته وسيرة من رافقوه رحلته الطويلة فيما مضى من العقود...حملت حلو السعادة كحملها لمر الأحزان...حوت أزهار الهناء كاحتوائها أشواك العذاب...بطل واحد تسيد الأحداث...غرَّته حلاوة السعادة فكان رد الأيام بمر الأحزان...صبر على ألم الأشواك فكان جزاء الأقدار بأزهار فاح أريجها بالهناء...مغرور تارة وصابر أخرى...سعيد تارة وأخرى بالعذاب مكتوى...وهو بين تلك التارات مصمم على الاستمرار قويا فى دنيا التناقضات...هى اذن الطبيعة المعتادة لحياة متقلبة الأهواء بسكانها من بنى الأنسان...لكن اللاطبيعى من تناقض الأحداث وتضاد ردود الأفعال كان السر فى تدوين هذا العجوز لما عاشه طيلة أعوام...أيام يلائمها وصف الجميلة كان فيها للأفراح صديقا...وتلك الليالى التى التصق بها وصف التعيسة لازم فيها الأشجان رفيقا...أيام وليال سطرها يراع أقداره فى صحيفته غير مستقرة الكلمات...غير مضمونة العبارات...غير مأمونة المضمون والمحتوى...سطور جسدته ملكا على عرش النجاح...أخرى صورته عبدا ذليلا فى بلاط الفشل...فصول نصبته أميرا على كرسى الفلاح...أخرى جعلته عنوانا لفاقدى الأمل...وهو بين كلمات السطور وعناوين الفصول يسير وحيدا أو مع مرافقين...منبوذا أو مع محبين...تانها أو مع هادين...أخذ من الدنيا سعادتها وتعاستها...نال من الحياة دمعتها وابتسامتها...جنى من الأيام زهرتها وشوكتها...

رجل أوشك عمره الملئ بالتناقضات على الانقضاء...اقتربت حياته الملينة بالمتضادات من النهاية...وهو بين كل ذلك لم يجن من حصيلة ما زرعته له الأقدار الا كتابا ضخما من ذكريات طغى عليه تراب القدم...أفسد من خطوطه ما أفسد...نال من كلماته ما نال...أتلف من صفحاته ما أتلف...لكن محتواه الحامل لعشرات السنين ظل دوما ساكنا لذهن ذلك الشيخ الطاعن...

عش ما شئت فانك ميت...صاحب من شئت فانك مفارقه...وافعل ما شئت فكما تدين تدان...يعيش المرء من الزمان أعمارا...يصاحب من البشر أخيارا وأشرارا...يرتكب من الفعال جهرا وأسرارا...لكن المنية تضع حد النهاية لما عاشه...الفراق يسطر آخر سطور قصته مع من صاحب...ودائما وابدا يبقى رد الدين لما فعل نافذ القضاء واجب التنفيذ...

كلمات طالما رددها لسانه المعايش لمعناها...طالما نبض بها قلبه الخبير بمحتواها...منهاج ودستور سارت على شريعته قدماه طيلة عقود...فكانت تلك الكلمات جديرة بأن يضعها فى صدر مذكراته تلك...مشيرا لقارئها عما تحتويه تلك الرحلة الطويلة من أحداث.

انشغل قليلا عن كتاباته بتلك الصور التى تجسد مراحل عدة من أيامه...فكانت بحق نعم المعين له على تذكر ما أنسته اياه السنون... ما أجملها تلك الصورة التى ضمته وأباه طفلا ينهل من حنانه بلا كلل منه...ما أروعها هذه الصورة التى جمعته وامه صبيا يحصد من عطفها بلا ملل منها...ثم هذه صورة أخرى لأصدقائه الراحلين الى عالم آخر...أخرى لآخرين قد باعدتهم الأيام...صورة من هنا وأخرى من هناك...صورة مازال على ذكرى لها والأخرى قد أصابه منها النسيان...أناس باقون وأخر راحلون...أناس مجاورون وأخر مهاجرون...وهو على حالة من التغير النفسى اللحظى مع كل نظرة...يبتسم لاحداها ويدمع لأخرى...يضحك لاحداها ويطأطأ الرأس لأخرى...يغنى ما غنّاه لسانه قديما مع من فرقتهم الدروب...يدعو لهؤلاء الراحلين الى حياة الأموات...وهو بين الغناء بصوت مبحوح والدعاء بصوت مبتهل لا يملك للمفارقين أو الراحلين الى ذكريات جمعتهم قديما...

غاص كعادته من جديد فى يم تاريخه ذلك مسجلا ما كان فيه...يتنقل بين سبل التعبيرات النفسية مع كل موقف تخطه أحبار قلمه...تنقل لا يختلف كثيرا عما كان فى مشاهدته صوره...تراه أمواج النسيم ذا وجه كاشف عن ثغر ضاحك عند تدوينه لأحد نجاحاته فتشاركه فى تناغم...ثم تصمت حين تلحظه قد سطر أحد المواقف بدموع عينيه...اعتادت منه لياليه ذلك التناقض فى مشاعره منذ زمن...باتت جزءا منه وبات جزءا منها...امتدت به ساعات سهره كثيرا فى تلك الليلة حتى قبيل الفجر بما يناهز الساعتين...افاق من كتاباته وتأملاته أخيرا...اتجه بناظريه الى هذين العقربين المتحركين فى هدوء متلازمين تارة ومتباعدين أخرى...تضمهما تلك الساعة البنية المعلقة هناك على جدار غرفته والتى باتت من ضمن اصدقائه الدائمين فى وحدته التى ألفها...

-آه...انها الثانية بعد منتصف الليل...قد سرقت ذكريات ماضيك لحظات حاضرك كعادتها يا (وحيد) !

قالها محدثا بها نفسه تصاحبه ابتسامة تجمع بين سخرية مما آل اليه وحزن على ما هو عليه...انحسرت كل أمانيه الآن فى عدة ساعات من نوم هادئ...لملم أوراقه واضعا اياها فى مسكنها العتيق المتمثل فى ذلك المظروف القديم...آنسها بقلمه بين طياتها شريكا لها فى مبيتها الورقى ذاك...وضعهم جميعا على طاولته القديمة كما كانوا الى جوار كوبه الذى بات فارغا...عاد مستندا بظهره الى ظهر مقعده القديم الذى طالت جلسته عليه بعد كسله عن الترجّل الى سريره القريب...غطى نفسه بغطاءه الذى كسى قدميه بعد أن أمدّه الى ما تحت عنقه بقليل ثم ذهب فى رحلة طويلة من نوم عميق عامر بالأحلام!!!!

كان ضحى بلا مميز من تغيير كبير فى جوه الحار فى تلك الفترة من الثلث الأول من سابع شهور العام...فقط زيادة طفيفة فى شدة شمس ذلك اليوم عن سابقيه...كان ذلك حال الأغلب من أنحاء المملكة المصرية مترامية الأطراف...شملت تلك الموجة الحارة ذلك الحى الثانى من أحياء الأسكندرية...احتمى أهلها بالبسيط من بيوتهم من حرارة مشرفة على أقصى درجاتها فى ساعة ما قبيل الظهيرة...هو اذن استمرار لسلسلة من أيام حق الحاقها بالصيف...يوم صيفى معتاد جوه الا من تغيير طفيف...مألوفة أحداثه الا من منتظر مأمول أن يكون مأمون العاقبة...استوت شمسه على عرشها باعثة لأهله أملا محملا بالخوف من ضياعه...رجاء مشابا بالقلق من فقده...لا يملكون وهم البسطاء الا دعاء لأبنائهم واخوانهم المجاهدين فى فلسطين...أناس اقتصرت أملاكهم على قلب مرتجف آمل فى نصر...لسان مبتهل متطلع الى غلبة...دهر طويل عاشوه تحت امرة الغاصب من المحتلين...الظالم من الحاكمين...استمر عقودا شهدت ما سطرت بعضه أقلام المؤرخين من بطولات لشهداء كانت أرواحهم أقل الأثمان لحرية أرادوها لأوطانهم.

بالعودة الى منتصف أربعينيات القرن العشرين حيث بداية موجعة لأحداث كانت أكثر ايلاما من بدايتها...٢٩ نوفمبر من عام ١٩٤٧...كان يوما مشهودا فى تاريخ أمة أهان كبريائها فى التالى من العقود شرزمة من أحفاد القردة والخنازير...ولم لا وفيه صدر ذلك القرار الموصى بتقسيم دولة فلسطين العربية الى دولتين؟...اعطاء من لا يملك لمن لا يستحق...لكنه الأمر الواقع لقرار أراه ان صدر فقد أصدره ضعف العرب قبل أعدائهم...

تباينت ردود الأفعال بالطبع عقب قرار التقسيم ما بين ترحيب يهودى صهيونى بتملك ما ليس لهم...واعتراض عربى فلسطينى بضياع ما كان لهم...احداث تصاعدت حدتها فى التالى من الشهور تصب كلها فى مصب واحد...مواجهة قريبة مرتقبة بين طرفى النزاع...تتابعت الأيام وقررت الحكومة البريطانية انهاء الانتداب البريطانى فى منتصف الليل بين ١٤ و ١٥ من مايو ١٩٤٨...وفى الساعة الرابعة بعد الظهر من ١٤ مايو أعلن المجلس اليهودى الصهيونى فى تل أبيب أن قيام دولة دولة اسرائيل سيصبح سارى المفعول فى منتصف الليل...وقد سبقت هذا الاعلان تشاورات بين ممثل الحركة الصهيونية والادارة الأميركية دون أن تعد حكومة الولايات المتحدة الاعتراف بالدولة...أما بالفعل فقد قام الرئيس الأميريكى (هنرى ترومان) رسالة الاعتراف باسرائيل بعد اعلانها ببضع دقائق وكأنه كان بانتظار

الاعلان...أما التحاد السوفيتى فاعترف باسرائيل بعدها بثلاثة أيام...هو الأمر الواقع اذن...شوكة يهودية وسط أزهار عربية...حجر صهيونى بين لآلى تحمل هوية أبناء اسماعيل...قامت دولة اليهود بين أظهر الأوطان العربية ولا حول ولا قوة الا بالله...كان ذلك الاعلان هو البوق الذى نُفخ فيه لبدء الحرب...حرب سجلتها أقلام الخيانة فى سجلات التاريخ...تدفقت الجيوش العربية من مصر وسوريا والعراق وامارة شرق الأردن على فلسطين ونجحت بالفعل فى تحقيق انتصارات...وفى تلك الفترة كانت أقوى الجبهات وأهمها الجبهة الأردنية اذ عبرت ثلاثة ألوية تابعة للجيش الأردنى نهر الأردن الى فلسطين فى ١٦ مايو ١٩٤٨...ومن ثم خاض الجيش الأردنى ثلاث معارك كبيرة هى باب الواد واللطرون وأخيرا جنين...فاستطاع بذلك الحفاظ على القدس والضفة الغربية كاملة مع انتهاء الحرب...أما عن خسائر اليهود فبلغت من الضخامة حدا ليس بالهين فى هذه المعارك...حتى ان رئيس الوزراء الاسرائيلى ومؤسس دولة اسرائيل (ديفيد بنغوريون) فى ١٩٨ أمام الكنيست (لقد خسرنا فى معركة باب الواد وحدها أمام الأردنيين ضعفى قتلانا فى الحرب كاملة)!!

وعلى الجبهة الشمالية تمكنت القوات النظامية اللبنانية من الاستيلاء على قريتى المالكى وقدس فى الجليل الأعلى جنوب الحدود اللبنانية...

واستمرت المعارك على هذا النحو من التفوق العربى حتى كان تدخل مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة وفرض وقفا لاطلاق النار فى ١٠ يونيو ١٩٤٨...تم وقف القتال لمدة شارفت على أربعة سابيع وفى ٨ يوليو ١٩٤٨ استأنف الجيش الغاصب القتال فى جميع الجهات رغم محاولات يائسة من مجلس الأمن تمديد مدة الهدنة...وعندما استؤنفت المعارك من جديد كان للجيش الاسرائيلى اليد العليا واتخذت المعارك مسارا مختلفا تعرضت خلاله القوات العربية لسلسلة من الهزائم استطاعت من خلالها القوات الاسرائيلية فرض سيطرتها على مساحات شاسعة من أراضى فلسطين التاريخية.

أخبار كانت أوقع تأثيرا فى صدر الأمة من طعنة نجلاء...فزع لها شيوخها...جزع لها رجالها...دمع لها نسائها...بل وقتل الحزن أفئدة المنتمين لها ولمقدساتها بالروح قبل الجسد...لم يكن حال ذلك الحى الصغير السابق ذكره بالمغاير لأمه العرب...كانت دمعة من سيل دمعته عيون الوطن الكبير...باتوا يتطلعون لنصر جديد بعد الهدنة كما كان قبلها...ينظرون الى أمل يرونه صعبا ولا يرونه مستحيلا...وما بين التطلع الى النصر والنظر الى الأمل يبقى ذلك الترقب المكتسى قلقا سمة يومياتهم وهم يتابعون أخبار الجيوش العربية فى حربهم الضروس.

ترتسم حدود ذلك الحى على مساحة صغيرة من مدينة الأسكندرية...فقط مجموعة من بيوت بسيطة يكاد جميع قاطنيها يعرفون بعضهم البعض...بيت واحد كان تفاعله مع الحرب وأحداثها أكثر شدة...بيت عجوز بسيط المرئى... متهالك الهيئة... فقير الأثاث...تدعو طوابقه الثلاثة الى التعجب من صمودها أمام سنوات طوال ظلت له ولسكانه مناهضة...مساحة بين الصغيرة والكبيرة...لون لجدرانه غيرته الأعوام من الأبيض الى ما دون الأصفر بقليل...باب حديدى

عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

هذا الكتاب حصرى على جروب عصير الكتب

انضم الينا لتحصل على كل ماهو جديد

follow me : facebook.com/OmaR.1.Bs

صغير يسمح بالكاد لمتوسطى القامة بعبوره...بدت بعض أحجاره وقد جردها الزمان من كسائها من الدهان...مسكون أول الطوابق وثانيهما...أما الثالث فمتروك لا يجد من يشغله...تخطى القلق حدوده بشدة في ذلك الطابق الثانى...شقة صغيرة ذات حجرتين...خفتت أنوارها منذ بداية الحرب...اعتصر الخوف من المخبوء فى جعبة الأيام قلبى ساكنيها...أسرة صغيرة قوامها فردان غاب ثالثهما مجاهدا...أم مكافحة اعتادت النزاعات مع الحياة...منصورة فى صراع ومهزومة فى آخر...نصر ثم هزيمة...وهزيمة يتبعها نصر...وما زالت تلك الزوجة تصارع مصاعب العيش الى جوار زوجها الغائب...اتخذت من ذلك المذياع الصغير المستقر هناك فى ركن بعيد فى آخر الشقة صديقا حميما طوال أيام الحرب...تراها مهرولة اليه مع كل خبر يبثه عن جديد النزاعات...طالت لحظات الاستماع...استمرت دقائق المتابعة...بدا الاستماع بلا نهاية للحظاته وتجلت المتابعة بلا آخر لدقائقها...وهى لا تملك وسط تلك الأمواج من الاستماع وهذه اللجج من الانتظار الا صبرا وترقبا للآتى من الأحداث والقادم من المستجدات...

لم يكن ذلك الشريك الصغير فى ذلك البيت بأقل قلقا من والدته...طفل صغير لم يتجاوز بعد الخطوة الرابعة فى درب عمره...خوفه من المستقبل كان دوما نابعا من خوف أمه...لا يعى مما تعانيه الا ذلك الغياب الفاقد المبرر من وجهة نظره لوجه أبيه الذى اعتاد تقبيله مع كل اطلالة لشمس صباح جديد...عينان تبدل لمعانهما الرامز للتفاؤل فى السابق من الأيام الى ذلك اللمعان النابع من اغوراقهما بدموعه صافية المظهر والجوهر...برينة المنبت والمقصد...حين يخلو بنفسه حزنا على فراق أبيه...ثغر لم يعهد فى ماضى أيامه القريب الا ابتساما ومداعبة لوالديه...اقتصر الآن على ذلك السؤال المعتاد عدة مرات كل يوم حين تفصح شفتاه الدقيقتان عنه لأمه قائلا : أماه...متى يعود أبى؟...غاب عنا منذ فترة وقد اشتقت له كثيرا !

فلا يجد الا ردا اعتادت مسامعه الصغيرة على عناقه حين تجبه أمه : قريبا ان شاء الله يا عزيزى (وحيد)...قريبا ان شاء الله.

رد مألوف اعتاد على مسامعه باستمرار ومع ذلك تجده يشعر برغبة ملحَّة فى تكراره...لعلها براءة لأطفال الذين يجدون الرحمة فى كلمة... يعهدون الألفة فى لمسة...يرون الحياة فى بسمة...ويسعدون بالأمان فى حضن عمره دقائق...كانت اذن تلك الكلمات واللمسات والبسمات والأحضان هى السلوى التى اعتاد عليها (وحيد) ذلك الصغير من أمه (أمينة) شريكته الوحيدة فى الماضى من قلائل الأيام...ومن يدرى لعلها الشراكة التى تستمر فى القادم من السنوات اذا ضلت النجاة طريقها لوالده الغائب...ذلك الوالد الذى طالما عهد منه ما تلقاه من أمه أخيرا من كلمات ولمسات وبسمات وأحضان.

انقضت بهما أيام الحرب أطول من طولها...أشقى من شقائها...اختلاف ظروفهما عن غيرهما من المنتظرين كان الدافع لاحساس زائد بالطول...قسوة وحدتهما عن غيرهما من المتابعين كان المثير لشعور أقوى بالشقاء...وعليه فقد اشتدت خيوط معاناتهما كثيرا حتى أنها فاقت

fb.com/Book.juice

معاناة الكثير من المحاربين...لهما الحق فى شعورهما وهما المحتاجان بلا عائل فى غياب لرب الأسرة...لهما العذر فى احساسهما وهما الوحيدان بلا مؤنس فى رحيل صاحب البيت...لم يقتصر تفكير (أمينة) على الجارى من أحداث الحاضر فحسب...بل انها سافرت بتخيلاتها الى ما أبعد من ذلك...الى ما أصعب من ذلك...بل الى ما أشد قسوة من ذلك...فكيف السبيل الى حياة هادئة كالمعتاد ان استشهد زوجها (محمد)...الام الملجأ اذا كانت وفاته هى الخيار الذى وقعت عليه ارادة القدر؟...الى كنف من سيكون الاتجاه وهى الفاقدة للعمل وصغيرها لم يتجاوز الرابعة بعد؟...هل الى رحاب أخ لزوجها وزوجته القاطنين معهما وابنيهما فى أول أدوار نفس البيت؟...تراه خيارا صعبا فى ظل غلظة اعتادت عليها منهما فى وجود زوجها...فما بالها وقسوتهما ان رحل الزوج؟...هل اذن الى رحاب أخيها فى القاهرة الذى هجر سؤاله عنها وهجرت سؤالها عنه منذ سنوات؟...خيار لا يقل صعوبة عن سابقه فى جميع الأحوال..

تاهت (أمينة) بين دروب من التساؤلات الباحثة عن أقل الاجابات ضررا...غرقت بين لجج من الأفكار الآملة فى أدنى المصائر ضياعا...تساؤل يلاحقه تساؤل وفكرة متبوعة بغيرها من الفِكر كلها نابعة من نبع القلق صابة فى مصب التوتر والخوف من قادم الأيام...و(أمينة) لا تملك بين تيهها فى دروب تساؤلاتها وغرقها بين أمواج افكارها الا دعاءا صادقا آناء الليل وأطراف النهار أن يحفظ لها بارنها زوجها من رحيل محتمل...وأن ينجيها وولدها من جحيم سنوات من التشرد لا تعلم لأيامها نهاية ولا تتصور لأحداثها استمرار...

تواصلت أيام النزاع العربى الصهيونى حتى انتهائها فى ٢١ يوليو ١٩٤٨...وبقيت (أمينة) على حالها من متابعة الأحداث فى شغف مفعم بالأمل...ولكنه...محفوف بالخوف....

عاشت أيامها تلك أثناء الحرب ما بين تخوف من ترملها ويتم ولدها...وتضرع الى الستار الرحيم لانقاذهم من براثن الضياع ان رحل رب اسرتهم...وهى بين الخوف والتضرع قد جعلت همها الوحيد اضافة لمسة من الاطمئنان الى نفس صغيرها السائل دوما عن أبيه فى قلق ممزوج بشوق الأبناء للآباء...استمر بها الحال هكذا عدة أيام بلا جديد من الأخبار يثلج تلك الصدور المتطلعة للاطمئنان على الغائب.

حتى كانت صبيحة ذلك اليوم الذى استيقظت فيه (أمينة) على صوت طرقات رجُت قلبها قبل بابها...كانت تلك الطرقات الأولى من نوعها منذ ذهاب زوجها...بعد أن تناسى أخوه وزوجته أمرها وأمر ولدها الناشئ...احساس غريب تملكها أن تلك الطرقات حاملة ما انتظرته من الأخبار...اختلاف فيما اعتادت عليه من طرقات زوجها المتبوعة بلفظة (وحيد) والتى يهرع على اثرها ذلك الصغير للقاء والده عند الباب...لم تكن تلك الطرقات المألوفة لها ولصغيرها الذى طالما هرول الى حضن أبيه حين يسمعه يناديه من خارج الأبواب...ليس وقت تفكير وتأمل الآن...هكذا حدثت (أمينة) نفسها...انما هو الاسراع لمعرفة الطارق وأخباره...لا تدرى ماهية المحمول من الأخبار بطبيعة الحال...تمنتها سعيدة وتوقعتها غير ذلك...أملتها سارة وشكُت فى غير ذلك...انطلقت الى بابها مصدر الصوت سابحة فى أمنياتها غارقة فى توقعاتها...متريضة فى آمالها وتائهة فى شكوكها...وما بين تلك الأحاسيس المتناقضة

fb.com/Book.juice

المتداخلة...ما بين السباحة فى هدوء الأمنيات والغرق فى تلاطمات التوقعات...ما بين التريض فى نسائم الآمال والتيه فى ظلام الشكوك...انطلق صوتها فى لهفة متسائلا عن هوية الطارق قائلة:- من؟...من الطارق؟

فجائها الجواب سريعا من تلك الحنجرة الفتية لصبى شارع فى التاسعة:- انه أنا (حسام) يا زوجة عمى...هلا فتحتى الباب؟؟

تملك العجب (أمينة) من زيارة ذلك الصغير...لعله توقيتها الباكر الغير متعارف على الزيارات فيه...لعلها هوية الزائر الغير معتاد على التردد عليها وعلى ولدها...بكورة التوقيت أو هوية الزائر لا يهم...المهم انها تلك الزيارة المفاجئة لذلك الزائر الصغير فى هذا التوقيت الغريب !

هرولت (أمينة) الى الباب راجية جديد الأخبار أملة فى سعيد البشائر وقد ردت على الصغير

-ها أنا ذى قادمة يا (حسام)...انتظر يا بنى

فتحت الباب منتظرة القادم من الواقف خلف درفتيه وقد رحبت به فردُ الفتى التحية وأتبعها بقوله:-

-أبى أرسلنى لاستدعاءك يا زوجة عمى....يريد الحديث اليك على وجه السرعة وهو فى انتظارك فى شقتنا بالأسفل

أومأت (أمينة) بالايجاب وقد أيقنت أن فى ذلك الاستدعاء المفاجئ ما يتعلق بزوجها الغائب المجاهد (محمد)...أغلقت الباب على صغيرها النائم الحالم بعودة محمودة لأبيه....وفى غضون دقائق كانت ترد طرقات الصغير (حسام) بمثلها على باب أخى زوجها وبالمثل كان رد الصبى بفتح الباب على عجل...ألقت (أمينة) التحية على الصبى وأتبعتها بخطوات سريعة الى حيث يجلس (عباس) أخو زوجها وزوجته (كوثر)...ألقت نفس التحية التى ألقتها على صغيريهما قبيل لحظات وجلست فى انتظار الآتى من الحديث والقادم من الأخبار...

بدا (عباس) مترددا فى بدء الحديث وكأنه يبحث بين خلايا رأسه عن بداية سلسة للكلام...يبعثر أفكار ذهنه مفتشا عن سرد سهل للحديث...استعان ببعض نظرات الى زوجته علها تملك تلك البداية أو ذلك السرد لما يحمله من أخبار...لكنها بادلته بنفس النظرات التائهة المتبوعة بنظرة أخيرة الى الأرض...لم تزد تلك النظرات المتبادلة بين الزوجين ضيفتهما المتابعة لهما الا قلقا على قلقها وتوترا الى توترها...لم تستطع (أمينة) ترويض لسانها أكثر من ذلك فاتجهت بنظرها الى داعيها للزيارة قائلة:

-أراك استدعيتنى لحديث لا أراه قد بدأ أو سيبدأ يا (عباس)...فقط نظرات تتبادلها مع زوجتك لا أفهم لها معنى لم تزدنى الا حيرة...تكلم...لا داعى لحرص زائد قد يأتى بالعكسى من النتائج والمأسوف من التخيلات التى بدأت بالفعل تستوطن رأسى...فقد بدأت أتوقع ما تود قوله ولكنى أفضّل سماعه منك قبل أن أسبق الأحداث !

-لا أدرى يا (أمينة) كيف السبيل لسرد ما أبغى اخبارك به...لكنه الواقع الذى بات ملموسا لا ريب فيه والحقيقة التى باتت قائمة بلا شوائب من الشكوك...ويبقى الايمان بالواقع والتسليم بالحقيقة أنسب الحلول وأكثرها حكمة لنا جميعا.

-ألا تسرع أكثر يا (عباس) فى اخبارى بذلك الواقع وابلاغى بتلك الحقيقة؟

-لك ذلك بالطبع يا زوجة أخى فلذلك استدعيتك...أتانى ليلة أمس فى وقت متأخر زائر لا أعرفه...غير أنه قال أنه حامل لأخبار عن (محمد).

تغيرت جلسة (أمينة) الى تلك المتلهفة للآتى من الكلمات...الراجية سعيد الأخبار...المتهللة الأسارير من وجود الجديد وان شابها بعض الخوف من وجود مالا تبغاه...لاحظ (عباس) علامات من الأمل ترتسم على وجه زوجة أخيه فزاد ذلك من توتره...لكنه استطرد فى حديثه قائلا:

-لن أطيل الحديث أكثر من ذلك يا (أمينة)...فقد أخبرنى هذا الغريب ب...بسقوط أخى شهيدا !

قالها (عباس) سريعا ثم صمت كمن كان يحمل جبلا من الهموم أراد القاءه عنه بأى طريقة...لم تسعفه كلماته بأكثر مما قال...ترك زوجة أخيه لدموعها التى بدأت فى الانهمار وقد تعلقت عيناها الدامعة بزوج أخيها...لكنها كانت تلك الهيئة الساكنة الا من حركة عشوائية مستمرة لعبرات غير ناوية للتوقف...شلل مؤقت أو بالأحرى موت مؤقت ليصح الوصف أصاب يديها التى فشلت حتى فى مسح دموعها أو ستر وجهها السابح فى هذين النهرين الذين شقتهما عيناها فى خديها النضرين.

صورة رسمتها ريشة الصدمة وكستها يد الأحزان بتلك الألوان الرمادية لكآبة الفراق...صورة لأرملة أصعب من أن تخطها كفوف الفنانين أو تسطرها أقلام الواصفين...أو تبدعها حتى ألسنة الرواة وحناجر الحاكين.

هيئة أثارت بعض الشفقة فى قلبين متابعين لها فأوقفت لدقائق طوفان الكراهية المتدفق منهما لتلك المسكينة منذ أول عهد لهما بها...زوج وزوجته...أو لنقل زوجة وزوجها ان أردنا ترتيبا قويما لمراتب القسوة وقيادة كتائب الغلظة التى طالما أُطلقت للهجوم على تلك المرأة وطفلها من هذين الزوجين طوال سنوات.

لحظات من الصمت سادت الحضور لدقائق لم يشغل هدوئها الحزين الا بكاء (أمينة) وآهاتها...قطع سكونها تلك المواساة المتكلفة لأخى زوجها:

-أعلم ما تعانيه يا زوجة أخى...جميعنا نقاسى ما تقاسيه...ليست المصيبة من نصيبك وولدك فقط...انما هى المصيبة التى طالتنا جميعا.

كلمات بلا معنى فاقدة للترتيب تتابعت فى عشوائية من بين شفتيه...مواساة فقط لازالة حالة السكون التى عمت الحضور...وتلك المصابة لا تكاد تعى من المُقال كلماته...بل لا تكاد تسمعه

من الأساس وهى المسافرة فى درب تخيلاتها وذكرياتها التى تداخلت جميعا فى لحظات من عدم الاتزان التابعة لرحيل الغالى وفقدان النفيس.

استمرت تلك الحالة من الكلام المتكلف الفاقد للأذن السامعة له فى اهتمام...كلمات معهودة فى مثل تلك المواقف خرجت من فم (عباس) متثاقلة تتهادى فى دروب المجاملة تتمايل فى سبل المحاباة...فقط قيلت من منطلق حزن محدود على غير المعتاد من أخ على أخيه الراحل وكأنهما ليسا شريكين فى ثانى أسمائهما...كأنهما لم يكونا مواطنين فى وطن واحد هو رحم أمهما الراحلة...قد يكمن سر ذلك التجمد فى المشاعر فى خلافاتهما السابقة...قد يكون السبب رغبة (محمد) الدائمة فى اصلاح أخيه العاطل الخاطى أول خطواته فى طريق الادمان...أما ثالث الأسباب وأقربها للواقعية فلا ريب فى استتاره خلف تلك الزوجة (كوثر) التى طالما تسيدتها كراهيتها ل(أمينة) وقد نقلت ذلك الاحساس المريض لزوجها الذى قدمته سذاجته لقمة سائغة لأطماع وأحقاد زوجته...فكان بنس التابع لبنس المتبوع...أيا كان سبب البرود المستتر...أيا كان دافع الحزن المتكلف فهى تلك الحالة الغريبة لأخوين رحل أحدهما وقابل الآخر ذلك ببعض عزاء لأرملته دون ظهور جلىٍ لانكسارات فؤاده الغليظ...وعلى الجانب الآخر من ذلك الزيف فى المشاعر وهذا الرياء فى الاحساس كان النقيض الحائز من المشاعر صدقها و الفائز من الاحساس بواقعيته...تمثل فى تلك الأرملة التى فطنت الى ذلك المستتر من كذب الأشجان وراء ستائر من التجمل اكتست بها ألسنة زوجين غير عابئين بما كان...لم تهتم (أمينة) بما نظراه من نظرات المواساة أو لفظاه من كلمات العزاء...انما كانت أسيرة سجن من آلامها لا يشاركها فيه شريك ولا يواسيها فيه رفيق...كان ذلك ما ظنته...لم تفطن الى تلك الدموع المنهمرة على هذين الخدين النضرين لفتى قتلته أحزانه شفقة على عمه الشهيد وزوجته الأرملة وابنه اليتيم...كان أصغر من أن تعى أفكاره حجم المصيبة الحقيقى وما يتبعها من التوابع...انما فقط بعض ذكريات عن عمه الذى طالما ضمته أحضانه واحتواه عطفه...براءة لطفل أوفى من أبيه وأمه...رأى فى بعض قبلات وكلمات عمه دينا نافذ القضاء بحزنه الصادق على وداعه...جميلا واجب الرد ببكائه على فراقه...وقف مستترا بالباب المفتوح قليلا يتابع ما كان من أخبار فى جعبة أبيه وما كان من دموع حملتها مقلتا زوجة عمه المكلومة على زوجها...قد لا يستطيع التعبير عن أمواج انكساره الهائجة فى قلبه تعصف بها رياح ألم الرحيل بأكثر من قطرات من تلك الأمواج دمعتها عيناه...لكنه على أية حال كان التعبير الأقصى الذى امتلكه هذا الدامع الصغير.

مرت الدقائق واستجمعت (أمينة) بعضا من شتات قوتها وهمت بالانصراف الى حيث تنفرد بآهاتها فى شقتها التى فقدت صاحبها للتو...قامت يرافقها المسال من عبرات بكتها وتبكيها...تتابعها فى قسوة هاتان العينان المملوكتان لامرأة لم يمن عليها زمانها ببعض من رحمة من جاورتهم سنوات...نظرات لم تهبط لمستنقع الشماتة قط وانما كانت بتلك الأسبال من الكراهية تكتسى...وما أرخصها بطبيعة الحال من أسبال!

غادرت (أمينة) فى هدوء...درجات من السلالم رأتها داكنة بلون أحزانها الوليدة...حوائط وجدتها قاتمة بهينة أشجانها الجديدة...وجود كامل بات أشد سوادا فى عينيها من تخيلاتها

التى عاشتها أيام النزاع...صعدت أولى الدرجات وثانيها وأتبعتهما بالثالثة لكن قدميها خانرتى القوى لم تسعفاها بترك أثر لقدميها فى تراب الرابعة فجلست تستند الى ذلك الحائط القديم على سلالم البيت وقد علا صوت نحيبها الذى تغاضى عنه الزوجان القاسيان...لكن تلك الأسرة فى أول الطوابق لا زالت تضم فرعا صالحا لأصل طالح...ذلك الصبى الذى لاحق زوجة عمه...أو بالأدق أرملة عمه...فوجئت (أمينة) التى طأطأت رأسها الموضوعة بين كفيها بتلك اليد الصغيرة الماسحة ما أسيل من عبراتها...التفتت لتجده ذلك الصغير سنا الكبير خلقا...لم ينتظر من أرملة عمه مديحا...لم يأت لينعم ببعض كلمات شكر لما كان منه من اهتمام...انما باغتها بقوله:

-لا أدرى بماذا أواسيك يا زوجة عمى...فقط اود اخبارك بأنى أبدا لن أنسى عمى الشهيد...يعلم الله أنى أحبك مثل أمى...كثيرا ما انتظرت اليوم الذى أصحب فيه (وحيد) الى المدرسة ونعود سويا...أريده أن يتعلم مثلى أن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون...لقد قالوا لنا ذلك فى المدرسة ويقولونه كل يوم...

قالها ثم خنقته دموعه فبكى غير مستطيع للحديث اكمالا...عبارات قد تفتقد البلاغة...قد تغيب عنها الفصاحة...لكنها استعاضت عن بلاغة مفقودة وفصاحة غائبة بذلك الدفئ الصادق لمشاعر حملت الاخلاص بشدة بين طياتها...لم يكن ذلك الفتى ليتقن كلاما يقال فى حالات العزاء...لم يمر بتجربة كهذه من قبل... لكنها مدرسة الأحزان التى بدأت تعليمه لتوها...فكانت تلك الجمل ركيكة الأسلوب قوية الاحساس التى تجلت بوفاء على لسانه الصادق.

لم يسع (أمينة) من هذا الصبى الا زيادة فى بكائها المشارك لبكائه...قوة فى آهاتها المساعدة لآهاته...ضمته فى حنان قد يفتقده ذلك الصغير فى البادئ من سنوات عمره وهو يتمتم بكلمات أزالت دموعه المهوم منها...لكنها ومع ابهامها تصب فى ذلك المصب لحب نادر لم تشبه تدخلات الشيطان فكان وقعها على (أمينة) عظيما عد شعورها بوجود مساند لها وان كان فى تاسع سنوات عمره.

سرت دقات عقارب الساعة بطيئة بهذا الثنائى الباكى...جمعهما حديث مبهومة كلماته فى ظل محيط من دموعهما تاهت فيه فلك المفهوم من كلام كليهما...نال ادراك الأرملة المصابة والطفل الحزين من سريان الوقت بهما فآثرت (أمينة) النهوض الى شقتها حيث طفلها النائم لاستكمال ما تعانيه الى جواره...أعانها (حسام) على ذلك فاجتاز بها الباقى من درجات السلم حيث شقتها ثم عاد أدراجه الى أول الأدوار حيث يقطن مع والديه...

الدور الأول...ياله من مكان لا يدرى أحد المخبوء بداخله لتلك المرأة...لا يعلم أحد المدبر بين أركانه لهذا اليتيم...لازال هذان الزوجان (عباس) و (كوثر) فى حديثهما مستمرين بين رغبة من (كوثر) على ارسال (أمينة) وابنها الى أخيها فى القاهرة...يقابله اعتراض من (عباس) على التوقيت فقط وليس الفكرة.

زاد الحاح الزوجة واعتراض الزوج فى تراجع مستمر

-وماذا بعد يا زوجى العزيز؟

-ماذا تقصدين بهذا السؤال؟

-أراك لازلت متقمصا دور المصدوم يا عزيزى...لا أرى داعيا لذلك الآن وقد غادرت زوجة أخيك!!

-أولا أحزن على رحيل أخى؟

أتبعت (كوثر) تلك الجملة من (عباس) بضحكة ساخرة استمرت بعض الثوانى أقرنتها بقولها:

-حسبتك لا تخاطبنى بعد قولك ذاك يا عزيزى...والله لا أظنك الا فرحا بما كان بعد راحتك من الغصة التى كانت دوما فى حلقك...دعنا من هذا الآن...ماذا عن القادم؟

تغاضى (عباس) عما كان من سخرية زوجته وأجابها برده:

-وهل لى أن أعرف ما هو القادم الذى تتحدثين عنه؟

-ماذا عن تلك المرأة وولدها؟؟...ماذا عن نيتك تجاههما؟

-لا أرى داعيا للف والدوران...الى بما فى ذهنك من التخطيط الشيطانى.

-(عباس)...لا تكن بهذة السلبية...لم أخاطبك لتتجاهل ما أقول انما ردت تفكيرا مشتركا بيننا !

-لست بالمتجاهل بالطبع...فقط أردت استبيان ما تريدين...ماذا عن الدائر بخلدك الآن عنهما؟

-أرى أن نبعثها الى أخيها بالقاهرة...أراه أحق برعاية أخته...فما من سبب قوى يدعو لبقائهما الآن بين أظهرنا وقد رحل زوجها.

انتفض (عباس) واقفا وقد قاطع زوجته قائلا:

-ماذا تقولين؟...أتعنين حقا ما تقولينه الآن؟...انه المستحيل بعينه !

وعلى الضفة الأخرى الصادقة من يم الأحداث كانت هذه المسكينة الغافلة عن ما يدبر لها...المتخبطة بين جدران الأحزان وحيدة فى شقتها...قادتها قدماها ببطئ الى تلك الحجرة الصغيرة على بعد مترين أو أكثر قليلا من باب خشبى قديم كان مدخلا للشقة...امتدت يداها المبتلتان من فرط ما أزالته من دموع بلا نهاية الى ذلك الزر الصغير لاضاءة المظلم من جوانب الحجرة وكان لها ما أرادت...اتجهت بنظرها الى ذلك الفراش الصغير حيث يرقد ذلك الملاك الصغير نائما...ما ان رأته حتى زادت سرعة دموعها وتلاحق زفيرها...تحولت عنه بنظرها وقد اسندت ظهرها الى باب الحجرة المفتوح وقد عادت بمؤخرة رأسها للخلف جاعلة من ذلك السقف الرمادى قبلة لعينيها التين أوشكتا على الضياع من كثرة ما بذلته من عبرات...فها قد صار ذلك الصغير النائم يتيما الآن!!

أغلقت الأنوار من جديد وعادت الى حجرتها تاركة طفلها غارقا فى نومه...لم تكن على دراية بالطبع أنه كان لوقفتها متابعا من تحت غطاءه...تبع أمه بخطوات صغيرة الى حيث ذهبت للجلوس على أحد مقاعد البيت...أحست الام بتلك اليد الصغيرة التى استندت الى كتفها وقد قال صاحبها فى هدوء:- أمى لماذا تبكين؟

-لا شئ...لا شئ يا عزيزى...لماذا استيقظت باكرا هكذا؟

تغاضى عن سؤال أمه الهادف لابعاده عن يم أحزانها وكرر سؤاله :- لماذا تبكين ياأمى رأيتك تبكين عند باب غرفتى كثيرا!

-(وحيد)...قلت لا شئ يا حبيبى...لا تتعب أمك أكثر من هذا

امتثل هذا الصغير لرغبة أمه وباغتها بسؤاله المعتاد عن أبيه:-متى يعود أبى اذن يا أمى؟....ألم تقولى لى أنه سيعود قريبا؟

كان ذلك الحديث فى أول الأدوار لا يزال مستمرا...قامت (كوثر) من على مقعدها وقد انتوت استكمال الحوار فى وضع الوقوف كزوجها قائلة:

-وما الذى أضاف صفة المستحيل الى ما قلت؟...تلك المرأة بلا عمل أو دخل الآن وزوجها كان تاجرا بسيطا لا يملك من حطام الدنيا ما يمكن لها أو لولدها أن يرثاه...أو عندك الاستعداد للتكفل بها وبولدها من طعام وشراب وتعليم لذلك الطفل الذى سيبدأ أول سنوات تعليمه بعد أقل من عامين؟؟

وجد كلام (كوثر) من أذن زوجها اهتماما...أطرق رأسه التى استندت الى قبضة يده المرفوعة الى ما تحت فكيه وقد غاص فى يم من أفكار ولُدتها كلمات زوجته.

قطعت الزوجة أحبال أفكار زوجها وقد أجهضت كل محاولة للتفكير قد شرع فيها ذهنه...بادرته بقولها:

-لا داعى لكثرة التفكير يا عزيزى...ليس الأمر بهذا التعقيد الذى تظنه...زوجتك ليست مريدة لك الا الفائدة...كن على يقين من ذلك...فقط راحتك وراحة ولدى هى بغيتى الوحيدة ودافعى الأوحد لما يلقيه لسانى على أذنيك الآن.

تداخلت المخططات وتداخلت النوايا فى رأس (عباس) وهو لا يدرى أى المخططات ينفذ وأى النوايا يعقد عليها العزم...هل الى رأى زوجته يلجأ طاردا تلك المكسورة عن بيته جائرا على حق يتيم أم يحتفظ ببعض من انسانية اشترك فى الضنيل منها مع أخيه الشهيد ويبقى على هذين اللذين طالتهما يدا المصائب؟...لم يملك الحكمة الكافية لابداء رأى حاسم فى ظل هذا التصارع للأفكار وهذا الشجار بين الآراء بين جنبات رأسه فكان ذلك الجواب الروتينى العاكس لحالة تخبطه على اقتراح زوجته:

-لننتظر اذن حتى نرى ما سيسفر عنه قادم الأيام...ثم نحدد ما نحن له لاجنون من الاقتراحات !

وما ان قالها حتى ارتسمت تلك الابتسامة الخبيثة على وجه (كوثر) وقد أحست ببعض من اللين الذى أضيف لنبرة زوجها ايذانا بتراجع وتغير فى موقفه.

انتهى الحوار بين الزوجين عند هذا الحد...غادرت (كوثر) تلك الحجرة الضيقة الى حيث تركت زوجها الجالس على أقصى المقاعد وقد أحاطته تلك الأسوار شاهقة البناء من التفكير فيما كان من حواره مع زوجته أو لنقل مستشاره...أو ليكون الوصف اكثر دقة قائده لتوضع الأمور فى نصابها الصحيح.

كان سؤالا عسيرا على تلك الأرملة كثيرا...سأل ذلك اليتيم عن أبيه كعادته منتظرا جوابا مغايرا لسابقيه...كان يأمل دوما فى عودة سالمة لأبيه الذى لا يعلم سببا لغيابه طوال هذه المدة...أمنية هى الأغلى لذلك اليتيم الذى لا يعلم شيئا عن التصاق صفة اليتم به بعد... لم يكن لسؤاله هذه المرة نفس التأثير على أمه...تلك التى صمتت حينا ثم قالت:

-(وحيد)...استمع الى جيدا...علينا أن ندبر أمرنا بعض الوقت بدونه يا عزيزى...فأظنه سيغيب عنا وقتا ليس بالقصير...أعلم أن الأمر صعب يا بنى بعض الشئ..لكنى عهدتك رجلا ستتحمل معى المسؤلية كاملة...أليس كذلك ؟

أطرق ذلك الطفل رأسه وقد صدمته كلمات أمه بعض الشئ...غير أنه لم يخفِ سعادته بثناء أمه عليه...فكان امتثاله لكلام أمه وان شاب ذلك الامتثال بعضا من فضول الأطفال دفعه للسؤال عن سبب الغيبة الطويلة تلك...غير أنه رغم سنواته الأربع لم يشأ أقحام أمه فى حديث رآها لا تود الخوض فيه...انصرف الابن الى حجرته من جديد وجلست أمه يخاطبها عقلها بضرورة التفكير فيما هو آت...كيف السبيل للعيش الآن بلا عائل أو دخل؟...لا ريب فى انصراف ذلك العباس وتلك الكوثر عنها وعن صغيرها...لم تشك لحظة فى ذلك...بل انها على ثقة منه قبل حتى علمها برحيل زوجها...توقعت بفراسة ما ينويانه من ارغامهما على ترك المنزل...لم يكن الأمر يحتاج الى فراسة بأى حال من الأحوال...أمر واضح وضوح الشمس فى ريعان شباب النهار...كان عليها اذن التفكير فى مخرج يضمن لها ولولدها البقاء فى ذلك العش الصغير الذى لا يعرفان لهما ملجأ غيره فى ذلك البحر الواسع لحياة متلاطمة الأمواج متدافعة الرياح ملينة بقراصنة لا يغفلون عن أى فرصة لاقتناص مثل تلك القوارب الضعيفة التى يقودها هؤلاء الأبرياء من أمثال (أمينة) وولدها (وحيد).

ساعات من التفكير أرهقت فيها ذهنها لم تجد أمامها ذلك الخيار الصعب باعادة فتح ذلك المحل الصغير الذى كان يملكه زوجها...لا شك أنه لن يوفر لها وليتيمها الدخل المأمول...لكنه على الأقل سيبقيهما سائرين فى درب الحياة وان كان سيرهما حثيثا على جانب مستقر من طريق الدنيا الضام للجراة الحاوى لسريعى الخطوات...لمعت فى رأسها الفكرة بشدة فى ليلتها

تلك...توكلت على ربها وعقدت العزم على ذلك...فكانت أولى الخطوات لتحقيق ما تنويه هو الحصول على مفتاح ذلك المحل المغلق من (عباس) اذ استأمنه عليه أخوه قبل رحيله ليتكفل بأسرته الصغيرة أثناء غيابه حتى عودته...ان عاد!!

وصلت الفكرة لكامل نضجها فى رأس (أمينة)...انتظرت عدة أيام كانت خلالها خليلة لأفكارها التى أسفرت فى النهاية عن فكتها تلك...اتجهت من جديد الى ذلك الطابق الأول الذى غادرته باكية منذ أيام...لم يهتم منه أحد بها الا ذلك الفتى (حسام) الذى لم يغفل عن زيارتها يوما واحدا...طرقت ذلك الباب البنى المتهالك المحتضن ذلك الزجاج المزركش فى اطاره السميك.

جاءها الرد بفتح سريع للباب قام به ذلك الصبى اتبعها بابتسامة مرحبا بها بقوله:

-زوجة عمى؟...يالها من مفاجأة سعيدة...تفضلى...تفضلى بالدخول.

ردت (أمينة) الابتسامة بمثلها تجاه وجه بشوش لصبى برئ اتبعته بسؤالها عن والده قائلة:

-أهلا بك يا عزيزى كيف حالك؟...هل أبوك بالداخل؟

-أجل موجود...تفضلى يا زوجة عمى سأدعوه لحديثك على عجل...تفضلى

لبت (أمينة) دعوة الفتى وتبعته الى مجلس اعتادت على جلسته فى محاوراتها مع زوجين انتهازيين...لحظات وكان (عباس) و(كوثر) عضوين فى حوار مع (أمينة)...ذلك الحوار الذى تلى سلاما فاترا منها وترحيبا أكثر فتورا من كليهما بضيفتهما الشابة العجوز!!!

لا عجب فى هرمها وهى بنت الثلاثين مما رأته وما تنتظر مرآه من مطويات الأقدار فى ماضى لياليها ومستقبل أيامها !

باغتها (عباس) بقول فظ مقرون بنظرة أكثر فظاظة بعد احساسه بما تحمله من هدم لكل ما خطط له مع زوجته :

-خيرا يا زوجة أخى؟...أراكى تذكرتنا بعد انقطاع أيام بالزيارة...أظن لزيارتك لنا سببا استثنائى... هل من جديد يحمله قدومك الينا؟؟

نبرة اعتادت عليها (أمينة) لم تلق لها بالا...فقط واجهتها بتلك الابتسامة الساخرة مما سمعت وكان ردها:

-لا أحسبك تغفل عن الأحق منا بالزيارة...الأحوج منا للمساواة...بل و...الأجدر بالخجل من انقطاعه...

سكتت قليلا ترى أثر كلامها على وجه ذلك البائس الذى لم يجد ردا مناسبا بعدما كان من احراجه...ثم استأنفت قولها:

-دعنا من ذلك الآن...فلم يكن مجيئى لسماع عتاب أو لرده بعتاب آخر...فليس بين مثلينا يكون العتاب...انما جئت لما هو أجدى بالحديث وأولى بالنقاش...أو دعنا نقل أجدى بالخبار وأولى بالاعلام...فليس ما جئت اليه مطروحا لحديث أو موضوع لنقاش !!

اتخذت الربية من كلام (أمينة) والخوف من ثقة نبرتها من شرايين (عباس) و (كوثر) مسارا لها...

تحادثا سويا بحديث النظرات الذى اعتادا عليه معا وسط متابعة تلك الضيفة قبل أن يتحول (عباس) اليها من جديد بنظره ولسانه قائلا:

-خيرا يا (أمينة)...ماذا تريدين؟

-لا أريد شيئا صعبا على أية حال...أريد فقط مفتاح المحل لاعادة فتحه من جديد!!

انتفض (عباس) قائما وقد أظهر حنقا وتضجرا شاركته فيه زوجته قبل أن يقول:

-ماذا؟...ماذا تقولين؟

-هل...هل من شئ خاطئ يا (عباس)؟...كما سمعت...أريد مفتاح المحل لأعيد فتحه من جديد...هل فى ذلك ما يزعجك؟

-لا...بالطبع لا...لكنك أبدا لم تمارسى التجارة ولست أهلا لادارة مال...لسوف يضيع مالك فى بضعة شهور

-هل أجد لديك حلا آخر؟...لا أظنك بالطبع تتكفل باحتياجاتى واحتياجات ولدى...فما لمثلى أن ينتظر من مثلك مثل ذلك...أم تراك تظن التسول أفضل الحلول لى ولصغيرى؟

صمت (عباس) وقد أيقن أن بقاء زوجة أخيه قد بات أمرا واقعا لا يستطيع رده...فامتلأ بذلك الاحساس بالغيظ من افساد مخططه...لكنه ومع ضياع ما خطط له لجأ الى افساد ما خططته زوجة أخيه...ففاجئها بقوله:

-بالطبع لا يرضينى تسولك يا أم (وحيد)...لكن هناك من الأمور ما يجب أن نسويه أولا!

كانت علاقة (وحيد) بابن عمه (حسام) تلك العلاقة الخاصة المخالفة تماما لعلاقة أهليهما...لعل (وحيد) كان اكثر حظا بانتمائه لأبوين هو على أتم الشبه بهما فى ملامح شخصية فى طريقها الى النضوج سوية كأبويه....بخلاف (حسام) الذى كان كزهرة نضجت فى تربة لا تصلح الا لنمو الأشواك...لكنها ارادة الله الرحيمة بهذا الصغير اليتيم لتعد له رفيقا على شاكلته يجد السلوى فى صداقته وينعم بالحب الى جواره...كان حوارهما الطفولى ذلك فى حجرة (وحيد) امتدادا لتلك العلاقة التى بدت كنبتة مباركة ترعاها يد الأيام لتشب فتية تتزايد بركتها بمرور الأعوام...افترش (وحيد) على سريره الى جواره (حسام) ينظران الى سقف الحجرة وقد وضعا

fb.com/Book.juice

أيديهما تحت رأسيهما وأحدهما قد أرسل قدميه واضعا نهاية الأولى فوق الأخرى...أما عن الآخر فرفع ركبتيه كهيئة التل الصغير...وقد دار بينهما حديث يفتقد الى جميع معانى الأهمية...لكن سذاجته كانت أكثر امتاعا من حديث للكبار لا يحمل الا كراهية ووعيدا لبعضهم البعض

-لكم أشتاق الى ذهابى للمدرسة معك يا (حسام)

-لم يعد أمامك الكثير يا عزيزى...أنا أيضا أشتاق وبشدة الى تلك الصحبة المرتقبة بيننا فى طريق واحد

-حدثنى عنها يابن عمى...ماذا تفعلون هناك؟

-كل شئ يا (وحيد)...كل شئ...نتعلم أشياء جديدة...نقابل بعضنا بعضا فنلهو ونتضاحك...نلعب الكرة فى أحيان كثيرة...أشياء كثيرة لا أستطيع أن أحصيها لك

-ما أجملها تلك اللحظات التى تقضونها هناك...كلامك عنها لا يزيدنى الا شغفا وانتظارا لقادم الأيام حتى ذلك اليوم الذى أسعد فيه بهذه الأشياء...

-أنا أيضا...أنا أيضا يابن عمى بمثل الشغف...أشعر أن وجودك معى هناك سيكون ذا نكهة مختلفة...كم هو جميل أن نكون زملاء مدرسة واحدة كما نحن سكان بيت واحد...سيكون ذلك رائعا بطبيعة الحال

-أصبت...ما أجمل أن أحمل حقيبة كحقيبتك على ظهرى كل يوم وأملك كتبا كثيرة أذاكر فيها مع أمى...كم هو رائع ذلك الشعور.

-هل تعلم يا (وحيد) أطوق كثيرا لأن تذاكر أمى معى...لكنها أبدا لم تفعل ذلك حتى وان طلبت منها

-لماذا يا صديقى؟

-لا أعرف...لم تقل لى يوما سببا مقنعا...هو فقط ذلك الرفض المعتاد لطلبى...كثيرا ما أعتقد أنها وأبى يكرهانى أو لا يعبآن بى

-قد تكون مشغولة يا عزيزى...أنا أيضا أمى تنشغل عنى فى كثير من الأحيان...لكنى لا أظن أنها تكرهنى أو لا تعبأ بى

قالها يريد مجاملة صديقه الأكبر سنا منه...رغم صغر سنه الا أنه يبدو وارثا حنان أمه وحنكة أبيه...أو حنكة أمه وحنان أبيه...ورث الصفتين من الأبوين وكان لهما نعم الحافظ وخير الوارث...استمر الحديث الطفولى فى سريانه بين الصديقين...حينا يضحكون لشئ ما لا يضحك لذكره الا من فى مثل سنهما...حينا آخر يتجادلون فى قضايا لا يهتم لها الا من فى مثل عمرهما...وحينا ثالثا يتبادلون ما فى جعبة كل منهما من ألعاب بسيطة لا يملكها الا من فى

fb.com/Book.juice

مثل مستواهما المعيشى... وما بين الضحك والجدال والتبادل يظل الحديث بينهما على وتيرة من الهدوء النسبى الذى لا يمل منه طرفى الحديث وان طال لسنوات !

زادت سخونة الحوار كثيرا فى أول الطوابق...أحست (أمينة) بشئ من الغدر فى آخر الكلمات التى نطقها أخو زوجها للتو...خاصة مع تلك اللمسة من الثقة المضافة الى نبرته فى نطقها

-هل لى بمعرفة تلك الأمور المحتاجة للتسوية يا (عباس)؟؟

-ألا ترين نفسك متناسية لشئ ما؟

-أرى من الأفضل أن أسمع ما ترانى تناسيته منك !

-ألا ترين أنى أصبحت مالكا لجزء فى هذا المحل...هذا ارث أخى وأنا شريك فيه بطبيعة الحال.

قالها وابتسامة باهتة تعلو وجهه ظنا منه أن فى كلامه اثناء لغريمته عن مرادها...أو على الأقل تعسيرا يُعجِّل بعمر هذه التجارة الصغيرة كان له ما أراد على كل حال...نال ذلك من (أمينة) كثيرا...فلم تكن لتتوقع شريكا لها ولصغيرها فى ذلك الدخل البسيط..لكنها بالطبع لم تلم الا سذاجتها التى صورت لها أن فى قلب ذلك الظالم ما زال عطف ينبض سيجعله مع ترملها متسامحا...أو أن فى رأسه ما زالت ذكرى عن أخيه ستجعله بيتم ولدها رحيما...لم تملك اذن الا استسلاما لآخر الحلول فأجابته بنبرة المحتسب المظهر المزيد من التجلد :

-لك ذلك يا (عباس)...لك ذلك...هل من اعاقة أخرى تود وضعها فى طريقى؟؟

رد (عباس) وقد عقد كفيه الى بعضهما فباتا متشابكي الأصابع :

-ليست عقبات يا (أمينة)...انه فقط حفظ للحقوق لا أكثر...أولا أرث فى أخى؟

-بل ترث مادمت رضيت ذلك...الى اذن بالمفتاح !

-لا عليك بذلك يا زوجة أخى...فلتدعى تلك المهمة لى أكون أنا الكفيل بها...سأدير أنا كل شئ ولك نسبتك مع مطلع كل شهر !

لم تعد (أمينة) تقوى على احتمال استفزازات أكثر...قامت من مقعدها ثائرة وقد علا صوتها:

-كفاك اثارة يا (عباس)...ماذا تقول؟...لن يكون ذلك أبدا...فما أدرانى أنك ستكون ذلك الأمين الذى يضمن لى ولولدى ما لنا من الحقوق؟

قاطعتها (كوثر) تلك المتابعة للحوار فى هدوء باعجاب غريب بنذالة زوجها قائلة:

-ألا...تثقين بنا يا (أمينة)؟

التفتت لها (أمينة) وقد حمل لسانها الرد القاطع:

fb.com/Book.juice

عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

هذا الكتاب حصرى على جروب عصير الكتب

انضم الينا لتحصل على كل ماهو جديد

follow me : facebook.com/OmaR.1.Bs

-بل لا أراكم أهلا لثقة أحد يا عزيزتى...سواء كان هذا الأحد أنا أو غيرى...وأظنكم جديرين بحق بانعدام الثقة هذا

نالت تلك الكلمات الحقة من (عباس) كثيرا فكانت نبرته الحادة التى كساها ذلك الارتفاع الملحوظ فى صوته وقد قاطع حوارا أوشك على البدء بين زوجته وأرملة أخيه:

-كفانا هراءا...لا تهمنى ثقتك بى بأى حال يا امرأة...لن يسير الأمر الا كما قلت قبل قليل...لن أضيع من وقتى أكثر من ذلك فى كلام لا أراه يأتى بجديد النتائج...نسبتك ستصلك بداية من أول أيام الشهر القادم...أُغلق باب الحوار الآن ولا أراه سينفتح من جديد!

قالها وانصرف تتبعه زوجته تاركين تلك المسكينة وحدها تحتسب عليهما خالقها الذى لم تعد تملك من الملاجئ الا اللجوء لرحمته بها وقدرته عليهما...عادت شقتها حاملة لخيبة الأمل أختاما...مالكة لعسر العيش أقلاما...ومابين أختام الخيبة وأقلام العسر كانت تلك الصحف لحياة كانت صعبة وباتت أكثر صعوبة سطرتها وتسطرها وستسطرها بدموعها طيلة أعوام...هى اذن تلك الاستمرارية لما عهدته من ضيق للعيش...بل انه بات أشد ضيقا والله وحده العالم الى اى مدى ستمتد شدته...

مر على ذلك الوضع ما يقارب السنتان...منوال وحيد لا خلاف فيه...نظام فريد لا حياد عنه...دخل أقل من أن يوصف بالبسيط اعتادت عليه (أمينة) وولدها الذى يستعد لخوض أول خطواته فى درب التعليم...لم تكن لتغفل عن جور (عباس) على بعض من نصيبها فى كثير من الأحيان على جزء من نصيبها...تارة بوسواس من زوجته لاشباع رغبتها فى اذلال جارتها...وأخرى بوسواس من شيطانه لاشباع رغباته المتزايدة من المخدرات...أيا كان سبب الجور أو مصدر الوساوس فهى لا تملك فى الحالين وهى الضعيفة شكوى ولا تقدر وهى الوحيدة أى وسيلة من وسائل الاعتراض...لم يكن ينير ذلك الظلام الحالك الذى طغى على أيامها الا صغيرها الوحيد (وحيد)...كان بدرا وسيما فى ليل دنياها البارد...شمسا مشرقة فى نهار حياتها الغائم...بل وامتداد جميل لحياة آخذة فى الغروب ملكتها أمه وأخرى غربت بالفعل فقدها أبوه...هكذا كانت صورته فى مخيلة أمه...كانت ترى فيه زهرتها الوحيد فى صحراء لم تعهد بها الا الأشواك...ظلها الأوحد فى فيافى لم تجد بها الا الحرور...وعليه كانت آمالها فى التطلع الى حياة هادئة بعيدة عن ذلك الشوك فى صحارى القهر وهذا الحرور فى فيافى الظلم.

ظلت دوما ذاكرة لذلك اليوم الذى حمل قليلا من أمل بعد كثير من يأس...انتظرت صباحه طويلا ليكون بشرى فجر لليل طويل انتظرت نسماته سنوات...كانت على يقين أنها لا زالت فى بداية الطريق لكنه انتظار الذى داهمه الأرق فبات يرى فى أى وميض ولو خافت اشارة لقدوم صباح طال انتظاره له...خطوة ايجابية فى سبيل لا علم لأحد بنهايته أو عدد خطواته الا الله...كان أول أيام (وحيد) فى مدرسته الابتدائية...استيقظت باكرا لاعداد صغيرها لذلك اليوم الذى انتظره وانتظرته أمه كثيرا...اتجهت الى حجرته البسيطة المواجهة لحجرتها الأشد

بساطة...سمعت حديثا لم تألفه وان ألفت نبرة المتحدث الذى قاده...بل انها تعجبت لسماعه وهو يبدو من طرف واحد...اقتربت فى هدوء شابه حذر من باب حجرته ثم ألقت تلك النظرة لاستكشاف ما يدور فى غرفة صغيرها...رأته فى كامل جاهزيته لأول أيامه الدراسية...رداء جديد معهود لجدد الملتحقين بأولى سنواتهم التعليمية...وقف مرتديه وقبلته تلك النافذة الصغيرة التى توسطت احدى حوائط غرفته...ظهره الصغير حامل لحقيبة شبه فارغة تنتظر ارتواء ظمأها بكتب ولو بسيطة المحتوى سهلة الأسلوب ملائمة لمن هم فى مثل سنه...وجُه ذلك الظهير النحيف ليكون فى مواجهة باب حجرته الخشبى الأبيض...أما عن ذلك الحوار الدائر فكان بينه وبين صورة قديمة لا تحوى من الألوان سوى لونين طغى الأبيض فيهما على نظيره الأسود...لا تضم من الأشخاص كذلك الا شخصين حمل الكبير فيهما الصغير...صورة تعد أعزُ ممتلكات هذا الصغير ابن السادسة...بل انها أثمن ما يضمه ذلك العش الصغير الذى العش الصغير الذى جمعه بوالدته...توجه لها بكلمات بالنسبة لعمره تُعد نائلة من بلاغة الادباء الجانب الكبير...حائزة من فصاحة الكُتَّاب النصيب الضخم...لم يكن للبلاغة قاصدا أو لفصاحة مريدا وهو المنفرد بصورته مع أبيه...لكنها السليقة الصافية لطفل مشتاق لوجه أبيه...الفطرة النقية لصبى طواق لقبلاته التى طال غيابها كثيرا...استمرت متابعة (أمينة) لولدها القائل:

-اشتقت اليك كثيرا يا أبى...لا زلت ذاكرا آخر كلماتك لى فى آخر مرات لقاءنا...طالبتنى ساعتها بالالتزام بوصايا أمى لتكون راضيا عنى...أقسم يا أبى أنى أفعل ذلك بأقصى مما أستطيع لأنال رضاك...بأمكانك حتى أن تسألها حينما تعود...متى تعود يا أبى؟؟...قلت لى حين غادرت أنك لن تتأخر...لست غاضبا منك لأنك تأخرت...فقط أريدك أن تعود سريعا...ها أنا أستعد لأول أيامى فى المدرسة يا عزيزى...اتفقت مع (حسام) ابن عمى (عباس) على أن أذهب معه...هل تذكر (حسام) يا أبى؟...انه فتى طيب ويحبنى كثيرا...قال لى أيضا أنه يحبك جدا...كنت أود الذهاب بصحبتك بدلا من (حسام) كما وعدتنى قبل ذلك وحلمنا به سويا...لكنى سأستعيض ب(حسام)مؤقتا حتى تعود...بامكاننا حتى أن نذهب نحن الثلاثة...لا أدرى لماذا تأخرت هكذا يا أبى...أمى حتى لا تريد أن تخبرنى...وأنا لا أحب سؤالها عن ذلك لأنها لا تحب الحديث فى ذلك...لا أعلم لماذا...لكن اطمأن يا صديقى فولنك (وحيد) رجل يستطيع أن يؤنس وحدة أمه حتى تعود...لكنى أبدا لن أملأ فراغك الذى تركته بيننا...سأنتظرك على آحر من الجمر لنلعب سويا ونذاكر سويا وتجمعنا وأمى مائدة طعام واحدة...هل تعلم؟ رغم أن أمى بارعة فى اعداد الطعام الا أنى لا أجد له مذاقا جميلا كذلك الذى كنت تطعمنى اياه فى فمى وأنا صغير...لا تتعجب من أنى لا زلت ذاكرا لطعمه حتى الآن...فأنا كما تقول أمى قوى الذاكرة...ها قد حان وقت الذهاب الآن أيها البطل...سأعود بعد ساعات لأروى لك أحداث أول أيامى فى مدرستى الجديدة...سأنتظر كذلك ذلك اليوم الذى أجالسك فيه نتبادل حديثنا كالسابق...الى لقاء أتمناه قريبا يا والدى العزيز.

مشاعر متداخلة تعانقت سويا فى فؤاد (أمينة) تلك المتابعة لصغيرها فى هدوء دون أن يشعر بها...كانت على ثقة أن وقتها لم يسعفها لتتابع ذلك الحوار البرئ من بدايته...لكن يكفيها ما نعمت به مسامعها على أية حال....فلا تظن أنها كانت ستسمع أكثر براءة ولا أعظم خيالا من

ذلك...لا تدرى أتعجب من ذلك الوفاء الذى حمله طفل لأبيه لم ينهل من حنانه أكثر من أربعة أعوام أو أقل قليلا...لا يذكر من أحداثهم أكثر من عام أو يزيد...أم تحزن لحلم ضائع لصغير لا يتعدى كونه سراب لتائه آمل فى خلاص ليس على دراية بضياع حلمه...لكنه على أية حال كان تعبيرها ذلك الذى اقتصر على دموع سائلة جمعت فرحة الاخلاص وحزن ضياع الحلم.

جففت (أمينة) ما سال على خديها من الدموع بسرعة وخطت الى صغيرها متظاهرة بعدم رؤيتها لما كان...وضعت كفًها فى رفق على كتفيه مائلة برأسها على رأسه...انتبه لها الصغير فكان ترحيبه البسيط بأمه بابتسامة رسمتها ريشة التفاؤل على ثغره وأظلتها عيناه البريئتان قائلا:-مرحبا يا أمى...صباح الخير

كانت اجابة أمه حاضرة سريعا وقد بادلته ابتسامته بأعرض منها وان افتقدت تلك اللمسة من التفاؤل التى ملكها صغيرها:

-مرحبا يا عزيزى...أراك أعددت نفسك بنشاط لأول أيامك الدراسية...بارك الله فيك يا ولدى.

تهلل وجه الصغير فرحا بثناء أمه...بادر بتقبيلها وقد عزم على أن يريها تفاصيل مظهره الأنيق ليظفر بتلك الشهادة التى يطرب لها بكونه الأكثر وسامة الأرقى مظهرا...كلمات اعتاد على سماعها من أمه يعجب بها غرور هذا الصغير المكسو ببراءة من هم فى مثل سنه...تعلم منه أمه ذلك وعليه فلم تكن لتبخل عليه ببعض الاطراء وهو آخر الأعزاء فى حياتها.

دقائق معدودة جمعت حديثا باسما بين الأم وصغيرها أنهاه ذلك النداء القادم من الخارج:

-(وحيد)...هيا لقد تأخرنا

رد الفتى فى عجلة:-حاضر يا (حسام)...ها أنا ذا قادم فانتظرنى

هرول الى باب الشقة تتبعه أمه...تلك التى نادت ذلك الفتى الذى ناهز الحادية عشر لحديث صغير على انفراد بذاته بوصية يعرفها ذلك المنصت الصغير:

-كما أخبرتك يا (حسام)...احرص على ابن عمك فى أول أيامه...لا أظنك بحاجة لوصية كهذه يا عزيزى

-لا تقلقى يا زوجة عمى...(وحيد) كأخى لن أغفل عنه ولو للحظة...لست بحاجة لوصية كما تقولين

-بارك الله فيك يا بنى...لست بحاجة كذلك لحرصك على عدم معرفته بقصة استشهاد عمك يا (حسام)...فهو كما تعلم على علم بغيابه لسفر فقط ليس أكثر.

-أعلم ذلك جيدا يا زوجة عمى وسأحرص عليه ان شاء الله...لا تقلقى بشأنه

-فى أمان الله اذن يا بنى هيا حتى لا تتأخرا حفظكما الله.

fb.com/Book juice

بدأ الصديقان...أو الأجدى وصفهما بالأخوين...يخوضان ذلك الطريق على نحو من الهدوء كان عليه(حسام) وآخر من العجلة كان عليه (وحيد) ذلك المتلهف لحياة أكثر تشعبا وأشد ضجيجا...طغى هدوء أكبرهما على عجلة أصغرهما بالطبع فكان ذلك الترجل الهادئ لطالبين فى بداية طريقهما العلمى...نفس المشاهد التى ألفها (وحيد) فى خروجه مع أمه مرارا...اسراع للبعض...تهاد لبعض آخر...بعض ثالث سيره بين الاسراع والتهادى...ظلا على ذلك حتى وصولهما الى ذلك البناء القديم المجسد لمدرسة من مدارس الأسكندرية...بناء آخر واجه ذلك البناء الأول ليكمل صورة المدرسة المذكورة وقد ضما بينهما ذلك الفناء الواسع الذى اختلطت فية النداءات وتداخلت فيه الأصوات...باب حديدى أخضر كبير ضم خلفه المبنيين وفناءهما وقد فتح ذراعيه لاستقبال المزيد من ضيوفه...أمواج من نشأ صغير شارك الزهور جمالها...قاسم الملائكة براءتها...بل وكان صورة من صفاء سماء الربيع ضمتها تلك البقعة من الأرض...خاطون أولى الخطوات فى طريق طويل لا يعرفون المخبوء فيه لهم...ناطقون أولى الكلمات فى حديث مع الحياةلا يزال فى بدايته لا يفقهون المستتر بين عباراته...اقتصرت همومهم فقط على بعض من دروس سيحملون هم سؤال فيها بعد أشهر...انتظام فى الملابس غير معهود كثيرا بين أصحاب تلك السن...لعل أكثر ما أثار اعجاب (وحيد) فى ذلك كله تلك المجموعات المقسمة فيما بينهم بين الخمسة والستة...الى جانب تلك الأصوات المتداخلة التى لم يظفر منها بكلمة ذات معنى مفهوم...فقط ضجيج عشوائى أحاط جنبات المكان...أحاديث لا تبدو ذات أهمية وان كان القائل والمتلقى يعتبرانها أهم ما يمكن قوله فى تلك الأثناء...ترى أفواها تتحدث فى اهتمام وآذان تستمع بنفس القدر من اهتمام الأفواه...أضف الى ذلك المشهد تلك الهرولة لأقدام صغيرة لا تسعفها دقة خطواتها فى اجتياز سريع لطريق هم فى اجتيازه متأخرون...دقائق وانتظم الجميع بعدها فى صفوف كان (وحيد) من ضمن المصطفين فيها...كل يعرف مكانه رغم صغر سنه...لعله التكرار الذى عهده القدامى منهم فى وقفتهم تلك وكان لهم المحدثون تبًاعا فى ذلك.

وقت ليس بالطويل تبع تلك الأحداث التى استمرت بعض أجزاء من الساعة ما بين دخول للمدرسة وانتظام فى الطابور...انطلق بعده الجميع الى فصولهم...لم يكن صعود (وحيد) ذلك الدرج القديم لمدرسته بالمشابه لغيره من جدد الطلبة...شاركهم تلك الخطوات التى تعانى بعض الغرابة فى بيئة جديدة بعيدة بعض الشئ عن رفاهية البيت...لكنه ومع حداثة سنه كان مالكا لذلك الدافع المكسى برغبة فى صعود سلم المجد من بدايته حيث أولى الدرجات المتجسدة فى أول سنوات تعليمه...سار فى ذلك الصف الطويل من أقرانه بين طرقات المدرسة حتى وصوله الى فصله الجديد...اتخذ مكانه فى ركن بعيد على يمين القائم بالتدريس...وكانت تلك أول اللحظات لأول الأيام لأول الأعوام فى دراسة هذا الصغير.

انتهت الساعات سريعا وغادر (وحيد) فصله يتوّجه ذلك التاج من النشوة المزين بجواهر من التطلع لمستقبل يرجوه وتمناه له والداه...قد يدعو للعجب ذلك الاحساس العميق بالمسؤلية من صاحب لتلك السن...لعله الشعور بالوفاء لأمه الذى رأى منها دعما لا يدفع الا لمثل تلك الرغبة فى النجاح...لعلها الرغبة فى لقاء أبيه وهو متربع على عرش من السمو يجعله فخورا

به...لعله أو لعلها لا يهم كثيرا رغبة النجاح أو دافع السمو...فالأولى بالملاحظة كانت تلك الارادة لطفل لم يحزها غيره من أصحاب العقود.

اتجه ذلك الصغير الى خارج المدرسة حيث كان بانتظاره ابن عمه ليصحبه الى البيت كما كانت توصيات أمه له...رآه من بعيد واقفا مع بعض أصدقائه الذين لا يعرف من بينهم أحدا...اقترب فى خطوات بطيئة سمتها الخجل...فلم يعتد كثيرا مقابلة الغرباء...القى السلام فى أدب...التفت اليه الواقفون وقد ردُّوا تحيته فى بشاشة...التقاه (حسام) فى حب وقد بسط ذراعه على كتفيه...ثم بدأ فى تعريفه لأصدقائه وتعريف أصدقائه له... بادره أحدهم بقوله:

-انت اذا (وحيد) ذلك الصديق الصدوق لصديقنا...لطالما حكى لنا (حسام) عن علاقتكما الوطيدة...تسرنا معرفتك يا عزيزى أهلا بك

-بلى يا صديقى أنا (وحيد)...(وحيد محمد المصرى)...ابن عم (حسام)...بل انى أعتبره أخى الأكبر...حكى لى كثيرا عن صداقته بكم أيضا...انا سعيد حقا لأنى قابلتكم اليوم

التفت آخر من بينهم بقوله:-عليك أن تفخر أيها الفتى بوالدك الشهيد...لكم تمنيت أن يكون أبى محاربا...لكنى بالطبع لم أكن لأتمنى وفاته.

قالها وقد أتبعها بضحكات علا صوتها واتسعت لتشمل الجميع الذين بدوا وكأنهم يستمعون لنكات أجدر من أن تمر دون ضحك مدوى

لم تدخل (أمينة) شقتها طوال يومها ذاك...قضته فى شرفتها تتابع بشغف وصول صغيرها وقد تعلقت عيناها بذلك الشارع الطويل تنتظر ظهور ابنها وصديقه فى بدايته...طاقت كثيرا لحديث ابنها المطرب عن أول أيامه فى مدرسته الجديدة...هيئته فى الصباح كانت توحى بنيته فى قضاء يوم حافل غير قابل للنسيان...رأت أن تشغل وقتها بشئ ما يقتل ذلك الملل المشاب بالقلق...وجدت نفسها تتأمل باسمة لتلك الصورة التى كان صغيرها يتأملها قبل ذهابه...أب يحتضن صغيره فى هيئة لا تحمل الا انتظارا لمستقبل سعيد يتمناه الحاضن للمحتضن...ويرجوه المحتضن فى كنف الحاضن...ذهبت ثانى الأمنيات الى غير عودة وبقيت الأولى آملة فى تحقيقها وسط دعوات من تلك الأم الأرملة بتحقيق مراد زوجها لابنها...نظرات عميقة نظرتها لتلك الصورة تناجى صاحبها الراحل:

-آه يا زوجى العزيز...تركت لى ما لا أقوى على حمله بمفرده...كم تفتقدك حياتى وحياة صغيرك...ما زلنا بحاجة لعونك رغم اعتيادنا على العيش بدونه سنوات...كبر (وحيد) وها أنا أنتظر عودته من مدرسته ليحكى لى عما حدث...أظنه سيحكى لك أولا على أية حال...عليك أن تفخر بوفاء ابنك يا (محمد)...يحبك كأنه جالسك عشرات الأعوام...لا أظنه على استعداد الآن لمعرفة خبر رحيلك أو حتى مجرد التفكير فيه...مازال أمامه الكثير ليدرك المعنى الكامل لغياب أبيه للأبد...يعيش الآن أجمل لحظات عمره المفعمة بأمل قوى فى رجوعك قريبا لتشاركه

جمال اللحظات وقوة الأمل ...لا أظننى بحاجة لهدم آماله الآن بلا مبرر قوى...لست بحاجة كذلك لاخبارك عما يفعله معى أخوك وزوجته...أظنك أعلم بهما منى...لا بأس بذلك الآن فأنا أتحاشى مواجهتهما بكل السبل الممكنة...حتى وان حدث وتمت مواجهة لسبب من الأسباب فقد اعتدت على ذلك الاستفزاز من أخيك وتلك الاثارة من زوجته...لم أعد أعبئ بهما كثيرا بعد استشهادك...لكن أتعلم يا (محمد)...رغم كل ما نقاسيه منهما الا أن (وحيد) لا يجد راحته وسلواه الا فى مجالسة ابنهما (حسام)...انه فتى طيب الى أقصى الدرجات...كأنه نبت من طينة أخرى غير طينة أبيه وأمه...يكفى أنه الصديق الأوحد لصغيرنا العزيز...آه يا عزيزى لقد خدعنى الوقت كثيرا...أظن على الانصراف الآن لاعداد بعض الطعام حتى يعود ولدك...كن بانتظاره ليروى لك تفاصيل يومه فى أى وقت...الوداع يا زوجى العزيز.

كانت كلمات ذلك الفتى ل(وحيد) أشبه بسكين اغتال كل ما حواه من أحلام ببقاء أبيه... كانت الكلمات لفتى أصغر من أن يعى تأثيرها على ذلك اليتيم الصغير...لم تعلمه السنوات بعد أن للكلمات أنصالا قد يكون تأثيرها أقوى من أنصال الرماح...ضجَّ الموقف بالضحك من الفتيان بعدما سمعوه من صديقهم وكان لأسماعهم طرفة وجب الضحك لسماعها...شخصان فقط كان موقفهما مغايرا...صديقهم (حسام) الذى حاول جاهدا منع كل ما كان من الكلام والضحك بلا تكليل بالنجاح لمحاولاته...و(وحيد) ذلك الطفل الذى لم يستوعب ما قيل...أو بالأحرى لم يشأ أن يستوعبه...اتجه بنظراته الى ابن عمه لاستيضاح المقصود من كلام اصدقائه...لم يظفر منه باجابة بعد أن أشاح عنه بوجهه الى جهة أخرى فى خجل مشاب بالحزن من وقوع ما حذرته منه زوجة عمه وحملته أمانة عدم حدوثه...لم يكن (حسام) ذلك الشخص صاحب الخبرة الكافية التى تسمح باحتواء ابن عمه المصدوم...ذلك الذى اكتملت فى ذهنه أخيرا الحقيقة الكاملة الآن...لم يكن ليصمد أكثر من ذلك فاندفع باكيا مهرولا باتجاه البيت يتبعه ابن عمه وسط دهشة الفتيان الضاحكين.

لا زالت (أمينة) منتظرة صغيرها بعد عودتها الى شرفتها بانتهاء ما كانت تنوى انجازه من الأعمال...فوجئت بتلك الطرقات المتتابعة التى كادت تعصف بالباب...أسرعت لاستكشاف الطارق ودافع ثورته...وما كادت تفتح الباب حتى رأت ذلك الصغير الذى هرول سريعا الى حجرته وأغلق بابه بلا كلام وسط دهشة الأم المذهولة التى أذالها وصول ذلك الفتى (حسام) فبادرته بسؤالها عما حدث:

-ماذا حدث يا (حسام)؟... ما بال (وحيد)؟

فحكى لها ما حدث جملة وتفصيلا ليضيف الى أزماتها الجسام أزمة أخرى وقد انها سرده بأسف دامع على ماكان رغما عنه ولم ينجح فى انهاءه...

حاولت (أمينة) تكرارا بعاطفة الأمومة الدخول لاحتواء ولدها...لكنه لم يكد حتى يستمع لتوسلاتها ونداءاتها...اختلى بنفسه بعدما ألقى حقيبته أرضا...لم تكد عيناه تسعفاه برؤية جيدة

لمعالم حجرته بعدما أصابها من غرق وسط فيضانات من الدموع...لم تسعفه قدرته المحدودة بالسيطرة عليها فكان ارتماءه على سريره باكيا بصوت تسمعه أمه من الخارج فينفطر له ولدموعه فؤادها.

دافع كان الشوق الممزوج بالحزن منشأه قاده اليها...رغبة كان الحب المشاب بالألم منبتها وجهته نحوها...غمره حنين لاسترجاع ما كان من قليل الذكريات...تحولت نظراته من تلك الدامعة الى لا شئ بين أركان حجرته الى ركنها البعيد الذى أسكنها فيه قبل ساعات قليلة قبل رحيله...تغيرت هيئته من تلك المنهارة المرسومة على فراش حجرته...الى تلك التى كساها رداء من النشاط الذى رقعته الآم الوداع...نهض الى مكتبه الصغير القديم حيث يجد ما أراد التطلع اليه...لم يشعر بنفسه الا مترجلا من فراشه الى مكتبه الصغير القديم فى ركن الغرفة...خلى المكتب تقريبا من أى معالم توحى بنسبته الى طالب علم...فقط قليل من أوراق بيضاء لشغل فراغه...مصباح صغير اقتصر نوره على اضاءة محيط صغير للجالس على ذلك الكرسى الصغير أمام المكتب...مجموعة من أدراج موصدة لم يستغل منها الا أولها فقط...وباقى الأدراج موضوعة لاكمال هيئته ليس أكثر...امتدت يده الصغيرة التى تعرف غايتها الى ذلك الدرج الذى لم يعتد كثيرا على من يغيثه بالفتح الا هذا الصغير من حين لآخر...اقتنص تلك الصورة التى كان ماسكها منذ ساعات...اختلفت لغة الحوار الآن عن حوار الصباح كثيرا...لم يكن بالقادر على الحديث بتاتا...فقط عبرات كانت أصدق من أى حديث يمكن أن يقال...استعاض بالدموع عن الكلمات...طالت نظراته واختلطت الأحاسيس بداخله ما بين الصدمة والحزن...ظل على حالة من التأمل الطويل لتلك الصورة مشتاقا لما كان من حنان ما قبلها تارة وشاكيا مما كان من قسوة ما بعدها تارة أخرى...عاد الى فراشه محتضنا صورته فى عنف وبات ليلته وعيناه تمطران وسادته حتى نمت بها للأحزان أعشاب وشُقت بها للأشجان قنوات.

غلبه النعاس وهو الصغير الذى لم تسعفه قواه الضعيفة ببقاءه سهرانا حتى الصباح التالى للأحداث...

لم تغفل عينا أمه ولو للحظة...ظلت مراقبة باب حجرته وقد استسلمت لأسره لنفسه بين جدران أربعة...نشرت خيوط الصباح الأولى سطوتها على البسيطة...فقدت الأمل فى فتح وليدها للباب فكان لجونها لكسر قفله الضعيف بآلة حادة من بين تلك المعتاد تواجدها فى أبسط المنازل...كان لها ما أرادت على كل حال وانفتح الباب لتدخل بعدها بحذر بعدما لحظته من الهدوء المخيم على أرجاء المكان...عشوائية عمت المكان ما بين حقيبة ملقاة فى عنف على أرضية الحجرة...مكتب مبعثر القليل من أوراقه ومفتوح أول أدراجه...أنوار خافتة لا تكاد تكفى لرؤية واضحة للسائر بين جنبات الغرفة...وأخيرا جسد صغير مفروش على سريره فى هيئة ان دلت فلا تدل الا على انهيار تام...لم تتغير صورته المدرسية عن آخر المرات التى رأتها فيها أمه حتى فى حذائه الذى لم يعبأ بخلعه...كانت تلك اذن هى الصورة الكاملة القاتمة لحجرة كساها الحزن لحزن صاحبها فكان تعبيرها عن حزنها بغياب نظامها المعهود.

fb.com/Book.juice

اقتربت منه فى هدوء وقد سارعت بخلع حذائه...أحس بقربها منه فحول وجهه الى حيث قدميه ليستطلع مصدر يقظته...كشف رفع رأسه عن وسادته وما بللها من الدموع ثم ما كان بين خده وقماشها من صورته التى تركها على وسادته فى ليلته تلك...لم يكن كابوسا اذا كما ظن الصغير...بل كما تمنى الصغير.

التقت عيناه بعينى أمه الباكية على حاله فبللها بالمماثل من تلك الدموع...فكان حديث العيون الذى عجزت فيه الألسنة عن اتخاذ دورها المعهود فى ايضاح المواقف.

انتهى ذلك الحوار الباكى بين عيونهما الدامعة بذلك الحضن الذى كان للصغير ملجأه الذى أعاد اليه كثيرا من حنان افتقده فى السابق من ساعاته...أمسكت (أمينة) بذراعى ولدها وقد عزمت على حديث يعيد له بعضا من حماسه المفقود...وقليلا من رغبة نجاحه التى أسرها حزنه الأكبر من أن يطال مثله...بدأته قائلة فى صوت لا زال مخنوق بعبرات صاحبته:

-(وحيد)...استمع الى جيدا يا بنى...أعلم ما بك من الألم يا صغيرى فقد عايشت مثله قديما حين مررت بمثل الموقف ومات أبى فى طفولتى...وأعلم أيضا ما يداهمك من التساؤلات حول قيامى باخفاء الحقيقة عنك طوال الفترة الماضية...لم أكن يوما لأتسبب فى دمعة تذرفها عيناك يا عزيزى...لم يكن فى مخططاتى أبدا طمس الحقائق عنك...انما هى فقط الرغبة فى اختيار التوقيت المناسب لاستقبالك الخبر بأقل الأضرار...

استطردت وقد ارتسمت على ثغرها ابتسامة خافتة من وراء قلبها للتخفيف عن صغيرها بعض أحزانه:

-هل أخبرك بسر يا (وحيد)...تكاد السعادة تقتلنى الآن الى ما فوق السحب...أتعلم لماذا؟...لأننى أضم بين أحضانى طفلا فى مثل وفائك...بل رجلا فى مثل وفائك ما زال يحمل ذلك الاخلاص لأبيه الشهيد الذى لم يعايشه كثيرا...فخرى بك لا يقل عن فخرى بأبيك يا بنى...أنا الآن أرملة لمقاتل وأم لفتى أظنه سيكون على غرار أبيه...أبوك بطل يا (وحيد)...كن على ثقة من هذا...بل عليك أن تفخر بذلك لا أن تجعله من أسباب انكساراتك...طريق الحياة طويل أمامك يا بنى...اجعل من استشهاد أبيك دافعك لاستكماله فى نجاح...لتكن صورته دوما فى ذهنك جنبا الى جنب مع صورتك التى تودُّ وأودُّ وودَّ أبوك أن تصل اليها يوما ما...الموت قدر الجميع يا صغيرى...كما أن للنهار نهاية يحملها ظلام الليل...كما أن للربيع نهاية تحملها رياح الخريف...كذلك للانسان نهاية يحملها موته...يبقى الفارق فى ما كان قبل تلك النهاية القادمة لا محالة من أعمال...اما بخيرات الفعل التى تنقله الى نعيم الجنان...أو ولعياذ بالله بشرورها التى تهوى به الى جحيم النيران...كان أبوك من النوع الأول وأرادك مثله ولا أحسبك تبخل عليه بما أراد وأنت تحمل له كل هذا الحب...لتكن اذن كما رأيتك تعده صباح أمس وأنت تمسك صورتك تلك...اجعل من تلك الصورة صديقا داعما فى القادم من سنوات عمرك تتذكر بها أن لك أبا أراد لك النجاح يوما ما...ضع فى اعتبارك دوما انك ابن للبطل (محمد المصرى) فلتكن اذن خير الخلف لخير السلف...الحزن يا عزيزى هو ذلك الخليل الغادر الذى يرافق الانسان يتحين الفرصة ليأتى على الأخضر واليابس فى حياته التى يأملها ويأملها له محبوه...لا أطلب

منك عدم الحزن بالطبع...فالحزن على الأحباب سمة الانقياء المخلصين...فقط اجعله المحكوم وأنت الحاكم فلا يتحكم فيك...وانا بجوارك يا بنى لتصل الى ما تريد بسلام ان شاء الله...هل تفهمنى يا (وحيد)؟...هل تعى ما أقصده يا حبيبى؟

كانت لتلك الكلمات أكبر الأثر فى نفس الصغير...رد فى صوت مبحوح من البكاء وقد جفت بعض دموعه أخيرا:

-نعم...نعم يا أمى أعى ما تقولين

تهللت أسارير (أمينة) بعد تلك التدابير المحكمة للأقدار التى أزالت عنها حملا حملته لسنوات وهى خائفة من مثل هذا اليوم...اتجهت لابنها بابتسامة صغيرة قائلة:

-هل لى أن أطلب شيئا من ولدى العزيز؟

-بالطبع يا أمى

-ما رأيك بنزهة صغيرة الى شاطئ الاسكندرية الآن فى ذلك الصباح المشمس؟...ولا تختلق أعذارا فلم أتعود من بطلى الصغير أبدا على رفض رغبة تريدها أمه...اليس كذلك؟

أتبعت طلبها ذاك بابتسامة صافية ولمسة من يدها على خده الأكثر صفاء...لم يملك الصبى ردا على أمه الا تقبيلا ليدها الماسحة خده فكانت موافقته اللاملفوظة.

وقت ليس بالطويل استغرقاه حتى كان سيرهما الوئيد بين طرقات الأسكندرية...صورة جميلة لا تنقصها الا تلك اليد الفنانة التى ترسمها...أم تطوق كتفى صغيرها بذراعها الأيسر...ومن حين لآخر تتخذ أصابعها تلك الطرق المتباينة بين خصلات شعره الكثيف...ينظر اليها من حين لآخر نظرة حاملة لكل معانى الحب ومفاهيم العرفان بالجميل...وقد أمسك يدها فوق عاتقه بكلتا يديه الصغيرتين...طال سيرهما وحديثهما حتى وصولهما الى تلك البقعة النائية نوعا ما من الشاطئ الاسكندرانى...منطقة هادئة لا تعهد كثيرا من زوارها...فما كان من (وحيد) الا أن بادر أمه متعجبا:

fb.com/Book.juice

-أين هذا المكان يا أمى؟؟...كأنى بى أراه لأول مرة.

ابتسمت الأم لبراءته ومحدودية معرفته مجيبة:

-بلى يا بنى أعلم ذلك...انها منطقة ليس بينها وبين البحر أسوار...اعتاد أبوك رحمه الله اللجوء اليها كلما داهمته المشاكل أو حاصرته الهموم...انظر...انظر يا (وحيد) الى تلك الأمواج وتلاطمها ما بين عشوائية ونظام...أليست جميلة؟

فكر الصغير قليلا وكأنه لا يرى ما تراه أمه...بدا معارضا لها بقوله:

-لا أرى فيها جمالا يا أمى...انها مخيفة لدرجة أنى أخشى حتى من الاقتراب منها أكثر.

رفعت الأم السعيدة ببراءة ولدها رأسها وقد أظلتها ضحكة خفيفة مما قال...التفت اليها الصغير متعجبا:

-على ماذا تضحكين يا أمى؟

-على براءتك يا صغيرى...أتعرف لماذا ترى البحر مخيفا يا (وحيد)؟

-لماذا؟

-لأنك فقط تريد أن تراه كذلك...أو لأنك بالأحرى نظرت الى ظاهره المخيف ولم تعبأ بما ضمه بين أمواجه تلك من عبر

-ما زلت لا أفهم يا أمى

-لا تكن متسرعا يا حبيبى...تتخذ المظاهر مقياسا للحكم على أى شئ تراه...كن غواصا فى الأمواج لا تقصر حكمك على البادى أمامك على السطح فقط...فالباطن يحمل فى العادة الكثير من المفاجآت المناقضة تماما لما فوق الأسطح...هل تعلم أن فى أعماق تلك المياه نار مستعرة؟

تعجب الصغير وقد شغر فاه متسائلا:- ماذا؟

-نعم يا بنى هكذا قال الله تعالى فى قرآنه:- والبحر المسجور.

نظرت بعد كلماتها تلك الى طفلها الذى تجلت عليه علامات عدم الفهم من قولها الا القليل فاستطردت موضحة:

-انصت يا (وحيد) الى كلامى هذا وليكن عالقا فى ذهنك مدى حياتك...لأنك حزين يا بنى ترى الكون كله كذلك يكسوه الظلام...ترى بحره مخيفا وان كان ساحرا...شمسه متوارية وان كانت مشرقة...قمره مختفا وان كان بازغا...سماءه ملبدة وان كانت صافية...زهوره ذابلة وان كان الزهو والجمال عنوانها...وعلى ذلك فلا تجعل من حزنك غشاوة سوداء تحجب عنك جمال الكون وصفاءه...اجعل من صدماتك دافعا لتكون بعدها دوما فى مقدمة الصفوف...هل فهمت ما أرمى اليه الآن؟

ظل نظر الطفل معلقا بأمه منبهرا بتلك الحكمة التى تزين كلماتها...لم يملك من الكلمات ردا على ذلك الا بقوله:

-هل تعرفين يا أمى انك من المدرسين الذين رأيتهم فى أول أيامى بالمدرسة...

ضحكت الأم واحتضنت صغيرها مشيرة الى أيكة صغيرة فى ركن بعيد على الشاطئ قائلة:

-انظر الى تلك الشجرة هناك...ما رأيك فى جلسة صغيرة تحت فروعها على تلك الرمال الباردة؟...انصحك بقبول عرضى على أية حال

أومأ الصغير برأسه موافقا وقد غمرته السعادة بتلك النزهة التى أخرجته الى حد كبير من أحزانه.

بدءا تلك الخطوات سويا فى هدوء وحديثهما متواصل حتى اقتربا منها فسبق الصغير أمه خطوتين وقد اتخذ تلك الجلسة الجديدة مستظلا بما حملته من الفروع وما ضمته من الأوراق...اعتادت تلك الشجرة على تلك الجلسة كثيرا من حاملى الهموم ومواجهى الأزمات ومن بينهم أبوه الراحل...فلم تكن اذن وضعية ذلك الصغير بالغريبة على أغصانها أو اللامألوفة لجذعها...استند الى جذعها وقد امتدت قدماه الى أحدهما فوق الأخرى تراقبه أمه فى سعادة...ظهر متكأ الى دوحته مستمدا من قوتها العجوز لقوته الناشئة...مستزيدا من شموخها المستمر لشموخه الوليد...مستعيضا عما فقده من الصلابة بما حوته من صلابة حوتها بين أغصانها لسنوات...انطلق به بصره الى ذلك الأفق الممتد أمامه بلا حدود...منظر متجدد رغم تكراره فى كل يوم يرى فيه هذا البحر...مشهد متغير رغم ثباته فى كل اطلالة منه على المتوسط فيما مضى...لحظات صاخبة رغم ذلك الهدوء الذى اعتاد عليه من تلك الأمواج فى السابق...قد يكون الوحيد الرائى للتجدد وله عذره مع ما يراه من تتابع لميقاته بين شروق وغروب...تلك الرؤية التى قد لا يلحظ الكثير مغزاها...قد يكون الوحيد الملاحظ للتغيير وله منطقه مع ما يلحظه من تردد لأمواجه ما بين التلاطم فى عنف والتتابع فى هدوء...قد يكون الوحيد المعايش للصخب وله نظريته مع ما يشهده من تبدل لحال أطياره بين تغريد وصمت...يرى أو لا يرى...يلاحظ أو يلاحظ...يعايش أو لا يعايش...لا يهم كثيرا من رواد المكان ما يراه ويلحظه ويعايشه ذلك الصغير صديق أمه...ويا لها من صداقة طوبى لعضويها...الأهم الآن أنه قد فطن لما قصدته أمه من التتابع بين الشروق والغروب...التردد بين التلاطم العنيف والسريان الهادئ...التبدل بين التغريد والسكون...هو اذن ذلك العالم المتناقض الذى بدأ هذا الصغير أولى خطواته فى فهم بعض معالمه!

انقضت بالاثنين ساعات من تأمل للابن وحكم ترددها أمه...وهما بين التأمل والنصيحة قد ضمهم حوار نجح فى انقاذ الصغير من براثن الحزن التى كادت تودى به الى لا رجعة...عادا سويا الى المنزل عشية ذلك اليوم ولمسة من الرضا قد أظلت خطوات (أمينة) تعانقها تلك اللمسة من التفاؤل المظلة خطوات (وحيد).

انتظم (وحيد) فى مدرسته بعد ذلك...يذهب فى رفقة ابن عمه وصديقه الأوفى (حسام) ويعود بصحبته رغم فارق السن البسيط بينهما...تتابعت به وبأمه الأيام على هذا المنوال بلا تغيير فى نمط حياته وحياة أمه...فقط زيادة فى قسوة (عباس) وزوجته ضمن خطة أحكمتها (كوثر) أيما إحكام لابعادهما عن المنزل والراحة من جيرتهما ووجودهما للأبد...لم تكن القسوة بالغريبة على (أمينة) وطفلها...اعتادتها ولم تكن تبدى لتصاعدها اهتماما ...هى الآن صاحبة مسؤليات أجدى بالاهتمام من التركيز فى موقف سخيف أو العبئ بكلمة من فم سفيه...لكن الداعى للقلق والمثير للضجر كان ذلك الانخفاض المتدرج فى الدخل الشهرى الذى يسوقه (عباس) اليهما...عهدته (أمينة) دوما متعللا بحجج واهية عن خسارة لأى سبب من الأسباب

التى لا تعلمها ولا يعلمها غيره...حتى كانت آخر فصول قصة النزاع تلك التى استمرت سنوات تحت سقف هذا البيت...كعادة الرابع أو الخامس من بداية كل شهر انتظرت (أمينة) طرقات (عباس) جالبا لها ما اعتادت عليه من قليل المال...لكن شيئا من هذا لم يحدث...لم يعد فى جعبتها لا من الوقت ولا من المال ما يسمح لها بالانتظار أكثر فاتجهت من فورها الى أول الأدوار مطالبة بما لها من الحقوق...طرقت بابه الذى نست يدها الطارقة تلك أصوات طرقاته التى تبغضها منذ أن خطت أول خطواتها داخل هذا البيت...لكنها الحاجة التى أجبرت يداها على ما تكرهه...كعادة الماضى من زيارتها كان (حسام) ذلك الفتى الصديق لولدها هو المستقبل لزياراتها...سكن اذنأهملت ذكراه ووجه لم تهمله وهو الزائر دوما لها ولولدها فى ثانى الطوابق...شقة تكره ما فيها ومن فيها انن ما عدا ذلك الفتى الحاند عن طريق والديه الضالين...وان كان الأحق بوصف الحاند هذان الوالدان.

ترحيب معتاد من الصبى بأرملة عمه...تبعته الى داخل الشقة حيث تلك الجلسة المعتادة لذلك المدمن وزوجته ميتندا الى جانب أريكة من الأرانك واضعا احدى قدميه فوق الأخرى...تحية روتينية فاترة ألقتها وردًاها بفتور أكثر تمثل فى ذلك الصوت الغير مسموع...بادرت (أمينة) (عباس) بلهجتها الثائرة على لا مبالاة آخذة فى التزايد:

-ألا ترى أنك تأخرت كثيرا يا (عباس)؟

التفت اليها وقد بدا أنه فى غير توازنه ووعيه:- على ماذا؟

-ألا ترى أنك قد نسيت شيئا ما؟

صمت حينا وقد ضم شفتيه وطابقهما للأمام قليلا وقد اتخذ فمه شكل الثمانية رافعا كتفيه حتى كادا يخفيان عنقه فى وضع المتظاهر بالتعجب مما تقوله مخاطبته ثم كان رده:

-حقيقة لا أرى ذلك اطلاقا...هل تلاحظين تأخيرا فى شئ ما؟

نبرة مستفزة لكلمات مستفزة لشخص مستفز دفعت تلك الأرملة السؤال مباشر عن حقوقها:

-أين حصتى الشهرية من المحل يا (عباس)

-آه...نعم نعم...هل تعلمين يا زوجة أخى...لقد ذكرتنى كلماتك فعلا بما نسيت !

-بل لا أراك الا متناسيا لا ناسيا...لا بأس بذلك الآن لم أأت لجدال من هذا النوع...الى بالمال فلم آت لنقاش حول نسيانك أو تناسيك

اعتدل فى جلسته وقد أطلق ضحكة صغيرة قائلا:

-لا لا يا زوجة أخى...لم أقصد بنسيانى ما فهمتيه...انما قصدت اخبارك جديد الأخبار عن هذا المحل.

fb.com/Book.juice

انعقدت يداها متبوعة بانعقاد لحاجبيها فى صورة التى اعتراها بعض القلق من نبرة أخى زوجها قائلة:

-أولا تسرع اخبارى بما قصدته انن...أظن الحالة لا تسمح بمناورات أو لعب بالأعصاب

-مهلا يا زوجة أخى...مهلا...سأخبرك بالتأكيد...كل ما هنالك أنى أود اخبارك بعدم انتظار دخلك الذى اعتدتى عليه هذا الشهر وما بعده من الشهور...انتهى الأمر الى غير رجعة...هذا كل ما فى الأمر.

ساعتان أو يزيد مرتا على هذين الطالبين الجالسين الى جوار بعضهما يذاكران فى حجرة أصغرهما كما يحلو لهما دوما أمر الاستذكار بين جدرانها...تركتهما (أمينة) بعدما هيأت لهما الجو الهادئ المناسب للاستذكار قبل أن تذهب الى حيث نشب حديث ساخن بينها وبين أخى زوجها...

-ها قد أنهيت ما عليك من الدروس بكفاءة يا (وحيد)...أحسنت يا صديقى

-لم أكن لأنهيها لولا مساعدتك يا (حسام)...أنت المحسن ولست أنا

-تجيد فن المجاملات بحنكة يابن عمى...لا أحسبنى أحظى به مثلك يوما

-أمى أيضا تقول لى ذلك دوما كلما ارتكبت خطأ واختلقت الأعذار

قالها قبل أن ينطلق الصديقان بالضحكات فيما بينهما دقائق...ضحكات لطفلين لا يحملان للدنيا هموما ولا يعهدون منها أزمات...فكانت ضحكاتهم الصادقة النابعة من قلب يرى فى تلك السن الوقت الأجدر بالضحك...استطرد (وحيد) كلماته الى صديقه وقد عزم على الحديث فى أمر يراه جادًا كأنه قد نسيه وتذكره لتوه:

-نسيت أن أخبرك بأمر مهم يا (حسام)

-ما هو يا صديقى؟

-رأيت بالأمس أبى فى المنام...رأيتنى أهرول وراءه لألحق به...لكنى لم أستطع ذلك حتى وصل الى قطار كأنه كان ينتظره...فهمَّ بركوبه قبل أن ينظر لى ويقول كلمة تضم القاف والهاء والراء...كأنها كانت اسم مكان لا أعرفه...نطقها وركب القطار الذى انطلق به الى حيث لا أعلم...ثم استيقظت بعدها

-ممم...حلم عجيب حقا...ألم تسأل أمك عن تفسير؟

-بلى فعلت...قالت ان هذه الكلمة ربما تكون لمكان يسمى بالقاهرة أنا لا أعرفها...قالت لى أمى أن ذلك يمكن أن يكون اشارة الى ذهابى لها فى المستقبل أو شئ كهذا

fb.com/Book.juice

-ماذا؟...لن تذهب الى أى مكان...لم أعد أتخيل الحياة بدونك وأنت الأغلى عندى بين كل الأصدقاء حتى من هم فى مثل سنى...أراك أكبر منهم لا العكس

-أنا أيضا لا أرانى أعيش هنا بدونك يا صديقى العزيز...أظننا سنذهب مع بعضنا أو شئ كهذا...

-أتعلم يا (وحيد)؟...أمى دائما ما ترى الأحلام شيئا وهميا لا أهمية له...تقول لى كلمة لا أفهمها...تقول انها أضغاث...لم أحاول سؤالها عن المعنى فلا حاجة لى بسماع اهانة أو نهر أنا فى غنى عن سماعه

-لماذا دائما تشعرنى بأنك تتخذ موقفا معاديا من أمك وأبيك؟...أظن أنهما يحباك كثيرا...أمى دوما ما تحدثنى عن حب الآباء الطاغى للأبناء.

-ليس موقفا معاديا...هو فقط ابتعاد عن المشاكل...بات المنوال الرئيسى للتعامل هو الشدة المطلقة...أنا احبهما كثيرا على أية حال أذكر أن أمى تمسح على رأسى كثيرا...كذلك أبى أذكر أنه قبّلنى عدة مرات قبل ذلك...

-ألم أقل لك أنهما يحباك؟...أمى قالت لى ذات مرة أن المرء اذا خيروه بين الهلاك وبين أن يصاب ابنه بجرح بسيط لاختار الهلاك دون ابنه...أمى لا تقول الا صدقا...أنا أثق فى كلامها ذاك كثيرا

-أنا أيضا أثق فى كلامها الى درجة كبيرة...أظنها أكثر حكمة من أمى...كما أنها أكثر عطفا عليك من أمى علىّ

امتد الحوار الهادئ التالى لانهائهما واجباتهما المدرسية طويلا فى مجالات عدة كعادة كل ليلة حتى وقت متأخر لم يعرف الملل طريقا الى قلبيهما طيلة ساعات.

كان كلام (عباس) مبهما بحاجة ماسّة الى التوضيح...ذلك التوضيح الذى انتظرته (أمينة) بلا جدوى فساد الصمت عدة دقائق قبل أن تستفسر قائلة:

-هلا أفصحت عما تريد قوله سريعا يا (عباس)...كما قلت لك لست بحاجة الى اخفاء شئ أظننى سأعلمه عاجلا أو آجلا

-ولماذا أخفى يا زوجة أخى؟...يبدو أنك تثقين بنفسك أكثر من اللازم لتتوهمى أنى أخشى اخفاء شئ عنك...لا بأس بذلك...باختصار لقد أفلس المحل وفرغ تماما من محتوياته لسداد ديونه.

كلمات قالها بفتور أتبعها باشعال سيجارة من تلك التى اعتاد على اشعالها...لم يعبأ بوقعها على تلك المسكينة التى تعنى لها تلك الكلمات طردا صريحا من المنزل وهى التى فقدت الآن ما تعيش عليه هى وولدها

fb.com/Book.juice

عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

هذا الكتاب حصرى على جروب عصير الكتب

انضم الينا لتحصل على كل ماهو جديد

follow me : facebook.com/OmaR.1.Bs

-ماذا تقول؟...هل جننت يا رجل؟...هل تعى ما تقول؟

انتفض واقفا بعدما تلقى من اهانة قائلا:

-الزمى حدودك يا امرأة...فقد تحملت من لسانك السليط ما يكفينى...هذا ما حدث ولا أملك فى جعبتى المزيد من الكلام.

حينها تخلت (كوثر) عن صمتها الطويل...ذلك الصمت الذى اكتسى رداء من الاعجاب ببراعة زوجها فى تنفيذ مخططاتها التى رتبت له لسنوات وها قد اقترب من النهاية بنجاح...تظاهرت بالحكمة بقولها:

-اهدأ يا (عباس)...فما بمثل هذا تحل المشكلات يا زوجى العزيز!

ثم اتجهت الى (أمينة) بقول زائف:

-انصتى الى قليلا يا (أمينة)...أى تجارة تحتمل الربح والخسارة يا عزيزتى وقد كان لتجارتنا نصيب من الربح لسنوات حتى نالت حظها من الخسارة أخيرا...لم يكن ذلك بالطبع متعمدا فنحن شركاء معك فى هذه الخسارة...لا أظننا بالغباء لنقصد خسارة أموالنا.

قاطعتها (أمينة) قائلة:

-أتعلمين يا (كوثر)...قد تكونين بارعة فى الكذب والتدبير...لكن ما يخفى عليك أنى أحفظك عن ظهر قلب....عهدت منك كثيرا ذلك الكلام الذى لا ينطلى الا على من فى مثل سن ولدك أو ولدى...أما أنا فلم أعد أصدق هذا الكلام الساذج...تعلمين يا عزيزتى أن هذا المال لم يكن ضمن اهتماماتك أنت وزوجك...وثبتما عليه فقط للتضييق علىَّ وعلى ولدى...أعلم أن أى تجارة تحتمل الربح والخسارة...هذا فى منطق الحياة الطبيعى...أما اذا كان نصف الربح يختلسه زوجك لشراء ما يدمنه ثم يقسم النصف الثانى الى نصفين يعطينى أحدهما فمن الطبيعى أن تكون الخسارة حليفة تجارته التى من المفترض أنى شريكة بها...لكنه يوما لم يهتم لهذه الشريكة...قد أكون فاجئتكمابمعرفتى لذلك...لكنى أبدا لم أغفل عن مراقبة ما يحدث...قد يسبح بكما العجب أيضا حول عدم مطالبتى بالمسلوب من حق ولدى فى مال أبيه الشهيد الذى استأمن عليه أخاه الأكبر قبل رحيله...لكنى كنت على ثقة من أن عدل الله سينصفه وينصف أمه يوما...لا أرانى أخجل من اعترافى كذلك بعدم امتلاكى للقوة التى أستند اليها للمطالبة بحقى.

بدأت الدموع تلمع فى عينيها وهى تستطرد قائلة:

-أتعلمان...توقعت منكما الكثير...لكن آخر ما نظرت اليه توقعاتى كان ذلك الاستيلاء على مال يتيم لم يرَ أباه أكثر من عامين...لكنه ومع ذلك ظل وفيا له أكثر من أخيه الذى جاوره لعقود...كثيرا ما سألنى ذلك الصغير عن انقطاعك عنا يا (عباس)...لم أشوه صورتك أمامه أبدا...لم أقل له ان عمك يكرهك كما كره أباك وأمك...حافظت على صورة عمه نقية أمامه كى

لا يفقد احترامه لك ولأبيه ولبيئته جمعاء...ذلك العم الذى استأمنه أخوه قبل رحيله على طفله وزوجته وأخذ عليه العهد بذلك...لكنه وبكل أسف خطى بحذاء أطماعه على كل الوعود والعهود...لا جدوى من ذلك الآن...لا أملك الا حسبى الله ونعم الوكيل!

-تريننى سارقا اذن...لا بأس بذلك لن أهتم...الجأى للقضاء ان شئت.

طأطأت رأسها لأسفل للحظات تزيل السائل من دموعها المتتابعة ثم رفعتها وقد كشف ثغرها عن ابتسامة ساخرة قائلة:

-قضاء؟...والله انى لا أملك حتى ثمنا لوسيلة المواصلات التى تقلنى للمحامى يا (عباس)...ولو كنت أملكها لأسكتُّ بها فم ولدى الجائع الذى لم يذق طعاما منذ أمس...لا بأس يا (عباس)...لا بأس...سأرفع عنك وعن زوجتك الحرج الناتج عن بعض حياء باقى فى كليكما...أعلم أنى غير مرغوب فى بقائى منذ رحيل (محمد)...بل وحتى منذ مجيئى الى ذلك البيت...سألبى رغبتكما تلك الآن...فلم يعد لى الآن هنا مصدر للعيش يبقينى وولدى على قيد الحياة على أية حال...فقط أريد حقى وحق ابنى فى هدوء.

تهللت أسارير الزوجين من سماع ما انتظراه طويلا...تغاضيا عن كل ما عددته (أمينة) من لوم لهما دون أدنى شعور بالخجل أو الذنب وانتبها فقط لآخر سطور الكلام.

تولت (كوثر) مهمة الرد عليها قائلة:

-تعلمين يا (أمينة) أنّا لا نملك المال الكافى لشراء نصيبك من هذا المحل...هناك حل وحيد الآن...سيتنازل لك (عباس) عن المحل لتبيعينه وفى المقابل تتنازلين له عن الشقة التى تسكنينها الآن فى الطبق الثانى...ما رأيك بهذا؟

ابتسمت (أمينة) من ذلك الرد الذى بدا مدبرا من قبل غير ناتج عن من تفكير لحظات فصلت بين سؤالها وردِّ (كوثر)...كانت الموافقة ردها على أية حال وهى التى لا تملك حلا آخر غير هذا رغم الفارق البسيط بين ثمن العقارين...لكنه الخيار الذى لم تعد ترَ أمامها إلاَّه رغم حاجتها لكل زيادة ولو طفيفة.

انصرفت (أمينة) غارقة فى أحزانها تاركة هذين الزوجين محلقين فى سماء أفراحهما بانتصار ظناه على منافس يستحق الإبادة...اتفقا على كل شئ ولم يعد يفصل بين بقاء (وحيد) وأمه فى هذا المنزل ومغادرتهما له سوى أيام تتم فيها (أمينة) بيع محل زوجها لتغادر الى الأبد.

غادرت الى شقتها وهى لا تملك الا صبرا واحتسابا وتعايشا مع الأمر الواقع...كانت مقابلتها لذلك الفتى (حسام) الهابط من شقتها بعدما أنهى جلسته الطويلة مع (وحيد) فاترة الى حد كبير...رنت سلامه فى برود لم تقصده قادها اليه حزنها العميق باسوداد العالم أمام عينيها...لم يعبأ الفتى بذلك كثيرا وهو الذى لم يعتد من زوجة عمه الى حسن النوايا والأفعال...تابع نزوله الهادئ المصاحب لصوته الآخذ فى الغناء بصوت لا يسمعه إلاَّه فى حين تابعت (أمينة) صعودها الهادئ المصاحب لصوتها الآخذ فى البكاء بصوت لا يسمعها إلاَّها...كالعادة كان

ولدها فى انتظارها...هرول اليها فى براءته المعهودة حتى باتا كيانا واحدا وقد استقبلته بيديها تداعب شعره الطويل شديد السواد...بادرته بقولها:

-تعال يا (وحيد) أريدك فى أمر هام يا حبيبى

-حاضر يا أمى

تبعها الى مجلس صغير فى وسط الشقة قبل أن يستويا جالسين لتستكمل الأم ما بدأته من كلامها مع صغيرها قرب الباب:

-أريدك أن تجهز نفسك للرحيل يا بنى؟

ما زال (حسام) يطرب نفسه بتلك الترانيم التى بدأها بعد مغادرة ابن عمه...توقفت تلك الترانيم فجأة بعدما انتبه الى كلمات عهد صوتها الناطق بها من أبيه كثيرا:

-أخشى أننا بالغنا فى ايذاء تلك المرأة وولدها

-ماذا؟...أنت لا تعرف (أمينة) تلك على حقيقتها مثلما أعرفها...انها تجسيد آدمى لبنى شيطان...ثم...اننى على ثقة من زوال شعورك هذا بعدما تغادر وابنها من هنا الى لا رجعة.

-أتعتقدين ذلك؟...

-بل انى على ثقة من ذلك يا زوجى العزيز...ما هى الا أيام ويقتصرون على مجرد ذكرى بائسة فى حياتنا جميعا.

لم يعد (حسام) مستعدا لسماع المزيد منكلمات أمه وأبيه التى لا تعنى الا رحيلا مرتقبا لصديقه وأمه من هذا البيت وهما الذان كانا يتحدثان قبل قليل عن بقائهما الى جوار بعضهما الى نهاية المطاف...لكن يبدو أن لوالديه رأيا آخر غير ما اتفق عليه مع صديقه وأملاه ليكون واقعا يشهده كل منهما...وجد نفسه يقتحم مجلس أبويه فى شجاعة نادرة لم يعتد عليها قبل لحظته تلك متسائلا:

-أبى هل حقا سيغادر (وحيد) ابن عمى وأمه من هنا؟

تعجب الوالدان كثيرا من تلك الجرأة التى لم يعتاداها من ولديهما الوحيد فكانت نظرة أبيه تلك التى كادت تقتل الصبى خوفا قبل أن يجيب:

-كيف تجرؤ على الدخول هكذا يا ولد؟

سيطر الرعب على الصبى بشدة وتمنى لو أنه مات قبل أن يفعل فعلته تلك...غير أنه الأمر الواقع الآن الذى وضعه فيه تسرعه من جانب وحبه لصديقه الصدوق من جانب آخر

-أنا...أنا آسف يا أبى...فقط أردت معرف.....

-آسف؟...آسف ماذا؟...اغرب عن وجهى حالا قبل أن أفقد أعصابى وتندم على ما فعلت...أغرب عن وجهى !

انصرف (حسام) دامعا الى حجرته وقد أيقن بأن حديثه مع ابن عمه قد بات هباء منثورا وأن صداقتهما باتت على شفا جرف هار...فكانت ليلته الأسوأ فى حياته التى باتها باكيا يكاد بكائه يذهب بعقله الذى لم يستوعب ذلك الرحيل...أو بالأدق لم يشأ أن يستوعبه.

كان طلبا غريبا بعض الشئ من (أمينة) لولدها...ضاقت عينا الصغير فى ذلك الوضع للمتعجب مما يقع على مسامعه مستفسرا عما أنصت اليه قبيل لحظات:

-أى رحيل تقصدين يا أمى؟...لا أفهم !

-سنغادر الى بيت آخر؟

-ماذا؟...

قالها وقد انتفض واقفا تستطرد كلماته:

-لماذا يا أمى؟...هذا يعنى أننى سأبتعد عن (حسام) وهذا لا يمكن أن يكون...لقد تعاهدنا لتونا على البقاء سويا الى الأبد

لم تكن (أمينة) قد جهزت بعد ردا على كلام كهذا...وحتى ان ظلت فى تفكيرها سنوات فلن تجد من الردود ما يقنع ذلك الصغير المصدوم بتركه لصديقه الوحيد...لكنها فرت من استفهامه ذاك على كل حال قائلة:

-(وحيد)...اذا علمت أن أمك قد وقعت فى مشكلة حلها الوحيد يكمن فى مغادرة هذا البيت ولا تجد معينا لها سواك...سوى هذا الابن الذى ترى فيه رجلها الآن...فهل تساعد أمك أم تخزلها يا بنى؟

هدأت ثورة الابن قليلا ناظرا الى الأرض نادما على علو صوته بعض الشئ أمام أمه التى شعر أنها تحمل من الهموم مالا تريد أن ترهقه بحملها معها...

-أى مشاكل تلك يا أمى؟...

-لا عليك بها يا (وحيد)...يكفيك أن تعرف أن الحل الوحيد هو الرحيل

-الى أين اذن يا أمى ستكون المغادرة؟

-عدنا للأسئلة من جديد...الى ذلك المكان الذى رأيته فى حلمك بالأمس...الى القاهرة...لم أتوقع أن تتحقق رؤياك بهذه السرعة يا صغيرى

-أين هذه القاهرة يا أمى؟...سمعت بها أكثر من مرة ولا أعرف عنها شيئا

fb.com/Book.juice

-ابتسمت الأم من سذاجة صغيرها قائلة:

-ليست بعيدة عن الأسكندرية يا صغيرى...ليست بعيدة

-لكنى لا أعرف أحدا هناك ولن أرى (حسام) كثيرا بعد الآن

أدارت وجهها عن صغيرها وهى تردد فى صوت لا يسمعه سواها قائلة:

-بل لا أظنك تراه بعد الآن أبدا يا مسكين

-ماذا تقولين يا أمى؟

-لا شئ يا حبيبى...لا شئ...استمع فقط لما أقول وكفانا نقاشا عند هذا الحد

-حاضر يا أمى...حاضر !

قالها حزينا وانصرف مطأطأ الرأس منكسرا فى شعور أشبه بشعور صديقه على الجهة الأخرى بل وأكثر....ترك الأمر برمته لأمه...تلك الأم التى ظلت تراقبه بناظريها محترقة القلب على صغيرها الذى كانت قد أزالت عنه بعض ما أحاطه من همومه ليعود مجددا تائها فى طرقات الجديد من الهموم.

انقضت أيام ثمانية تم فيها بيع (أمينة) للمحل الذى امتلكته اضافة لما تملكه من أثاث متواضع لمسكنها....حتى كانت الليلة الأخيرة لها ولولدها على أراضى الأسكندرية فى ذلك الوقت من منتصف الشتاء...لم يكن النوم لها رفيقا بالطبع فى ليلتها تلك...اطمأنت الى خلود وحيدها الى نوم هادئ ثم اتجهت الى شرفتها وقد انتوت قضاء تلك الساعات الباقية من ليلها بين جنبات ضيقة لشرفة طالما طالت وقفاتها فيها طوال سنوات قضتها قاطنة هذا المسكن...لعل أبرز وقفاتها كانت تلك التى ودعت فيها زوجها الراحل حين ذهابه مجاهدا محتضنة صغيرها آنذاك الذى لم يكن قد تخطى رابع سنواته بعد...ثم كانت ثانى وقفاتها البارزة حين كانت مراقبة لخطوات صغيرها وابن عمه فى بداية أول أيام دراسته...هاهى الآن تكمل عقد الوقفات بوقفة أخيرة تودع فيها عيناها تلك الطرقات التى طالما صادقتها...تلك الأمواج التى كانت لها نعم الرفيق...بدأ الجو تزداد برودته شيئا فشيئا الآن...تبعت تلك البرودة أمطارا معتادة فى ذلك الوقت من العام...لعلها لأول المرات ترى جانبها السلبى...أنساها حزنها ما نصحت به صغيرها دوما بالنظر الى نصف الكوب الممتلئ...لم ترَ فى أمطار تلك الليلة جود الطبيعة وكرم الأقدار كما اعتادت...رأتها دموعا لسماء آسفة على توديعها وصغيرها لمدينة قضت بها ربيع عمرها فى حين لم يعرف ولدها له وطنا غيرها...لم تملك ردا على احساس السماء بالشفقة لحالها الا ذات الدموع النابعة من ذات الاحساس...تباينت ماهية أيامها بين أحضان تلك المدينة بين راحة وعناء...راحة مشابة ببعض العناء وعناء نقّته بعض الراحة...لكنها بين الراحة والعناء ظلت متسلحة بدرع الكفاح وسيف الصبر...لا بأس بذلك الآن وقد انتهت الأيام براحتها وعنائها وظلت تلك الأرملة على حالها من الشموخ بلا استسلام لفقر الحياة أو قسوة أهل الحياة...زادت برودة الجو كثيرا الآن ولم تعد تقوى على احتمال المتزايدة شدته من

البرودة...القت نظرة الوداعالتى استمرت للحظات ثم كانت عودتها للداخل بعد أن أغلقت أبواب شرفتها الى الأبد!

انقضت ساعات الليل بطيئة ولاح الصباح بشمسه الخافتة المستترة خلف ستار من برودة الجو...أيقظت صغيرها وفى غضون بعض أجزاء الساعة كانا قد جهزا نفسيهما للرحيل فغادرا الشقة وودعاها ببعض التذكر لبعض الذكريات...هبطا لأول الأدوار لتسليم مفتاح الشقة لأصحابها الجدد...كان فى انتظارهما هؤلاء الثلاثة الذين لم يعرف هذا الصغير جيرانا غيرهم...اثنان استقبلاه بشماتة لم يفهمها ذلك الفتى...وثالثهما صديقه استقبله بدموع لفراق أعز مرافقيه...سلّمت (أمينة) المفتاح ل(كوثر) وهى تخاطبها بآخر كلماتها:

-لتفرحى الآن يا (كوثر)... قد نجحتى بامتياز فيما خططتى له...ها أنا أغادر بصحبة صغيرى الآن تاركين لكما ما طال انتظاركما لتتالاه...آن لعينيك أن تهنأ بنومها الآن بلا جيران يزعجون ذلك الهناء...

ثم التفتت الى (عباس):

-لتفرح انت أيضا يا (عباس)...كنت فعلا نعم التلميذ النجيب لزوجتك...لكنى وان كنت رفيقة أمنيتى برؤية ذلك البيت فى قادم أعمارى...فانى على يقين من عودة هذا اليتيم يوما ما لاسترداد ما سلبتماه.

لم يكن (وحيد) و (حسام) ليهتما كثيرا بكلام الكبار...انفردا بحديث جانبى ضم الوفاء كلماته وحوى الاخلاص عباراته...صداقة لم يشبها غدر أو تشبها خيانة...لم تطل كثيرا كلماتهما وعباراتهما...حديث فقط حاولا طمأنة بعضهما بلقاء قريب فى قادم الأيام وان كانا فى قرارة نفسيهما غير واثقين فى تلك الكلمات والعبارات التى لا تتعدى مجرد طموح لا يستند الى أساس حاضر.

نطق لسان (وحيد) تلك الكلمات الممطرة بدموع عينيه:

-سنلتقى حتما يا صديقى...لقد قالت أمى أنى سأعود يوما ما الى هنا...أنا أثق فى كلامها كثيرا وعلى يقين من صدقها

-بالطبع يا (وحيد)...بالطبع يا صديقى العزيز...دعنى آخذ عليك العهد بألا تنسى صداقتنا ما حييت كما سأظل أنا ذاكرا لها متمسكا بها

-لست بحاجة لتذكيرى يا صاحبى...لسنا بحاجة لإبرام العهود...كن على ثقة من تمسكى وتذكرى الى أن نلتقى.

تصافحا ثم تعانقا لدقائق استعادا خلالها ذكريات سنوات قصيرة العمرة عميقة العلاقات.

fb.com/Book.juice

انقضت لحظات اللقاء الأخير وغادر الوحيد وأمه تتابعهما ابتسامات الزوجين ودموع ابنهما الوحيد...غادرا وحيدين الى مجهول لا يعلماه...ساعة أو أقل حتى وصلا لمحطة القطارات ليغادرا الأسكندرية تماما...

لم تكن (أمينة) تملك الا جهة واحدة حيث أخوها (مصطفى) الذى انقطعت أخباره منذ ما يقرب من سبعة سنوات ...كانت ترى نفسها شريكة فى خطأ الانقطاع هذا بينها وبين أخيها خاصة وهو البعد الغير ناتج عن خلاف أو نزاع...انما هو فقط ذلك الانشغال التام بأمور الحياة الذى طغى على علاقة أخوية طال انقطاعها أكثر من اللازم...اتجهت الى منزل أبيها الذى يسكنه أخوها وعائلته منذ منذ ميلاده لم يغادره...ها قد وصلت بصغيرها الى ذلك البناء الصغير ذى الطابقين فى أحد الشوارع الجانبية من شوارع رائعة المعز...لم تتغير المعالم كثيرا عن السابق...نفس الشوارع مع بعض زيادة فى نظافتها...نفس الكيانات السكنية المتقابلة مع بعض تجديدات فى بناءاتها...نفس الضوضاء الباعثة على الأنس مع تغيير فى ماهية مصدرها من شباب جديد...زيادة ليست بالكبيرة لعدد المقاهى فى المنطقة...عرفت (أمينة) طريقها الى ذلك المنزل الذى توسط كل تلك الضوضاء والمقاهى والذى لم تنله بعد يد التجديد فى أى من أركانه...دخلته بصحبة ولدها فى يد وفى اليد الأخرى تلك الحقيبة الضامة للقليل والقديم من ملابسهما التى لم يعودا يملكان من حطام الدنيا غيرها...اضافة الى مال البيع الذى لم ينقص سوى مصاريف السفر فقط...صعدت درجه القديم فى تأمل لتغيير طفيف فى حوائطها وسياجها القصير...طالما تراقصت خطواتها طفلة فوق هذه الدرجات بلا هم تحمله أو غم تضمه...لكنها السنوات التى أبدلت تراقص الخطوات فى تفاؤل الى هدوء لا يحمل الا خوفا من القادم وقلقا من الآت.

ها قد وصلت الى هدفها أخيرا...باب قضت خلفه سنوات كفرد من أسرة صغيرة رحل عنها الأب والأم فى توقيت صعب بعض الشئ تاركين ابنا تخطى حاجز الخامسة والعشرين يدعى (مصطفى) وابنة تقف على مشارف العاشرة تدعى (أمينة)...ليتكفل الابن بالابنة حتى زواجها ورحيلها الى الأسكندرية ليتزوج هو الآخر فى تلك الشقة التى تقف أخته وابنها على أعتابها الآن...طرقت الباب عدة طرقات فتح الباب بعدها طفل دون السابعة فوجئ بهيئة الطاق والطارقة الذين لم يكونا ضمن وجوه اعتاد على طرقاتهما...جاءه صوت أمه من الداخل متسائلة عن سائل سمعت طرقاته ولم تره يدخل خلف صغيرها:

-من الطارق يا (أحمد)؟

-لا أدرى يا أمى...امرأة ومعها طفل صغير لا أعرفهما

-امرأة وطفل؟...انتظر يا صغيرى ها أنا قادمة.

قالتها وفى لحظات كانت تقف أمام الباب المفتوح تستند اليه بيمنى يديها فى حين تستند اليسرى الى رأس صغيرها...ظلت دقائق مذهولة بعض الشئ فى احساس بالمفاجأة الذى

يخالطه سعادة برؤية صديقتها القديمة التى فرقت بينهما سنوات تمنيتا اللقاء خلالها دون سماح من الأقدار لهما بما تتمنيان

صاحت بنبرة هويتها الشوق للعودة لحديث انقطع منذ سبعة سنوات:

-أم...أمينة؟

قالتها بصوت أقرب لأن يكون صراخا

-بلى يا (سعاد)...انها (أمينة) أخيرا...اشتقت اليك كثيرا يا عزيزتى.

قالتها بفم كشف عن ابتسامة صغيرة تعلوها عينان مغمضتان لتكتمل صورة ذلك الوجه الباسم فى هدوء.

-اشتقت اليك أكثر يا صديقتى.

تعانقتا بعد تلك الكلمات لدقائق دعت بعدها (سعاد) أخت زوجها الى الداخل بصحبة صغيرها...

استقرتا فى مجلس صغير على يسار الباب حيث استمر حديثهما طويلا ما بين عتاب من (أمينة) مردود عليه بأعذار من (سعاد) وعتاب من (سعاد) مردود عليه بأعذار من (أمينة)...وهما بين العتاب والأعذار قد ضمهما شوق العودة للسابق من صداقتهما تارة وسرد ما كان من أحوال كليهما تارة أخرى...طال الحديث بينهما ساعات منذ تلك الساعة فى بداية النهار لحظة وصول (أمينة) و (وحيد) عرفت خلالها ما منع أخاها عن زيارتها كل تلك السنوات...اذ ترك عمله لعام وبعض العام بعد غلق المصنع الذى يعمل به بعد اعلان افلاسه وما كاد يلتحق بالعمل فى غيره يبعد عن محيط المنزل كثيرا حتى أصيب اصابة عمل انتهت بقطع ذراعه كاملا...وفى النهاية عاد عاملا فى نفس المصنع وبنفس الراتب بعد رأفة صاحب العمل بحاله...كانت تلك الأحداث هى الأهم على مدار السبع سنوات...بل انها استهلكت أغلبها...يمتلك الأخ اذن كأخته بعض العذر فى تلك القطيعة التى لم تشبها قط ذرة خصام أو قسوة.

ظلت الصديقتان تتنقلان بين سبل الحديث...من ذلك السبيل الذى تقهقهان فيه لاسترجاع ما كان من ذكريات الماضى السعيد حين كانت تجمعهم أيام لم تحمل الا تلك الهموم البسيطة المشتركة بين جميع الأحياء...الى ذلك السبيل الذى تدمعان فيه لاسترجاع ما كان من ذكريات الماضى التعيس حين فرقتهم أيام حملت أثقال الهموم لكل منهما على حدة.

ها قد قارب آذان العصر تسبقه تلك الأصوات لمفتاح اتخذ طريقه لفتح باب الشقة تتبعه تلك التحية المعتادة من أصغر أفراد الأسرة:

-مرحبا يا أبى...تأخرت اليوم كثيرا

ينحنى الأب العائد رادًا تحية صغيرة بتطويق لصغيره بذراعه الأوحد مصحوبا بقبلة على جبينه:

fb.com/Book.juice

-مرحبا بصديقى الصغير...لا أرانى متأخرا الى هذا الحد يا عزيزى...لكن لا بأس مادمت ترى ذلك فأنا أعتذر عن ذلك التأخير الوهمى

-اخفض صوتك يا أبى عندنا ضيوف بالداخل بصحبة أمى

ابتسم الأب من براءة صغيره ابتسامة طويلة مصحوبة بقوله:

-هذه عادة أمك يا (أحمد)...بيتنا لا يكاد يخلو من الضيوف

ضحك الفتى وعلا ضحكه مصحوبا بتلك الضحكات من أبيه وسط ظهور لأمه التى عقدت ذراعيها ورفعت حاجبيها قائلة:

-أراك وابنك مندمجان فى السخرية منى يا سيد (مصطفى)

ارتبك (مصطفى) بطبيعة الحال وانتفض واقفا يصحبه قوله:

-ماذا؟...هل سمعتنا؟...هل اخترقت كلماتى آذان الضيوف؟

ضحكت الزوجة من طيبة زوجها وقد خطت خطوتين للأمام باتجاه الزوج المستند بيده على كتف صغيره المتابع لحديث والديه قبل أن تستطرد:

-أولا ليسو ضيوفا...ثانيا لقد أضحكتهم كلماتك تلك كما أضحكت ابنك هذا الساخر من أمه...أما ثالثا فلن تتوقع يا عزيزى أبدا ماهية الجالسين بالداخل يسمعون حديثنا ذاك.

عقد حاجبيه متعجبا من ثالثا تلك وقد دفعه فضوله للسؤال:

-لن أتوقع؟...ماذا تقصدين؟

هنا كان خروج (أمينة) بطفلها من مجلسهم المستتر قائلة فى هدوء:

-انه ذلك الظهور أخيرا لاختك بعد غياب يا أخى الحبيب.

تهللت أسارير الأخ المفاجئ من تلك الزيارة غير المنتظرة وقد شغر فاه واتسع محيط عينيه قائلا بصوت أصابته المفاجأة بالبحة:

-(أمينة)؟

-هى بعينها يا عزيزى...ها هو ذا ذلك اللقاء الذى انتظرناه طويلا.

قالتها واندفعت بعدها تجاه أخيها الذى اندفع بدوره نحوها لتكون نتيجة الاندفاع ذلك العناق الحار بين الأخوين...ذلك العناق الذى غاب سبعة أعوام وكتبت له الأقدار أخيرا ذلك الميلاد الجديد...عاد الحديث مرة أخرى لتواصله وقد ضم اليه فردا جديدا هو ذلك الأخ والزوج والأب ورب الأسرة (مصطفى)...الى جانب ذلك الحديث الاضافى بين هذين الصغيرين (وحيد) و (أحمد)...علم (مصطفى) ما حلّ بأخته وأسف له كثيرا بطبيعة الحال كأسفها أيضا على ما آل

fb.com/Book.juice

اليه حال أخيها ومربِّيها على حد سواء...انتهت سريعا لحظات الأسف تلك على ما فات بعد دعوة (سعاد) بالنظر لقادم الأيام قائلة:

-أرى أن تسكن (أمينة) و(وحيد) فى الطابق الثانى لتكون باستمرار تحت رعايتنا

أومأ (مصطفى) موافقا بقوله:

-أصبتى يا (سعاد)...أرى ذلك بالفعل أنسب الحلول

قالها ثم التفت الى أخته مطمئنا:

-لا أريد أن ألحظأى قلق أو خوف من المستقبل يا (أمينة)...أنت الآن هنا فى القاهرة بين أهلك...الحال بالطبع يختلف تماما عن أيام الأسكندرية...انت وولدك هذا تحت رعايتى حتى آخر أيامى...نحن الآن فى أجازة منتصف العام وفى خلال أيام سأعمل على اتمام التحاق (وحيد) بمدرسة فى القاهرة زميلا ل(أحمد)...وجودكما هنا أكثر أمانا لكما وأكثر أنسا لنا بطبيعة الحال...ما عليكما الآن الا الانتقال الى الأعلى...هى شقة صغيرة لكنها ستفى بغرض الاقامة بها على كل حال...لن تحتاج الى كثير من الترتيب...فقط ساعة أو يزيد بمساعدة (سعاد) وسيكون كل شئ على ما يرام.

-لا أرى فى جعبتى أفضل من هذا الحل يا أخى...بل انى لجأت اليك من الأساس من أجل هذا...غير أنى أوافق فقط على بعض كلامك وليس كله...سأكون ساكنة ثانى الطوابق مع ولدى كما عرضت...اضافة الى سعادتى لكون (وحيد) سيجد فى صداقة (أحمد) سلوى له عن فراق (حسام) ابن عمه...غير أنى يا أخى على علم تام بظروفك...فقد حكت لى زوجتك عن كل شئ...أنا الآن أملك بعض المال الكافى لشراء محل صغير يكون لى ولولدى مصدرا للعيش...أنا أدرك تماما ما أنت فيه من الظروف ولن أكون بالتأكيد سببا فى زيادة أعباءك.

همَّ (مصطفى) بمعارضة كلام أخته غير أنها سبقته رافعة يدها ولسانها يقول:

-بالله عليك يا أخى...بالله عليك...راحتى لن تكون الا فيما قلت لك وليس العكس.

اختلس (مصطفى) نظرات الى زوجته التى أومأت له برأسها موافقة على كلام أخته مريدة راحتها...فهى على علم تام بصديقتها التى لا تملك أكثر من العزة ولا أثمن من الكرامة...لم يملك ذلك الأخ ردا الا تلك النظرة للأرض مع زفير مسموع قائلا:

-لك ما تريدين يا أختاه...فما غير راحتك أريد!

فى تلك الأثناء دخل الى مجلسهم ذلك الشاب فى الربع الأول من عشرينيات عمره...وجه أسمر واجم نبتت فى أسفله تلك الشعيرات للحية آخذة فى النمو...ضام بين فكيه ذلك الشارب الخفيف الذى أظل فمه المغلق الممتنع عن القاء السلام وقد رفع أكمام قميصه لى ما تحت كوعيه بقليل واضعا يديه فى جيبى سرواله.

انتبهت له (أمينة) التى كانت تعطيه ظهرها عقب تعلق نظر والديه به...تأملته قليلا ثم قامت باتجاهه قائلة:

-لابد أنك (كريم)...أليس كذلك؟

رد الشاب متعجبا:- هو كذلك بالفعل

-لم تتغير ملامحك كثيرا عن السابق يا فتى...لولا هذا التغير الطبيعى فقط بين الطفولة والشباب

-هل أعرفك يا سيدتى؟

-هل نسيتنى بتلك السرعة يا بنى؟...لم أتوقع منك ذلك يا ولد...لكن لا بأس لك العذر مع مرور تلك السنوات

-ألا ترين أنى ومع ذلك لم أعرف من أنتى حتى الآن؟هنا قاطعته أمه:

-انها عمتك يا (كريم)...عمتك (أمينة)...وهذا ولدها (وحيد)

-نعم نعم...تذكرت...أهلا يا عمتى...عذرا سأنصرف الآن...أشعر برغبة شديدة فى النوم.

قالها وانصرف دون حتى انتظار لسماع رد أو سلام أو ما شابه...أحست (أمينة) بشئ من حزن لتلك البرودة فى اللقاء بينها وبين شاب طالما حملته وداعبته صغيرا...اقتربت منها (سعاد) تربت على كتفها قائلة:

-لا عليك منه يا (أمينة)...لا عليك منه...هو بالتأكيد لا يقصد سوء معاملة...انها عادته مع الجميع حتى أبويه.

ابتسمت (أمينة) تلك الابتسامة المتكلفة وقد وضعت كفها فوق كف زوجة أخيها الموضوع وق كتفها قائلة:

-لا بأس بذلك يا عزيزتى...لعله بالفعل مرهق يحتاج للراحة...لنعد الى حديثنا الأهم.

كل ذلك وسط متابعة الأب الحزين لأفعال ابنه التى لا تهدف الا الى احراجه واحراج زوجته الى جانب متابعة ذلك الصغير (وحيد) الذى بدأ يكون تلك الصورة العدائية لابن خاله الشاب.

عاد الجميع الى حديثهم من جديد حتى وقت الغداء الذى اجتمع فيه كل الحضور ما عدا بالطبع ذلك الشاب المنعزل فى حجرته عن الجميع...انقضت أول أيام اللقاء وبدأ الظلام فى اسدال ستائره على الوجود وحان الوقت لصعود (أمينة) و (وحيد) لمسكنهم الجديد...فى تلك الأثناء ظهر من جديد هذا المسمى بما لا يناسب سلوكه...ظهر هذا الكريم غير الكريم...لا حظ بقاء عمته وابنها وعدم انصرافهما رغم غيابه لفترة ظن خلالها أنهما قد غادرا بعد زيارة عابرة.

استدعى أمه لحديث جانبى فلبّته...سألها بلهجة تنم عن عدم ترحيب قائلا:

fb.com/Book.juice

-ألن تنصرف هذه المرأة؟...لقد طال بقائها أكثر مما ينبغى

-مرأة؟...تأدب يا فتى انها عمتك

نطق لسانه أفًا وأدار وجهه قبل أن يعود مخاطبا أمه متغاضيا عن توبيخها:

-ألن تنصرف؟

-لا لن تنصرف...فهى ستقيم معنا

-ماذا؟...تقيم معنا؟...أين؟

-نعم تقيم معنا...ألا تسمع جيدا؟...ستقيم فى تلك الشقة فى الدور الثانى

-ماذا تقولين؟...ولكنكم تعلمون أن تلك الشقة مجتمعى مع أصدقائى و...

قاطعته أمه بحدة قائلة:

-أصدقاء السوء الذين باتوا الخيار الأول فى أولوياتك الآن أليس كذلك؟...اسمع يا بنى...هذه المرأة بغض النظر عن كونها أرملة مات زوجها وتكفل يتيما لا حول له ولا قوة لم يخطُ درب العاشرة بعد...وقد لجأت الى أخيها قبلتها الوحيدة الآن...هل له أن يتركها وصغيرها لأجل جلسات سمرك مع هؤلاء الفاشلين؟

انصرف الشاب وقد استشاط غضبا من قول أمه الذى لا يملك له ردا مقنعا ترمقه من بعيد عينا (أمينة) التى أحست ببعض ما كان بين الفتى وأمه من حديث حول اقامتها...لكنها غضت الطرف عن ذلك سريعا غير راغبة فى اثارة مشكلات الجميع فى غنى عنها...

انتقلت (أمينة) و (وحيد) الى مسكنهما الجديد وما هى الا أيام حتى كان انتقال ذلك الصغير الى زمالة ابن خاله فى مدرسته بالقاهرة...وبمرور الوقت نجح (مصطفى) فى شراء ذلك المحل الصغير فى سوق قريب للمنزل بمال أخته الذى أعطته اياه...محل لا يتجاوز طوله متر وبعضه وعرضه أقل قليلا...يجاوره على مسافة متباعدة هونا ما مجموعة من المحلات التى على شاكلته...فى الحال بدأت (أمينة) فى شراء حاجيات بسيطة تلائم بالكاد دكانها الأشد بساطة...انقضت الأيام تتبعها الأيام على شاكلة واحدة...نهار تقضيه (أمينة) فى محلها فى حين يقضيه صغيرها فى مدرسته...وليل تقضيه الى جانبه مذاكرا أو تتابعه من شرفتها لاهيا مع ابن خاله وباقى أقرانه فى شارعهم الصغير...وفى نهارها وليلها تجد فى أسرة أخيها نعم الحضن الدافئ والملجأ الآمن...الا من بعض مضايقات لفظية وفعلية من ذلك الشاب العاطل (كريم)...لكنها اعتادت وصغيرها على مثل ذلك ولم يعودا يعيراه اهتماما...استمرت هذه الحياة الروتينية مدة طويلة تقترب من العشر سنوات...اجتاز خلالها (وحيد) الكثير من مراحل التعليم وشارف على الالتحاق بالتعليم الجامعى...

لم يكن مرور السنوات العشر باليسير على تلك الأرملة وولدها الذى شارف على اقتحام بوابة الشباب...تحملت خلالها كل ما يندرج تحت مظلة الهوان...كثير كان ما احتملته من سخافات البائعين والمشترين على حد سواء...كثير كان ما احتملته من اهانات المؤجرين والمستأجرين على حد سواء...الى جانب شظف العيش الذى أجبرها كثيرا على التضحية بضرورة لها كمأكل أو ملبس لإطعام وحيدها أو كسوته أو بالطبع تعليمه...سخافة واهانات وتضحية كانت سمات ذلك العقد العسير من حياتها...لم ترغب يوما فى الاستعانة بأخيها وإن طلب منها ذلك وكان قادرا على تلبيته...لم تكن أبدا لتزيد أثقاله التى زادت من الأساس بذلك الابن العاق الذى لم يكن يوما قرة لعين أبويه...وعن (وحيد) ذلك الفتى الشارع فى الثامنة عشر فقد كان نعم الابن لنعم الأم...كثيرا ما كان عونا لأمه فى عملها سواء فى المحل أو فى البيت...كثيرة هى تلك المرات التى عرض عليها فيها أن يتولى شؤون تلك التجارة الصغيرة لتستريح هى فى منزلها رغم عدم تقدمها فى السن لدرجة تطالبها بالتعاقد بعد وهى التى أوشكت على اتمام الأربعين أو أقل قليلا...لكنه دفئ الأمومة الذى أبى الا أن يتم رسالته كاملة لتنتهى خطوات طريقها بنهاية لحظات عمرها كما كانت دوما كلماتها اليه...وبتلك الصورة ظلت بهم قوارب الحياة سائرة بين شطئان عالم لم يريا فى أمواجه استقرارا الا بين حين وحين آخر يبعد عن الأول الكثير...وعلى ذلك كان تلاطم اللجج وغيوم السموات هو الصورة التى اعتاداها لبحر الدنيا...ذاك الذى ما زالا بين جنباته مسافرين لا يعلمان الى أين المنتهى...لكنهما على أية حال ألفا سفره وألفتهم رحلاته...

لم يكن حال الأخ الأكبر للأم والخال الأوحد للابن بمختلف كثيرا عن اخته وابن اخته...لم ينعزل عنهما يوما...لم يتأفف من استضافتهما يوما...كانت اعاناته المعنوية والنفسية هى الدعم المتواصل الذى واظب على امدادهما به وان رفضت (أمينة) المماثل من الاعانات المادية أو الدعم المالى الذى أصرَّ (مصطفى) فى كثير من الأحيان عليه دون جدوى...طرق بابها يوما حاملا خبرا ظنَّ فيه الخير لاخته وابنها...فتح (وحيد) الباب بابتسامته المعهودة مرحبا بقدوم خاله كعادته قائلا:

-أهلا يا خالى...تفضل

-أهلا يا (وحيد)...أين أمك يا بنى؟

انطلق صوت الأم من الداخل بعدما سمعت ذلك الحوار الصغير بين ابنها وأخيها:

-أنا هنا يا (مصطفى)...تفضل بالدخول يا أخى

لبى الأخ الكبير دعوة أخته وتبادل مع ابن أخته الحديث حتى وصول أمه القائلة:

-مرحبا يا أخى...أشعر أن وراء زيارتك هذه شيئا ذا أهمية !

ابتسم (مصطفى) من فراسة أخته الصغرى قائلا:

-هو كذلك بالفعل يا عزيزتى...هو كذلك بالفعل

fb.com/Book.juice

-خيرا يا (مصطفى)؟

التفت الى (وحيد) قبل ردّه:

-(وحيد)...هل لك أن تتركنى وأمك قليلا يا بنى؟

-بالطبع يا خالى...بالطبع...سأنزل الى (أحمد) قد كان يريدنى صباح اليوم

قالها وانصرف تتابعه عينا خاله وأمه التى التفتت الى أخيها قلقة بقولها:

-ها قد أصبحنا وحدنا يا (مصطفى)...خيرا يا أخى لقد أقلقتنى

-خيرا يا أختى ان شاء الله...فى صباح اليوم طلبنى المعلم (سيد الساعى) للقائه فى منزله...لبيت الدعوة بالطبع فما لمثله تُرفض الدعوات...رحب بى كثيرا ثم طلب منى....الزواج منك.

-ماذا؟...أى زواج ذاك يا (مصطفى)؟...انه متزوج بالفعل حسب ما أعلم

-أصابت معلومتك...بل انه أب لطفلين أيضا...لكنه تاجر كبير كما تعلمين...ويملك من المال ما يكفى لكفالتك وكفالة ولدك كأفضل ما يكون الى جوار أسرته تلك

-أراك متحمسا بشدة لعرضه يا أخى

ابتسم ابتسامة خفيفة قبل أن يخاطبها بقوله

-خذلتك فراستك هذه المرة يا عزيزتى...لست بالمتحمس لعرضه لأنه (سيد الساعى)...بل يكاد الحماس يقتلنى لأراك تتنعمين فى فرش النعيم بعد سنوات من التقلب فى سبل الجحيم...انظرى لحالك يا (أمينة)...أنت تنحتين فى الصخر يا أختاه...لقد كر ولدك وزادت احتياجاته ولم أظن أن ذلك المحل الصغير قد بات كافيا لسد تلك الاحتياجات كسابق الأيام...الى جانب رفضك المستمر لمساعداتى لك...حتى ولدك رفضت التحاقه بعمل الى جوار دراسته لينصب اهتمامه فقط على تعليمه...الى متى اذن تظل أحبال عنائك تلك على اتصالها؟

لم يكن (وحيد) بالمهتم كثيرا بحديث ابن خاله المعتاد عن دراسة أو عمل أو حتى لهو...بل لم يكد حتى يسمعه وهو الذى شرد كثيرا فى حديث يتخيل كلماته بين أمه وخاله غير أنه ليس على دراية بموضوع الحديث أو طبيعة الكلمات...فكانت التخمينات الخاطئة فى ظل عدم تطرقه الى امكانية زواج أمه فى تلك السن

-مالى أراك شاردا هكذا يا (وحيد)؟....لم تنطق بكلمة واحدة منذ جلوسنا يا صديقى

-لا شئ يا (أحمد)...لا شئ

عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

هذا الكتاب حصرى على جروب عصير الكتب

انضم الينا لتحصل على كل ماهو جديد

follow me : facebook.com/OmaR.1.Bs

-كيف لا شئ؟...ليست عادتك هذا الصمت الموحش...يكاد لسانى يقف من كثرة الحديث وأنت كأنك لا تسمعنى من الأساس...ماذا حدث؟...كأن مصيبة حلت بك.

-لا أعرف يا (أحمد)...أشعر أن وراء ذلك الحديث الدائر بين أمى وأبيك شيئا ما...

-لا تعطى الأمور أكثر مما تستحق...لعله حديث عادى عن أمر من أمور التجارة أو ما شابه...لا تشغل بالك بما لا يستحق يا صديقى

قالها وهو يتكأ على مرفقه يرشف كوبا من الشاى مستبسطا ما يشغل تفكير صديقه...ذلك الذى كان رده بلغة الاصرار على وجود ما يدعو للتفكير فيه:

-بل لا تهزأ انت بالجدير بالذكر من الموضوعات يا (أحمد)...الأمر يحتاج بالفعل الى تفكير

-أنت دائما هكذا يابن عمتى...تعشق الدخول فى متاهات الكبار...الحياة أبسط من ذلك يا رجل

-لن تتغير يا صديقى...ستظل ذلك السائر فى طريق الحياة بلا أية اعتبارات لم يدور حولك...أمى لا تملك من حطام الدنيا غيرى يا (أحمد)...ضحت من أجلى بالكثير طوال سنوات...أوأبخل عليها حتى بالقلق بشأن من شؤونها؟...والله لبئس الابن العاق أنا ان فعلت ذلك.

-بالطبع لا...لكنك تتوهم مصيبة أو كارثة ستقع بلا مبرر...لا يحتاج الأمر أكثر من مجرد سؤال لأمك عما حدث بعد انتهاء الحديث بينها وبين أبى وينتهى الأمر...لا أظن الأمر يتعدى كونه استشارة فى أمر من أمور محلكم الصغير...قد يكون هناك شار له أو مؤجر أو شئ من هذا القبيل...لا أرى داعيا لهذا الكم من القلق

-أتمنى ذلك يا صديقى...وان كنت لا أتوقعه...لننتظر على كل حال ونرى ما سيسفر عنه هذا الحوار وليكن بعدها ما يكون.

قامت (أمينة) من مجلسها وقد رغبت فى استكمال حديثها واقفة تتابعها عينا أخيها ثم قالت:

-هل تعلم يا أخى...لأول مرة أشعر بالفخر الآن مما فعلته طيلة ما مضى من الأعوام...رغم كون كلماتك تلك معروفة لدى ولكن كأنى بى أسمعها لأول مرة...تقول أنى أنحت فى الصخر...أصبت فما للحياة قيمة فى سهولتها...تقول أنى أرفض مساعداتك المادية...أصبت فلست بالمزيدة أحمال أخى حملا تكل منه الجبال...تقول أن (وحيد) قد كبر...أصبت...ولكن هل لى أن أكفله صغيرا وأتخلى عن تلك الكفالة كبيرا؟...لقد اعتدت وولدى على صعوبة الحياة يا (مصطفى) ولم نعد بالمتمردين عليها أو الرافضين لها...لا تقلق بشأن أختك يا عزيزى فان الله لا يتخلى عن أحد من عباده المكافحين...

هم (مصطفى) بالرد قبل أن تقاطعه أخته بقولها:

-هل لى أن أكمل حديثى يا أخى؟

-تفضلى

-لقد مات زوجى (محمد) وأنا مزلت فى السادسة والعشرين أو السابعة والعشرين وولدى لم يكن ليتجاوز الرابعة...فى ظل جوار لعمه الظالم وزوجته الأكثر ظلما...أضف الى ذلك عدم امتلاكنا لشئ يذّر علينا دخلا الا محلا صغيرا لم نكن نظفر منه بأكثر من ربع أو ثلث ريعه...ومع ذلك رفضت الزواج من أجل هذا اليتيم الذى أقسمت أن أكون له المعين على دنياه حتى آخر لحظاتى...أوأقبل بالزواج الأن وقد قاربت على الأربعين وولدى على الثامنة عشر وننعم بجيرة لم ولن نجد خيرا منها الى جانب محل نمتلك ريعه كله؟...كيف بالله عليك يكون ذلك يا أخى؟...لقد اعتدنا حياتنا تلك يا (مصطفى)...حياة ابن ليس له الا أمه وأم ليس لها الا ابنها...حياة اثنين من العباد باتا لا يتخيلان عضوا ثالثا فى اسرة لا تحوى أكثر من عضوين منذ سنوات...هى حياتنا يا أخى التى لا نرضى عنها بديلا الآن...فلسنا على دراية بما سنجنيه من ذلك البديل...ولست على استعداد للمخاطرة بقادم أيامى وأيام ولدى ونحن الذين استقرت بنا أوضاعنا أخيرا...لندع الحياة تسير بنا كما هى بلا جديد يا أخى...فلسنا من ذلك النوع الذى ينتظر من الدنيا راحة بعد تعب أو رخاء بعد شقاء...عهدنا التعب وألفنا الشقاء وباتا صديقين حميمين لى ولابنى الوحيد.

تأثر (مصطفى) بكلام أخته التى تساقطت بعض دموعها وقد وضع يده على ركبته قبل أن يهم بالوقوف والسير باتجاه أخته محتضنا لها ولدموعها قائلا:

-لك ما تريدين يا أختاه...لك ما تريدين...هى حياتك وحياة ولدك وليس من شأن أحد التطرق الى تفاصيلها دونكما...كل ما أردته كان خلاصكما مما تعانيانه منذ سنوات طالت فيها أيام عذابكما...لا عليك من صعوبة الحياة أو شظف العيش فها أنا أكرر لك الآن ما قلته قبل عشرة أعوام...أنت و(وحيد) أمانة فى رقبتى مسؤولية حتى السطر الأخير فى كتاب حياتى.

انتهى اللقاء بين الأخوين بذلك الحضن المعتاد بينهما كثيرا وانصرف (مصطفى) يبحث فى أكان رأسه عن طريقة مناسبة لإخبار (الساعى) برفض أخته لزواجها منه...لم يكن ذلك باليسير عليه فذلك الرجل هو المالك لمعظم تلك المحلات فى ذلك السوق الذى تملكت فيه (أمينة) محلها الصغير...وهذا الملك هو بعض من كل تحتويه جعبة هذا الرجل من الأملاك...لا تكمن خشية (مصطفى) فى ضخامة ممتلكاته فكثير هم من يملكون ولا يظلمون...لكن خوفه ينصب على الأكثر من المُلاّك الظالمين المنتمى لهم هذا (الساعى)...لكنه على أية حال لا يجد أمامه سبيلا يخطو خطواته الا المصارحة دون تجميل...فلم يعتد الا على ذلك ولن يرضى الا بذلك...بل انه بالأحرى لا يملك الا ذلك!

توجه اليه بالفعل وأخبره بذلك الرفض...ليسمع ذلك الرد النابع من تلك النبرة الحادة لذلك الصوت الغليظ لذلك الوجه الغاضب لشخص معتادعلى الانتقام من كل رافض لطلبه...وما أقلهم هؤلاء الرافضين

-ماذا تقول؟...ومن تكون تلك المرأة لترفض (سيد الساعى)؟...يبدو أنك أخطأت التعبير يا سيد (مصطفى)...بالتأكيد لا تقصد رفضا أليس كذلك؟

-لا أدرى ماذا أقول لك يا معلم (سيد)...الرفض بالتأكيد ليس رفضا لشخصك...انما هو رفض للمبدأ من الأساس...فأختى ترفض فكرة الزواج أصلا منذ وفاة زوجها قبل سنوات...

قاطعه قائلا:

-أنا لست كأحد من السابقين فى راغبى زواجها يا (مصطفى)...ذلك الرفض ليس الا اهانة بازغة بزوغ الشمس لم يجرؤ عليها أحد من قبل...و(سيد الساعى) ليس من ذلك النوع الذى يهان...وان حدث وتمت اهانته فلا تتوقع منه صمتا وترحيبا بتلك الاهانة

لا يزال (وحيد) يحاول جاهدا استكشاف ما كان وراء حديث أمه وخاله بعدما شعر بشرود أمه الى حيث كادت لا تشعر بوجوده بجانبها....الأمر من وجهة نظره اذن بحاجة الى نقاش ليزيل عن أمه بعض ما تسبب فى شرودها.

-أما تزالين مصرة يا أمى أنه لم يكن بينك وبين خالى (مصطفى) شيئا ذا أهمية؟

-كما قلت لك يا عزيزى...لا شئ...اهتم فقط بدراستك ولا تشغل نفسك بما هو أثقل من أن تحمله...

-أثقل من أن أحمله؟؟....هناك شئ اذن يا أمى تخفيه عنى...كونى على ثقة بى أكثر من ذلك يا أمى...أستطيع حمل أكثر مما أستطيع مادام الأمر يتعلق بك يا عزيزتى.

ابتسمت الأم واتسعت ابتسامتها فامتدت يداها الى كتف ابنها تربت عليه فى حنان قبل أن تقول

-ثقتى بك أكبر مما يخيله لك عقلك بكثير يا حبيبى...انا على يقين أن بصحبتى رجل لا يعتمد على غيره فى وجوده...لكنه بالفعل عدم وجود ما يستحق كل ذلك النقاش

-لماذا اذن طالبنى خالى بالانصراف حتى يتسنى له الحديث...الا اذا كان الأمر ذا أهمية تقتضى ذلك...ولماذا تغيرت حالتك هكذا منذ أمس وبالتحديد بعد انصرافه؟

-(وحيد)...لم أعهدك بهذا الالحاح قبل ذلك يا بنى....ليس الأمر بحاجة لكل هذا التهويل الذى أراك تنتهجه...

-ليس الحاحا بالطبع يا أمى...هو فقط قلقى عليك من أى سوء...فلا أحب أن أراك فى تلك الحالة من التفكير المضنى

-أعرف ذلك مسبقا وأقدره يا عزيزى....لكنى أريدك أن تثق فى قدرة أمك على تدبير الأمور أكثر من ذلك

-أنا على ثقة تصل حد اليقين يا أمى لكن.....

-(وحيد)...ألا ترى أننا أطلنا الحديث فى موضوع لا يستحق الاطالة يا عزيزى؟...أم تراك تريد اجهاد أمك فيما لا يستحق.

-أنا آسف يا أمى...لم أقصد بالطبع ذلك بالطبع...هو فقط قلقى عليك كما ذكرت مسبقا

-لا عليك يا صغيرى...دعنا من ذلك الآن ولتحادثنى قليلا عن دراستك وأصدقاءك...أراك انقطعت عن لقائهم منذ عدة أيام

فطن (وحيد) اذن الى وجود ما ترغب أمه فى اخفائه عنه...لكنه لم يشأ أن يحادثها فيما لا تريد الحديث فيه...فكان قراره بانتظار ما ستسفر عنه أحداث القادم من الأيام كانتظار أمه...وان جمع بينهما الأمل فى كونها أحداث خالية من جديد العواصف التى تعبث بهدوئهما المعتاد منذ سنوات.

اشتد غضب (سيد الساعى) الى درجة أيقن لها (مصطفى) أن الأمر لن ينتهى عند حد الرفض المردود عليه ببعض كلمات الغضب....لا يزال (الساعى) مستمرا فى كلامه الذى يحمل تهديدا ضمنيا وسط استماع (مصطفى) الذى لا يجد من الردود ما يهدأ خصمه أو حتى يبادله تهديداته...حتى كانت آخر كلمات ذلك الثائر قائلا:

-تستطيع الانصراف الآن يا سيد (مصطفى)...انتهت مقابلتك الآن !

قالها وقد أدار ظهره لذلك الجالس أمامه على مكتبه فى صورة أثارت وبقوة قلق ذلك الأخ الذى وضعته أخته فى موقف لا يحسد عليه مثله...انصرف آملا فى انتهاء كلمات الوعيد فى ذلك الموضوع وان لم يسمع ذلك فى حوار هذا الرجل...مريدا كتابة سطر النهاية لتلك الصفحة وان لم يقرأ ذلك فى عينيه...وبين ما أمل فى سماعه ولم يظفر به وما أراد قراءته ولم يطله ترك الأيام تكشف عما يبطنه ذلك الرافض لرفضه...وقد آثر ألا تسبق توقعاته بشر آت المحمول من الأحداث فى قادم الساعات.

أيام مرت من الانتظار المشاب بالتوتر على (مصطفى) وأخته حتى تلك الليلة التى استيقظت فيها (أمينة) على صوت تلك الطرقات التى كادت تقتلع باب شقتهما حتى أنها أيقظت من كان أسفلهم من عالة أخيها...انطلق (وحيد) فزعا لاستكشاف ما وراء تلك الطرقات من أحداث حمل لسان طارقها تفصيلها من الكلمات.

فتح الباب ليجد ذلك الشاب رث الثياب التى زادت درجة رثتها من ذلك السواد الذى كساها ككساءه قدميه النحيلتين عديمتى الحذاء ووجهه الذى لم يصنع ذلك السواد فارقا فى بشرته السمراء..تتابعت أنفاسه بقوة مفرطة قبل أن يقول:

-(وحيد)...محلكم اندلعت فيه النيران بقوة ويوشك أن تلتهم نيرانه المجاور من المحلات.

شهق (وحيد) بقوة واتسعت عيناه قبل أن يستفسر متفاجئا :

-ماذا تقول؟

-لا وقت للحديث الآن...لقد تركت الناس وقد أوشكوا على اخماد الحريق...لكن وجودك أنت وخالك مهم لتريا ما حدث

-بالطبع...هيا بنا

همُ بالهرولة تتابعه كلمات أمه بانتظارها...لكنها الكلمات التى ضلت طريقها الى أسماعها بعد أن أغلق الباب سريعا يقطع درجات السلم سريعا بصحبة ذلك الحامل لخبر الحريق.

وصلا هناك يتبعهما الخال المصدوم والأم الباكية وابن أخيها (أحمد) الذى سارع الى صديقه ومن معه يشارك فى اخماد ما تبقى من ألسنة اللهب...وقفت (أمينة) تتابع ما يحدث بقلب لا يقل اشتعال حسراته عن اشتعال تلك الرفوف التى باتت رمادا...تراقب الجارى بعين اندفعت دموعها كاندفاع تلك المياه من المشاركين فى حصار النيران...وان فشلت تلك الدموع فى اطفاء آلامها ونجحت مياه المطفئين فى القضاء على الحريق...أما وقد بات آخر أملاكها جمرة مستعرة مستعرة تم اخمادها فتلاشى وجوده الا من بعض رماد يوشك أن يتلاشى مع حلول الصباح...فما أكثرها تلك الجمرات من اليأس التى أشعلت داخلها حرائقا من الانكسار...زاد بكائها كثيرا ليضع اللمسة الأخيرة فى لوحة حية لامرأة بللت دموعها يديها الموضوعة على صدرها متتابع الأنفاس...يعلو حينا ويهبط آخر...وما بين حين العلو وحين الهبوط اللذان لا يتعديان لحظات كان ذراع أخيها يطوقها حتى سقطت بجواره مغشى عليها فى نهاية الأمر.

افترق جفناها كاشفين عن عينين أوشكتا على الجفاف من فرط ما ذفتا من الدموع لتجد نفسها بعد ذلك واحدة من الرقود على واحد من تلك الأسرَّة البضاء المعتاد وجودها فى المستشفيات...أدارت رقبتها يمينا تارة ويسارا أخرى مع ثبوت جسدها المفترش فى انهاك على سريرها المحاط بأشباهه من السرائر تتساءل عن طبيعة ما آلت اليه وسبب وجودها بين هؤلاء المرضى...ها قد وجدت ضالتها أخيرا فى تلك الوجوه المحيطة بها التى تعرفها والتى بدا عليها استمرار لفترة ليست بالقصيرة من انتظار افاقتها...ها قد تم لهم ما أرادوه أخيرا ليسارعوا اليها مطمئنين على ما وصل اليه حالها...أحدهم كان بيدها ممسكا...وآخر كان حاله بثانى اليدين كحال الأول بأولاهما...وعلى رأسها كانت تلك المرأة زوجة أخيها تمسح على رأسها...أما الرابع فكان ذلك الشاب الواقف عند قدميها ليبدأ الحوار باسما بقوله:

-حمدا لله على سلامتك يا عمتى...أقلقتنا عليكى

-سلمك الله يا (أحمد)...أين أنا يا بنى؟

تولى ذلك الابن الممسك بيمنى اليدين مهمة الرد مطمئنا أمه:

-فى المستشفى يا أمى...لا داعى للقلق فقد طمأننا الطبيب لاستقرار حالتك والحمد لله.

أغمضت عينيها فى تجسيد لمن انتظر شينا ووجده فى النهاية سرابا لتهمس فى احباط:

-يا لخيبة الأمل...لم يكن كابوسا اذن !

سمعها ذلك الجالس على يسارها فاقترب فمه من أسماعها مواسيا:

-لا عليكى يا (أمينة)...لا عليكى يا أختاه فما حدث لا رجعة فيه...الأهم الآن ما أنت فيه من ارهاق وانهاك.

-كان هذا انتقامه اذن يا (مصطفى)

-ما زلتى فيه وفى لقائه مفكرة يا عزيزتى...

-أوعندك شك فى مسئوليته عما حدث؟

-(أمينة)...هل لنا أن ننحى هذا الحديث جانبا الآن؟...الحياة لم تنتهى بعد يا أم (وحيد)...لا يزال أمامنا الكثير لنفعله

-أراك راغبا فى غض الطرف عما حدث يا أخى

طأطأ رأسه يفرك يديه ناظرا الى لا شئ على الأرض لثوان ثم استطرد قائلا:

-هل تعلمين يا (أمينة)...لأول مرة تتسببين فى اثارة حزنى الى هذا الحد...عودى بذاكرتك الى الوراء يا أختاه...لن تجدى موقفا واحدا أسأتى به الظن بى على امتداد سنوات مهما كان الأمر...لكنك فعلتها الآن أخيرا يا عزيزتى

انصرف بعدها واضعا حد النهاية لحديث لم يتعد دقائق لم يسمعه غيرهما بعد انصراف الباقين لملاحظة كلام جانبى بين الأخ وأخته.

لم يُلحظ ما أخفاه ذلك الحزين الغاضب من حزن أو غضب فى غمار ما عاشته تلك العائلة الكبيرة من أحداث طالت سهامها صدور الجميع.

انقضت أيام قلائل غادرت خلالها (أمينة) المستشفى بعد تحسن حالتها الى حد يسمح بمغادرتها...استراحت بعدها سويعات...لم تقدر على احتمال تأنيب ضميرها الثائر عليها مدافعا عن أخيها الذى طالته شكوكها من فقدان بعض نخوته...كان قرارها الفورى بتلبية المطلب الملح لثورة ضميرها تلك فكان هبوطها لشقة أخيها تصاحبها النية فى ترضيته واعتذارها عما كان منها قبل أيام...دقائق معدودة وكانت تطرق باب أخيها ذلك الذى تعودت على طرقه...فتح الباب ذلك الشارع فى الثانية والثلاثين والذى هم بالخروج ليجد عمته فى وجهه...بادرته بقولها:

-كيف حالك يا (كريم)؟

أشاح بوجهه عنها يجيب متكلفا بصوت لا يكاد هو نفسه يسمعه:

-أهلا!

قالها وانصرف الى حيث كان مقصده غير عابئ بما ألمَّ بعمته ولو حتى بسؤال من وراء جدران قلبه...تابعت (أمينة) طريقها الى الداخل معتبرة ذلك الحديث القصير كأن لم يكن وهى المعتادة على مثل تلك الردود من ابن أخيها...وجدت أخاها جالسا بمفرده فى مجلسه المعتاد فألقت السلام ليرد عليها بنبرة طغت عليها لمسة من اللوم غير المباشر...لكنه احساس الشقيقة بشقيقها التى شعرت بتلك اللمسة التى ضمتها فى جنباتها كلماته...بادرته بكلامها الراغب فى ازالة لمسة اللوم تلك قائلة:

أعلم مقدار غضبك من حوارنا الأخير يا (مصطفى)...لكنها يا أخى الصدمة فقط مما حدث وليس سوء الظن كما توهمت...فلم أكن ولن أكون أبدا لأرتكب تلك الحماقة فى حقك ما حييت.

-ليس غضبا يا (أمينة)...انما هو الحزن لسماع كلمات لم أكن أبدا لأتخيل سماع مثلها من مثلك...فكما قلت لك مرارا أنت وولدك أمانة فى عنقى وعليه فلن أكون يوا ذلك المتغاضى عن حق من حقوقك أو حقوقه...ما علينا من ذلك الآن لنعد الى الأهم...أعلم أن (سيد الساعى) وراء ما حدث بعد رفض زواجك منه...بل انى توقعت حدوث هذا من حوارى معه حين ابلغته بذلك الرفض...لا أريد أن ألحظ عليك قلقا أو خوفا يا أختاه...فقط اتركى لى الفرصة لرد الصفعة.

-على ماذا عقدت نيتك؟

-هل نسيتى أن محام يا عزيزتى؟

-ستلجأ للقانون اذن؟

-ليس قبل امتلاك ما يثبت فعلته...لكن دعينا نحتفظ بذلك بيننا فقط...لا أريد لغيرنا أيا كان أن يعرف حتى (وحيد)

-لك ذلك يا أخى...لك ذلك

أخرج من جيبه بعد ذلك نقودا وهمَّ أن يعطيها لها قائلا:

-خذى يا (أمينة)...فلا يوجد ما يعينك الآن ويعين ولدك بعد ضياع المحل

-حالتنا المادية بأفضل حال يا (مصطفى) والحمد لله...لا تقلق بهذا الشأن

-ماذا عن اعتباره دينا لا إعانة؟

ابتسمت قائلة:- تأكد يا أخى أنى لو احتجت شيئا ستكون أول من ألجأ اليه...بل والوحيد الذى سألجأ اليه

fb.com/Book.juice

-لم تتخلى عن عنادك أبدا يا (أمينة)...ولا أراكى ستتخلين عنه يوما...

اكتفت بالرد على مداعبة أخيها الأخيرة تلك بابتسامة صغيرة قبل أن تستأذن بالانصراف ظانّة أن أحدا لم يسمع ذلك الحديث وكذلك كان ظن أخيها...غير أنهما لم يلتفتا الى ذلك السامع لحوارهما فى استتار...ذلك السامع الذى اتجه فور سماعه تلك الجمل بين أبيه وعمته الى صديقه (وحيد) الذى أذهله ما سمع من سرد صديقه لهذا الحوار...فكانت رغبته فى التثبت مما سمع من صديقه مخاطبا اياه بقوله:

-هل أنت متأكد من ذلك يا (أحمد)؟

-كما أنا متأكد من وجودى أمامك الآن...لأقد سمعته بأذنىّ هاتين

-كان ذلك اذن هو الموضوع الذى شغل أمى أياما ورفضت الافصاح عنه حين سألتها عن سر شرودها

-لقد تعاهدا على بقاء الأمر سرا بينهما...لقد سمعتهما يتحدثان عن رغبة مشتركة بهذا الخصوص

-لكن لماذا؟...ما الحكمة فى ذلك؟

-لعله الخوف من رد فعلك أو....شئ كهذا على ما أظن

-لا أعرف يا صديقى لقد فاجأتنى وبشدة

قالها وقد عقد ذراعيه ثم رفع كفه الأيمن الى ما تحت ذقنه فى صورة ذلك المفكر فى سبب اخفاء أمه لذلكوما يتوجب عليه فعله الآن لرد اعتبارها...ثم استطرد قائلا:

-لن أعقد يداى أشاهد الأحداث من مقاعد المتفرجين على أية حال

-ماذا ستفعل؟

-العين بالعين والسن بالسن والبادئ أظلم يا عزيزى

-سأكون لك مساندا فيما تريد انجازه...لكن ألا تفصح أكثر عما تنتوى فعله؟

-سنحرق مخازنه كما فعل بمحل أمى

-ماذا تقول؟

-أراك اعتراك بعض الخوف مما سمعت

-لا لا...ليس خوفا بالطبع...هى فقط المفاجأة مما قلت...ألا تعرف من هو (سيد الساعى)؟...لابد أن تقدر خصمك جيدا قبل أى مواجهة بينكما

-أعرف وأقدّر يا (أحمد)...كن فقط الى جوارى ولا تعبأ بما سيكون

fb.com/Book.juice

-حسنا يا صديقى دعنا نفعلها ونرد الاعتبار

-دعنا أولا نخطط لقادم الأحداث بهدوء.

عزم الصديقان اذن على الانتقام...الانتقام من شخص سمعا عنه ولم يرياه...لكنهما على أية حال يملكان ما يكفى من شعور بالحنق تجاه هذا (الساعى) لتفعيل ما ترعرع فى ذهنهما من مخططات الانتقام

ظلا مدة شارف عمرها على الثلاثة أيام انتهت بهما لحظاتهما الى قبل فجر احدى الليالى حيث كان تسللهما من البيت الى أحد مخازن ذلك الرجل حاملين ما يمكنهما من اشعال ذلك البناء الذى توجها لاشعاله

همّا بتنفيذ ما جاءا لأجله قبل أن تطالهما يدا هذين الحارسين اللذين فشل الصديقان فى اخفاء نفسيهما عن عينيهما...كانت يد الحارسين أسرع على كل حال من يد المشعلين فكان اجهاض سريع لم خططاه قبل أن يبدأ...توجه أحدهما للآخر قائلا:

-ماذا سنفعل بهما؟

-أرى أن نذهب بهما للمعلم (سيد) وندع التصرف الكامل له

-فى هذا التوقيت؟

-لا نملك خيارا آخر

-حسنا...هيا بنا اذن

كان البحث على قدم وساق بلا نتيجة تذكر...كاد قلبا (أمينة) و (سعاد) يتوقفا عن نبضهما من قلقهما المستحق على ولديهما المختفيين فى توقيت كهذا...تعلقت أنظارهما بذلك الباب الخشبى لشقة (مصطفى) فى انتظار ذلك الزوج والأخ الأكبر الباحث عن ولديه بالخارج علّه يحمل من الأخبار ما يطمأن به هذين القلبين المنفطرين...انفتح الباب أخيرا وقامت الأمان تهرولان الى ذلك الذى فتح الباب ينظر الى الأرض وقد بدا عليه أن بحثه قد بات هباء منثورا بلا نتيجة تذكر...ظل على صمته ونظراته البائسة الى لا هدف حتى كانت كلمات زوجته اليه قائلة:

-ماذا وجدت يا (مصطفى)؟...هل من جديد؟

-لو كنت أحمل جديدا لقلته دون انتظار لسؤالك يا (سعاد)!

-ماذا تعنى؟....هل ضاع الفتيان؟....ما هذا الهراء؟...كأننا نتحدث عن طفلين...كيف لشابين فى مثل سنهما أن يضيعا؟...ليجيبنى أحد قبل أن أُجن!

قالتها وقد بدأت نبرة صوتها تعلو شيئا فشيئا فى مظهر بدا عليها فيه الانهيار التام....

أسرعت اليها (أمينة) تهدئ روعها رغم أن حالها لا يختلف كثيرا عنها...لكنها قلوب الأحبة حين تلتقى فتقوى ببعضها البعض...لم تلبث أن سقطت باكية على مقعد من مقاعد المكان تربت على كتفيها كفوف (أمينة)...تلك التى تاهت بين دروب من الحزن على غياب ولدها وابن أخيها ودروب أخرى من الدهشة من سبب هذا الغياب...اتجهت فى بطئ الى أخيها الجالس على أحد المقاعد يفرك يديه ببعضها يفكر فيما كان وما سيكون قبل أن ينتبه لها تسأله:

-ماذا يدور برأسك يا أخى؟

-أمور كثيرة يا (أمينة)...أمر يدعو للعجب حقا فليس من عادة كليهما الخروج فى هذا التوقيت...أخشى أن يكون قد أصابهما ما نكرهه

-الى أين يكون ذهابهما اذن وقد سألنا كل أصدقائهما وكل أسام الشرطة والمستشفيات؟...انه أمر يدعو للجنون أن يغلق علينا جميعا باب واحد ثم ننتبه بعدها بسويعات الى غياب فردين!!

-هل أنت واثقة أن (وحيد) لم يعلم بأمر (سيد الساعى) أبدا؟

وقت ليس بالطويل استغرقه هؤلاء الأربعة قبل المثول أمام ذلك المتعجب من اعتداء كان مخطط له من شابين يبدو عليهما أنهما لا يعرفان مقدار قوته...استقبل الخبر بشئ من السخرية التى يكسوها خليط من الدهشة والغضب فى آن واحد...فكان ذلك المزيج فى المشاعر بين الغضب والدهشة والسخرية الذى دفعه لتأمل هذين الوجهين عن قرب علّه يعرف أيا منهما بلا جدوى...لم يكن أحد ليجرؤ على مجرد التفكير فيما أقدما عليه طيلة سنوات وان كثرت خلافاته مع عديدين لكن أحدا من مخالفيه هؤلاء لم يقدم على مثل ما أقدم عليه (وحيد) و (أحمد)...وقفا أمامه وخلفهما هذين الذين أمسكا بهما يسير أمامهما جيئة وذهابا ذلك المالك لما أرادا حرقه وهما يراقبان تلك الخطوات منتظرين ما وراءها من تفكير صاحبها...ظل كذلك باحثا عن كلمات البداية لحديث بينه وبينهما قبل أن تثبت خطواته وينظر فى وجهيهما من جديد مليا قائلا فى غضب:

-من أنتما؟...وماذا تريدان؟

تولى (وحيد) مهمة الرد عليه قائلا:

-لا يهمك كثيرا من نحن...أما عن ماذا نريد...فهو استرداد حقوق لنا لديك.

-أى حقوق تلك التى تتحدث عنها بهذه الثقة أيها الصغير؟...لا تتوقع منى صبرا على فلسفتك هذه كسيرا...قل ما تريد قبل نفاذ صبرى...لم تعد بى رغبة للاستمرار فى تلك المسرحية الهزلية السخيفة

-حرقت محل أمى وجئت أذيقك نفس الكأس...هذا كل ما فى الأمر أيها المتغطرس

انطلقت ضحكات (الساعى) قوية تخترق سكون ذلك الليل ساخرا من ذلك الرد قبل أن يمسك بتلابيب (وحيد) بقوة وقد توقف عن ضحكه فجأة قائلا:

-يبدو أنك لا تجيد أدب الحوار أيها الصغير...ويبدو أنى من سيعلمك اياه

ترك ثيابه وترجل خطوتين يعطيه ظهره قبل أن يلتفت اليه مجددا بقوله:

-أنت اذن ابن تلك السيدة صاحبة ذلك المحل الصغير هناك فى بداية السوق...أتعلم يا فتى؟...لقد نلتما بعض اعجابى...لكنكما ومع الأسف لهيتما مع الخصم الخاطئ...لستما يا عزيزى الا شبلين أرادا مداعبة الأسد...بل ان وصف الأشبال ذاك لا أراه يلائمكما كثيرا...لستما يا صغيراى الا فأرين حقيرين ان شئت سحقتهما بقدماى فى لحظات...

قالها وقد تباعدت أجفانه لتكشف عن جحوظ مخيف لعينيه قبل أن يكمل حديثه المخيف المستفز ذلك بقوله:

-ابتعدا عن طريقى أيها الطفلين...فلا طاقة لكما ب(سيد الساعى)...هذه آخر نصائحى لكما.

أشار بعدها الى صبى له باشارة متعارف عليها بينهما والذى بدوره أحضر له سكينا صغيرا لمعت لمظهره أعين الشابين وهو يقول:

-لن يقسو عليكما عقابى هذه المرة...سأريكم فقط توقيعى الذى ستتذكران به (سيد الساعى) حتى آخر لحظاتكما والتى أظنها قريبة ان عاودتما مثل تلك البطولات.

الحال الآن فى بيت العائلة أصعب من أن يخطر ببال هذين الشابين الذين أوقعا نفسيهما فيما لا طاقة لهما به...وصل القلق حد الجنون...بل تخطاه الى حد كاد يعصف بعقول الأهل...كانت هيئة (سعاد) ذات طابع يدفع رائيه الى البكاء لبكائها...الى التأوه لتأوهها...لم يقتصر الأمر على مجرد حزن مفروغ منه على غياب الصبيين الأشبه بتيه طفلين...انما كانت الدهشة من سبب الغياب وتوقيته...لم تختلف هيئتا (مصطفى) و (أمينة) عن تلك الأم المكلومة كثيرا وان حظيا ببعض الثبات بدا جليا فى حوارهما الذى امتد الى حدود بعيدة عقب هذا السؤال المفاجئ من الأخ لأخته...تلك التى أجابته بنبرة علاها الاستغراب مما تسمعه

-تمام الثقة يا أخى...كان هذا عهدنا وقد حافظت عليه بأقصى مما أستطيع...لكن...لماذا هذا السؤال؟...ماذا يدور برأسك؟

-يدور برأسى ما أتمنى أن يكون من نسج خيالى لا صلة له بالواقع...يتملكنى شعور قوى بأن للأمر علاقة ب(سيد الساعى)...رغم أن كلامنا فى هذا الموضوع لم يشهده غيرنا الا أن بداخلى ما يؤكد لى أن (وحيد) و (أحمد) على علم بالأمر ودفعهما حماسهما وطيشهما الى انتقام منه أو ما شابه ذلك.

-لا أظن الأمور بامكانها أن تصل الى هذا القدر من التشابك والتعقيد يا أخى...فكما ذكرت سلفا الأمر لم يتم تداوله الا بيننا فقط...لا تذهب بعيدا بتفكيرك يا عزيزى...الأمر لا ينقصه الداعى للقلق من التفكير

-ليس بعيدا كما تتخيلين يا (أمينة)...لا أرى أمامى من التفسيرات ما يبرر ما نحن فيه الى هذا السرد الذى ذكرت...ولا فما هى الا ساعات ونجن جميعا ان استبعدنا ذلك التصور

صمتت (أمينة) لا تجد من الردود ما تجيب به أخاها...اقتنعت الى حد معقول بكلام أخيها وان اعترتها بعض الرغبة فى عدم الاقتناع أو التصديق بأن يكون هذا هو سير الأحداث...اكتفت فقط برد مقتضب على كلمات أخيها قائلة:

-لا أعرف بماذا أجيبك يا أخى...يبدو تصورا منطقيا بعض الشئ...لكنى لا أرانى راغبة فى الاقتناع به على أية حال...ان كان الأمر هكذا فهو السوء بعينه الذى ننتظره وينتظره هذين الصبيين

-عدم الرغبة فى التصديق ستدفعنا الى ما هو أكثر قسوة مما نحن عليه الآن...علينا التعايش مع أصعب التصورات حتى لا نعيش صدمة نحن أقل من أن نعايشها بلا تحضير نفسى سابق...لا بأس الآن بكل هذا الكلام...ليس الا نقاشا لا جدوى من استمراره...دعينا اذن ننتظر المخبوء فى مطويات الأقدار...لم نعد نملك غير هذا الآن!

كلمات تهديد قالها (الساعى) ممسكا بسكينه الذى لمع حدُّه بشدة تحت ضوء مصباحه فبرقت له عينا (وحيد) و (أحمد)...اقترب منهما بعد تلك الكلمات وقد أمر أمر صبيانه بامساكهما بشدة فجعلوا أيديهما خلف ظهورهما قبل أن تمتد الى وجهيهما يد (الساعى) وسكينه مصيبا كليهما بجرح سطحى تعالت له آهاتهما وسالت منه دمائهما وسط ضحكات للمتابعين من صبيانه...تلك الضحكات التى كانت لضحكاته تابعة غير عابئة بآلام الصبيين المصابين.

fb.com/Book.juice

توجه لحراسه بعد ذلك قائلا:

-أرموهما خارجا فى أى مكان.

ثم اتجه الى (وحيد) مستفزا اياه بقوله:

-بالمناسبة أيها الصغير...لن تتخيل كم كان ممتعا احراقى لمحل أمك...كان الأمر أشبه بلعبة صغيرة ألهو بها ويلهو بها فتيانى...أنا مستعد على كل حال لتكراره ان شعرت برغبة فى لهو آخر.

قالها وقد أتبعها بضحكات أثارت فى قلب (وحيد) ذلك الشعور بالكراهية والذى لم يعرف الى قلبه سبيل قبل تلك المواجهة...لم يكره فى حياته شخصا قط...لم يستعمره احساس الرغبة فى

الانتقام أبدا...لكنه الاستفزاز الممزوج بالغرور لهذا الظالم الذى كان المثير لشعور الكره المحفز لرغبة الانتقام.

تركهما الكفيلان بابعادهما عن المكان الى مكان آخر هادئ بعيد نوعا ما عن العمران...كنا فى حالة يرثى لها من الاعياء والارهاق والتحطيم النفسى على حد سواء...لكنها على أى حال تسمح لهما بالذهاب الى مستشفى قريب لاسعافهما...عادا أدراجهما وفى وجهيهما يظهر جليا هذا الأثر الواضح لسكين (سيد الساعى)...ذلك السكين الذى كان تأثيره على وجهيهما ضئيلا اذا ما قورن بتأثير محطم لقلبيهما الشاعران بفشل لم يتمنياه أو يتوقعاه...أثر ظل بارزا فى وجهيهما حتى آخر لحظاتهما...وصلا البيت أخيرا ليجدا الجميع باحثا عنهما متسائلا عن سبب الغياب...سارعت كل أم الى وليدها تحتضنه دامعة غير عابئة بسبب الغياب أو توقيته...فها هى العودة المنتظرة للغائبين فى نهاية المطاف...انتبهت (سعاد) الى ذلك الجرح فى وجه ابنها فكان سؤالها له فى فزع وهى تقلب وجهه بين كفيها:

-ما هذا؟...ما هذا الذى بوجهك يا (أحمد)؟

انتبهت (أمينة) على أثر تلك الكلمات الى وجه ابنها الذى يضم نفس الجرح فكان نفس السؤال الذى لم يجد اجابة من الاثنين الى بنظرات الى الأرض بلا نطق لكلمة واحدة...لم يمتد صبر (مصطفى) أكثر من هذا وقد حدثته نفسه بصدق توقعاته عن ذهاب الصبيين الى (سيد الساعى) غير انه أراد سماع ذلك بنفسه فكان سؤاله الغاضب:

-أين كنتما فى تلك الساعة؟...وما هذا الذى فى وجهيكما؟...تكلما قبل أن ينفذ صبرى!

...أخبرهم (أحمد) بكل ما كان بأدق التفاصيل ورأسه ورأس صديقه لا تجرئان على التطلع الى تلك الوجوه المذهولة مما تسمع...لم يستطع (مصطفى) كبح جماح غضبه من ذلك التصرف الهمجى لابنه وابن أخته فكان ذلك الارتفاع فى حرارة رأسه وصدره مصحوب بانسحاب حاجبيه للأسفل فى صورة الثمانية...صاحب ذلك احمرار أذنيه بشدة لتكتمل تلك الصورة المعتادة لشخص استعمرته بالكامل جيوش غضبه -وان كانت غير معتادة- لذلك الغاضب الآن...تولى لسانه مسئولية التعبير عن ذلك الغضب الجم قائلا:

-اعتبرتما نفسيكما محاربين اذن...تجاهلتما وجود الكبار وتناسيتما أنكما تعبثان مع مجرم عتيد الاجرام لا مجرد صبى مثلكما تتنازعان معه على شئ تافه...نعم لنا حق لديه...ونعم لن نترك هذا الحق...لكننا لا نحتكم لقانون الغابات...هل تعيان ما يعنيه تصرفكما هذا؟...انه اهانة صريحة ومباشرة لى...عدم ثقة فى قدرتى على اعادة ما لنا من حقوق...خسئتما وخسأ طيش الشباب جميعا ان كان بمثل هذه السذاجة والتهور.

همَّ (أحمد) أن يتكلم قبل أن يقاطعه أبوه الثائر بصوت جهورى غير معتاد منه:

-اخرس...لا أريد سماع حرف واحد من كليكما...اغربا عن وجهى تماما الآن قبل أن ينالكما غضبى...لا أريد رؤيتكما

حوار من جانب واحد تخلله بعض محاولات يائسة للتهدئة من قبل الأمين المنفطر قلباهما على ما حدث لولداهما...انصرف الشابان أحدهما الى حجرته فى تلك الشقة التى ضمت بين أركانها ذلك الحوار والآخر الى شقته فى ثانى الطوابق تتبعه أمه...لحقت به بالكاد بعد دخوله باب الشقة بثوان مسرعا وقد همّ بالانفراد بنفسه فى حجرته قبل أن يمنعه نداء أمه:

-(وحيد)...انتظر يا بنى...هل لى ببعض كلمات أسوقها اليك؟

التفت قائلا:

-هل من لوم آخر يا أمى؟

ابتسمت متكلمة قبل أن يكون ردها:

-لم أتعود منك سوء ظن بى أبدا يا (وحيد)...هل هذا عهدك بى يا بنى؟

هدأت ثورته قليلا وقد طأطأ رأسه سائرا فى هدوء خطوتين أو ثلاثة باتجاه أمه الناظرة اليه ثم رفع رأسه يقبل رأسها قائلا:

-عذرا يا أمى...عذرا...فقد كان ما حدث أول مرور لى فى طريق الفشل...لم تأد الأيام آمالى يوما كما وأدتها اليوم...حتى يوم علمى برحيل أبى رغم ما حمله لى من الأحزان التى كانت تقضى على طفل دون السادسة الا أنه لم يشعرنى بضآلتى التى شعرت بها اليوم...

استطرد بصوت غيرت نبرته دموعه التى خنقته متبوعة بدموع أمه قائلا:

-ما فعلته يا أمى لم يكن عبثا كما سماه خالى...فقد شعرت باهانة لك لم يتحملها حبى لك المتزايد عبر سنوات عمرى...قد أكون مخطئا فى طريقة التعبير عن ذلك الحب...لكن هدفى فى محو اهانتك يشفع لى ولو بجزء قليل...لن أسألكى يا أمى عن سبب اخفائك علىَّ ما كان...لكنى بكل الأحوال أريدك أن تعلمى أن تصرفى ذاك لم يكن له دافع الا استعادة حق لأمى سلبه منها ذلك الأحمق...فلم أكن لأغض الطرف أبدا عن تعدٍّ على حقوقى وحقوق أمى...فما لمثل ذلك خُلق الرجال.

ازدياد ملحوظ فى عبرات الأم المنسابة على وجه مبتسم تعلو جبهته لمسة من غبطة من ذلك الكلام النابع من احساس صادق لابن أراد استرداد كرامته وكرامة أمه...تُرجم ذلك الاحساس لكلمات كانت الرد على مقال ابنها قائلة:

-والله يا بنى أنى بعد كلامك هذا لا يعنينى ماضى الأحداث أو مستقبلها...لم يعد يثير اهتمامى ما حدث أو ما سيحدث...اليوم فقط أحسست بنجاح رسالتى...أحسست أن مرافقى ذلك فى درب الحياة رجل كأبيه وهبه الله لى ليكون لظلمة أيامى سراجا أهتدى به...لعلة طاقاتى سند اتكأ عليه...لقد ربيتك يا (وحيد) لمثل هذا اليوم...لأستند الى شبابك فى هرمى...أستمد من قوتك لضعفى...وأحس بالأمان من وجودك بجانبى...لكنى رغم ذلك لا أريد لك هلاكا ولا أحتمل لك اهانة...ضياعك يعنى نهايتى يا (وحيد)...الحق يلزمه قوة تدعمه يا بنى...يحتاج تخطيط يكفل

fb.com/Book.juice

لصاحبه النجاح فى استرداده...اذا كنت تملك بذرة لاقتناص حق مسلوب فلا تضعها برعونة أو تأدها باستعجال...بل اعمل على تهيأة تربتها من الشورى مع من يهمهم أمرك وتجهيز مناخها من تنفيذ ما انتهت اليه هذه الشورى...تلك العلامة يا عزيزى فى وجهك ليست الا دليلا على رجولة افتقدها كثير من مَن هم فى مثل سنك...لا تعتبرها وصمة عار أو رمز اهانة...انما هو ذلك الأثر الواجب على من يراه وأولهم أمك الانحناء أمام نبل صاحبه...انتهى كلامى يا بنى وكل ما أرجوه الآن أن تزيح ما أثقلك من أحزان لن تعيد لك حقا أو ترفع لك هامة.

لم يملك ذلك الابن الذى اعتاد تلك الجرعات المعنوية من أمه مع كل اخفاق يقابله الا تقبيلا ليديها متبوعا بارتماء فى حضنها الذى لم يكن غريبا عليه وهو الذى ضمه كثيرا طوال سنوات...احتضنه كعادة السابق من أيامهما تلف أحد ذراعيها على كتفه والآخر قد أرسل كفه ماسحا على شعره من الخلف...استمر وضعهما هكذا عدة دقائق قبل أن ينتهى بخلود كليهما للنوم بعد ليل طويل جافى فيه النوم جفون الجميع.

خلد الجميع الى نوم طويل عدا شخصين فقط..ذلك العاطل (كريم) الذى وجد طريقه الى المقهى الذى اعتاد على جلسة أصدقائه فيه منذ وصول عمته وابنها منذ سنوات...وثانيهما كان أبوه ذلك المحامى العائد مرة أخرى لمهنته الأولى...رأى أن يبدأ قضيته بزيارة عاجلة لخصمه...لا لاسترضاءه أو نقاشه فقد فات هذا الأوان الآن...وانما ليسوق اليه هذا الاحساس بوجود خصم جدير بتقديره...فذلك من وجهة نظره سيمنعه ولو جزئيا من ممارسات جديدة تستهدفه أو تستهدف أخته أو تستهدف هذين الشابين...اضافة الى احتمالية عثوره على خيط قانونى فى كلامه يقوده لادانته كما يريد ويرجو.

توجه اليه وقد تخلص من بعض غضبه...رأى أن يرتدى عباءة الهدوء حتى يتسنى له اصطياد أخطاءه وايجاد ثغراته ان وُجدت

دخل عليه بعدما أذن له...ألقى سلاما مردود عليه بازدراء من مَن ألقاه عليه قبل أن يقول:

-لا أظن من الرجولة اشعال حريق فى محل أرملة لا تملك من حطام الدنيا سواه لمجرد رفضها الزواج منك أو تشويه صبيين لا طاقة لهما بك بعاهة مستديمة لمجرد محاولتهما رد جزء ضئيل من اهانتك لأم أحدهما وعمة الآخر...

تغيرت هيئة (الساعى) ليضع احدى قدميه فوق الأخرى قبل أن ترتفع احدى يديه الى سطح مكتبه تعبث ببعض أشياءه والأخرى تشير سبابته الى صدره وقد ضاقت عيناه فى صورة ذلك المتظاهر بالاستغراب مما يسمع متسائلا:

-هل كلامك هذا موجه لى أنا؟

-هل ترى ثالثا بيننا يقصده كلامى؟

-لا أعرف عما تتحدث

-جيد...لا بأس بذلك...تذكر فقط أنك لا تعادى خصما سهل المنال كما صوُّر لك غرورك...هذه نصيحتى الصادقة لك...وان كنت أراك لا تستحق صادق النصائح

انتفض واقفا قبل أن يصيح قائلا:

-أتهددنى يا هذا؟

-ان كنت تسميه تهديدا فليكن كذلك لا بأس...أنا أهددك بالفعل

-لقد تجاوزت خطوات حديثك كل ما وضعه صبرى من خطوط الاحتمال...لا أظننى محتملا المزيد من الاستفزازات

-استفزازات؟...أى استفزازات تلك التى تتحدث عنها؟...أولا تعتبر اشعالك النار فى محل أختى والاعتداء على ولداى استفزازا أيضا؟...بل والله انها لحماقة غرورك التى قادتك الى جنون العظمة الزائفة...أنت البادئ يا (سيد) والبادئ أظلم.

-نعم أنا البادئ...أنا من أحرقت المحل وأنا من اعتديت على الشابين...هل من شئ آخر تود قوله؟...

-انتظر فقط ما ستسفر عنه أحداث مقبلة عما قريب

-كف عن هذا السخف يا هذا فقد سئمت تهديدك الأحمق...يبدو أنك لا تعرف (سيد الساعى) جيدا

-بل أعرفه أكثر من غيرى كثيرا...أعرف ما وراءه من مصائب قد تؤدى به الى زنزانة لا أظنه سيحب ظلمتها وعزلتها وتقشفها كثيرا

هدأت ثورة (سيد الساعى) نوعا ما بعدما صدمته تلك الكلمات التى لم يتوقعها وقد بدأت حبات عرقه فى اللمعان على جبهته قبل أن يقول:

-أحذرك يا (مصطفى) من فعل شئ ستندم عليه ويندم عليه كل المنتمين اليك.

-بل انى أعدك أن تكون أسير ندمك أيها المتغطرس.

قالها ثم انصرف واضعا كلمة النهاية فى ذلك الحوار العاصف.

وما كاد ينصرف حتى نادى ذلك المصدوم مما سمع أحد صبيانه المقربين له قائلا:

-أريدك أن تتبع هذا الرجل كظله لا تفارقه وتنقل لى تحركاته مع نهاية كل يوم...بل مع نهاية كل ساعة...هل فهمت؟

-أمرك يا سيدى...كما تريد!

fb.com/Book.juice

مرت أيام من المراقبة بلا جديد يستحق الاهتمام...كل ما هنالك أن (سيد) هذا علم أن (مصطفى) محام اعتزل المحاماة منذ فترة كبيرة...بل انه لم يعمل بها كثيرا...حتى جاءه يوما يحمل جديد الأخبار بقوله:

-سيدى...ذلك الرجل الذى كلفتنى بمراقبته بات يتردد بشكل شبه يومى على مقهى (الصبَّاح) التابع لنا

-ماذا تقول؟...ولماذا لم تخبرنى سريعا أيها الغبى؟

تلعثم الفتى بشدة وقد تمنى لو تنشق الأرض فتبتلعه قبل سماع المزيد من كلمات التوبيخ

-ظننته...ظننته أمرا اعتياديا يا سيدى...غير أنى من سؤالى عنه علمت أنه غير معتاد على جلسات المقاهى فاستنبطت أن فى تردده هذا شئ قد يكون ذا قيمة تريدها.

-دعنا من غبائك هذا الآن...مَن من رجالنا مسؤول عن التوزيع فى هذا المقهى؟

-أظنه (عوض)

-لا أريد سماع أظن تلك ثانية...لا أريد حتى أن أعرف أنك فكرت فى نطقها...اذهب على الفور واتنى بالمسؤول أيا كان...اذهب

قالها بعد أن همَّ واقفا يضرب سطح مكتبه فى مشهد أثار ذعر صبيه ذاك القانل فى رعب:

-أم...أمرك يا سيدى...أمرك...على الفور!

ثم فرَّ من أمامه الى حيث يستدعى (عوض) ذلك للقاء هذا الغاضب...وقت ليس بالطويل قضاه (سيد) يضرب أخماسا فى أسداس...بدا له أخيرا أن (مصطفى) ليس بالعدو السهل أو الخصم الضعيف كما توقع...فها قد بدأ يبحث خلفه عن خيط يوقع به...يبدو أن طموحاته لم تعد تنحصر الآن فى مجرد تعويض مادى أو ما شابه...من الواضح أن سقف تلك الطموحات قد ارتفع للقضاء عليه نهائيا...لكنه أبدا لن يكون الفريسة سهلة الصيد...فاذا كان (مصطفى) يريد نهايته فليكن هو السبَّاق الى كتابة نهاية عدوه قبل أن يكتبها عدوه له...هكذا حدَّث (مصطفى) نفسه يفكر فى أمر ما كان وأمر ما سيكون على حد سواء.

ها قد مثل أمامه ذلك العامل فى ذلك المقهى والمكلف من (سيد الساعى) بالتوزيع السرى للمخدرات التى يتاجر بها سرا...استقبله بقول متعجل قائلا:

-أخبرنى ما تعرفه عن ذلك الرجل (مصطفى) المتردد حديثا على ذلك المقهى البعيد تماما عن العمران...فلا يجلس فى ذلك المقهى الا المدمنين ولا أظنه يكون منهم!

-أجل يا سيدى أصبت...انه رجل غريب بدأ منذ أيام يتردد على المقهى وتطول جلساته به حتى وقت متأخر...حتى انه بدأ يكون بعض الصداقات هناك.

-صداقات؟...أفصح أكثر عما تقصده

-بلى يا سيدى...فى البداية كان يجلس وحيدا يراقب كل شئ حتى ظننته مخبرا للشرطة أو ما شابه...لكن من حوارى مع من يجلسون معه من رجالنا لم يظهر لنا منه شئ من ذلك.

-هل جمع بينك وبينه حوار؟

-نعم يا سيدى

-ماذا عنه؟

-فى البداية لم يحدثنى فى شئ بصراحة مطلقة يا سيدى...كلام مبهم لم أفهم مقصده بالضبط...غير أنه نادانى بالأمس ولمَّح لى بمعرفته أنى موزع للمواد المخدرة وما شابه لكنه لم يقل ذلك تصريحا.

-لم يترك لى ذلك العنيد خيارا اذن...اسمع يا (عوض) ما سأقوله لك وطبقه كما سأقول لك بالتفصيل الممل واياك أن تنقص منه شيئا...ستقوم باستدراج ذلك الرجل الى حيث سأخبرك وبعدها ستترك البقية من رجال لى لا ستكمال ما ستبدأه أنت.

-أمرك يا سيدى...كلى آذان صاغية!

لم تكن (أمينة) بمعزل عن الأحداث ولو للحظة...كانت تتابع تحركات أخيها باستمرار فى قلق مشاب بخوفها عليه...حتى أنها طالبته أكثر من مرة بالتراجع عن التنقيب فى جرائم (الساعى) وكفاهم ما نالهم منه...لكنها النصائح التى لم تلق أرضا خصبة فى أسماع أخيها تنمو عليها

-قلبى غير مطمأن لما تفعله يا (مصطفى)...ذلك الرجل ليس سهل المنال كما تظن...لا أظنك تستطيع الايقاع به من خلال جلسات المقاهى تلك...فالأمر ليس بهذه السطحية يا أخى

-أراكى تريدين تراجعا عما أنا فيه يا عزيزتى

-فى الحقيقة نعم...فقد بدأ قلقى يتنامى كثيرا منذ بدأت بحثك هذا عن مصائبه...أشعر بشئ من عدم الراحة

-لم أعهدك بهذا اللين يا أختاه...حتى أن هذا لم يكن موقفك فى البداية...أهى الرغبة فى التراجع عما أردتيه؟

-الخصم ليس سهلا كما سبق وقلت لولدينا يا أخى...لا أرانا نحتمل المزيد من الخسائر...يكفينا ما لقينا

-تعرفين أن التراجع ليس من صفاتى ولن يكون...دعينا نفكر فى القادم وما سنفعله بدلا من هذا الجدال العقيم الذى لن يجدى شيئا فيما نحن فيه.

fb.com/Book.juice

-انت اثن مصر على الاستمرار فى تلك المعركة المستحيلة يا (مصطفى).

-فاذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن أموت جبانا يا عزيزتى...هل تراكى تحترمينني ان تراجعت؟

صمتت قليلا تنظر الى الأرض وقد هربت عيناها من عينى أخيها بعد سؤاله قبل أن ترفع وجهها من جديد قائلة:

-لا يهمنى الا سلامتك يا أخى...ليس لنا إلاك...ولسنا على استعداد لتحمل المزيد من الصدمات

-لا داعى للقلق يا عزيزتى...لن يرحل مخلوق قبل أن يستكمل ما له من الأنفاس واللحظات...رُفعت الأقلام وجفت الصحف...ليست الا خطوات مقدرة نخطوها كما أرادت لنا أقدارنا...وما علينا الا السعى لاستكمال تلك الخطوات.

قالها ثم نظر فى ساعته قائلا:

-حان وقت ذهابى الى المقهى الآن...علّى أجد من الخيوط ما يكمل ما توصلت اليه لإدانة تلك (الساعى)...أستأذن بالانصراف يا أختاه

قالها وانصرف تتابعه فى شفقة عينا أخته التى أخرجت زفيرا تحمل أنفاسه كل معانى الخوف من المستقبل والقلق من انتظار الآتى من الأحداث قائلة:

-وفقك الله يا أخى وأعادك الينا سالما...

تم التخطيط باحكام تام ولم يبق الا التنفيذ الذى تم فى تلك الليلةحيث جلسة اعتيادية ل(مصطفى) لاستكمال ملاحظاته التى أوشكت على الانتهاء بالايقاع بغريمه ومن معه...جاءه (عوض) جالسا الى جواره قائلا:

-أراك مترددا فى طلب شئ ما يا سيد (مصطفى)

-لا أبدا...طلبت بالفعل ما أريد تناوله...أشكر لك اهتمامك

نظر (عوض) الى الأرض باسما قبل أن يقول:

-ظننت أذكى من هذا يا سيدى...قصدت طلبا من نوع آخر تماما.

-وما الذى ترانى أود طلبه؟

-قد يكون شيئا علمت أنك ستجده لدينا مثلا.

-ألا تفصح أكثر عما تريد؟...لا أرى داعيا لهذا الابهام

-لا أظننى بحاجة لمزيد من الافصاح يا سيد (مصطفى)...جئت تطلب...مخدرات...أليس كذلك؟

fb.com/Bookjuice

قالها متقطعة هكذا وقد تحول وجهه من الهزل الى الجد فى وقت لا يتعدى عمره ثوان قبل أن يرد عليه (مصطفى) باسما:

-وهل لك أن تجلب لى ما أطلب؟

-ان أردت فاعتبر نفسك ممسكا بها الآن

-هل لى بسؤال يا (عوض)؟

-بالتأكيد...تفضل على الرحب

-أراك تكلمنى بثقة تامة بلا خوف...ألا تخشى أن أنقل ما تقول الآن للشرطة مثلا؟

ضحك (عوض) كثيرا وطال ضحكه قبل أن يرد قائلا:

-تقديرى لذكاءك يتضاءل مع استمرار حديثنا يا سيدى...أعذرنى لم أقصد بالطبع

-لا عليك...لكنك لم تخبرنى بسر ثقتك تلك

-ليس ثقة فيك يا سيد (مصطفى) مع احترامى الشديد لشخصك لكننا فى مهنتنا تلك نعتبر ثقتنا فى الآخر دربا من دروب الخيال...

-مازلت على حالى من عدم الفهم...الىّ بالمزيد اذا سمحت

-هى ثقتى فى نفسى وفى من أعمل معهم يا سيدى...فأنا لا أكلم أحدا فى شئ كهذا الا بعد أتوسم فيه من الدلائل ما يدل على رغبته فى الحصول على ما نبيعه...وليكن فى معلومك أنى لم أخطأ أبدا فى ذلك...يسمونها خبرة فى كثير من الأحيان...أضف الى ذلك أنك لن تقدر على افشاء سرنا.

-أهو تهديد؟

-لا...ليس تهديدا بالطبع...لكن دعنى أسألك سؤالا...هل لك أن تثبت شيئا مما قيل لك الآن؟

صمت (مصطفى) لا يجد الاجابة المناسبة فباغته (عوض) باجابته:

-دعنى أجيبك أنا...بكل بساطة لن تستطيع...فهذا الحديث لا يسمعه سوانا...وحتى لو أعطيتك المخدرات فلن تستطيع اثبات أننا كنا الموردين.

-هل لى بسؤال آخر؟

-كثرت استفساراتك يا سيد (مصطفى)...لكن لا بأس...تفضل...أنا على أتم استعداد لاجابتك كى تكون مطمئنا لعملنا

-من أين لك بتلك المخدرات؟...أقصد من المسؤول الأول عن تجاراتكم تلك؟

fb.com/Book.juice

-تقصد لصالح من أعمل...أليس كذلك؟

-بالضبط...يبدو لى أنك أذكى مما توقعت

-ليس ذكاءا انما هو فقط الانتباه الدائم لما يقال حولى فقد يكون ذا قيمة...انها فقط تقاليد عملنا

-لم تجبنى عما سألت...أراك تتهرب من سؤالى

-وهل فى تلك المعلومة ما يهمك كثيرا الى ذلك الحد؟

أحسَّ (مصطفى) بشئ من الشك سيطر على (عوض) فآثر انهاء الجدال قائلا:

-لا أبدا...انه فقط اكمال عادى لحوار بدأته أنت...ليس الا استطرادا لما فات بطبيعة الحال

-على كل حال...أستطيع أن آخذك اليهم ان رغبت فى ذلك

-تهللت أسارير (مصطفى) بعدما أحس باقترابه من امساك طرف الخيط قائلا فى فرح:

-أحقا ما تقول؟...متى تستطيع تدبير هذا اللقاء؟

-ماذا عن الآن؟

-الآن؟

-بلى...الآن...ألست مستعدا؟

-بلى بلى...أنا على أتم الاستعداد

-هيا اذن...لا زال فى الليل وقت طويل يسمح لنا بالذهاب والإياب

انطلقا سويا الى المكان الذى أوصى (سيد الساعى) (عوض) بالتوجه اليه حيث ترك ذلك الأخير (مصطفى) متعللا بالذهاب الى هؤلاء الذين قصدوا وجهتهم ليمهد لهم وصوله حسب قوله...وافقه (مصطفى) ذلك الذى تُرك وحيدا فى تلك المنطقة التى لا تحوى من الأضواء غير ضوء القمر ولا تضم من البشر سواه...ظل على حالة من الانتظار الطويل حتى بدأ قلقه يتزايد الى درجة لم يعهدها فى حياته...لكنها رغبته فى الايقاع بعدوه وشعوره بالاقتراب من ذلك كانت دوافعه للبقاء فى انتظار (عوض) ومن معه...دقائق قليلة قضاها واقفا مترقبا منتظرا قبل أن يسمع صوت خطوات مصحوبة بهمسات.

لم يكن قلق (أمينة) على أخيها ذلك النوع من القلق الذى تستطيع اخفاءه أو التظاهر بعدم وجوده...كان أقوى من رغبتها فى الاخفاء أو نيتها فى التظاهر...كان جليا من نظرتها تلك الثابتة الى الأرض وجلستها على كرسيها المعتاد فى شقتها واضعة يدها تحت خدها مسنودة

بيدها الأخرى أنها تحمل من هموم الدنيا أكثر مما اعتادت على حمله واعتاد ولده على رؤيتها تحمله...هينة أثارت انتباه ابنها العائد لتوه من الخارج فكان توجهه اليها جالسا الى جوارها متسائلا:

-ماذا هناك يا أمى؟...كأنك بمصيبة قد حلت

انتبهت اليه والى سؤاله فكان ردها الروتينى الذى اعتاد عليه:

-لا شئ يا عزيزى...لا شئ...أين كنت حتى هذه الساعة؟...ألم أوصيك بعدم التأخر الى هذا الوقت بالخارج يا (وحيد)؟

-كأنى بك تتهربين من سؤالى يا أمى؟...منظرك يوحى بشئ جلل قد حلّ بنا.

-لا تكن متعبا يا بنى قلت لك لا شئ

-أهو ذلك الاخفاء عنى مرة أخرى؟...كانت عواقبه وخيمة فى المرة السابقة يا أمى...لا أظننا على استعداد لتحمل نتائجه من جديد...دعينى أخمن أنا اذن...أهو أمر يتعلق بصراع خالى مع ذلك (الساعى)؟

صمتت برهة وقد أيقنت أن وحيدها لن يقبل بالمزيد من المناورات التى دفع ثمنها من قبل ودفعت ثمنها الى جواره فكان ردها المصحوب بأنفاس حارة يملأها الاكتئاب والقلق على حد سواء:

-بلى يا عزيزى...بلى هو ذلك الصراع

-هل من جديد بينهما؟

-يصر خالك على الايقاع به مهما كلفه ذلك الأمر...لكننى لا أطمأن الى ما يفعله...فهو يعرض نفسه للتهلكة بهذه المواجهة غير المتكافئة.

-هذا اذن سر حالة الشرود التى تعيشينها الآن...لا داعى لكل هذا القلق يا أمى...خالى أرجح عقلا من أن يلقى بنفسه الى شئ يندم عليه...ثقى به أكثر من ذلك فالأمر ليس بحاجة لكل هذا الخوف.

قامت من مجلسها تسير حول ولدها الجالس يتابعها قبل أن تستطرد فى حديثها

-أثق به تمام الثقة يا(وحيد)...لكنه الخوف الذى لابد منه يا عزيزى...ذلك الرجل عتيد الاجرام ولا أظن الايقاع به بمثل تلك السهولة التى تتخيلونها...الأمر يحتاج الى روية أكثر وتفكير أعمق

-وأنا على يقين أن خالى (مصطفى) خير من ينعم بتلك الروية وذلك التفكير...لا تقدّرى البلاء قبل حلوله يا أمى...لست بحاجة لمزيد من الهموم تحملينها...يكفيكى ما أنت فيه...دعى الأقدار

تخطُّ سطور القادم من الأحداث...ليس أمامنا الا الانتظار المصحوب بالدعاء فقط للخلاص من شئ قد يصيبنا ونكرهه.

-ونعم بالله يا بنى...ونعم بالله...لننتظر اذن ما ستسفر عنه تلك المناوشات بين الطرفين...وان كنت لا أستطيع طرد ما داهمنى من القلق بأى حال من الأحوال..لكنه الحل الوحيد الذى نملكه.

أحسَّ (مصطفى) بشئ من الاطمئنان بعد سماع تلك الخطوات وتلك الهمسات التى ظنها ل(عوض) و مصاحبيه وهو الذى طال انتظاره أكثر مما توقع...فاستدار يستكشف القادم ويستعد لحديثه بما لا يبين هويته أو يدعو للشك فى أمره...لكن تلك الطلقات التى أطلقها هؤلاء القادمين على صدره كانت أسرع من رغبته فى الحديث أو نيته فى الاستكشاف...رصاصات أطلقها عليه أحدهم فأودت بحياته فى دقائق دون أدنى مقاومة...نظر خلالها الى ليل حالك السواد لم يميز فى ظلمته شئ وهو المحتضر...لتخرج روحه من بين جنبين لجسد لم يعرف الا الخير ولم يسعَ الا اليه...جسد ظل على حاله من الكفاح لسنوات رغم موت جزء منه فى السابق...لكن بقية الأجزاء أبت الا أن تحيا حاملة لجهاد الكفاح ألوية لم يحملها كثير من أصحاء الأبدان...انكب وجهه فى التراب أخيرا بعد انغلاق جفنيه انغلاقا سينمائيا لن يكتب له بعد الآن فتح للأبد...رحل شهيدا مدافعا عن ماله وعرضه بعدما اغتالته سهام الغدر التى حملتها أقواس هؤلاء المتكبرين المتجبرين...رحل منصورا ومهزوم قاتله لا العكس...فارق رابحا وخاسر خائنه لا غير ذلك.

اطمأن القاتل ومن معه على لفظ تلك الجثة آخر أنفاسها...لينصرف بعدها الجميع الى حيث يخفون الجثة فى مكان بعيد عن جميع الأنظار قبل توجههم للحصول على ثمن ما قاموا به...ولبأس الثمن البخس هو لروح تساوى أوزانهم جميعا ذهبا.

صباح جديد انسابت أشعته بين نوافذ ذلك البيت القديم...الجميع تفترسه الشكوك...الكل يكسوه القلق...فلأول مرة يقضى رب البيت ليلته خارج جدرانه...لم يستطع (وحيد) و (أحمد) الصمود أمام شكوكهم وقلق أمهاتهم أكثر من ذلك فشرعا فى البحث عنه أياما بلا فائدة تذكر حتى كان هذا اليوم الذى وجد شخص ما الجثة وأخبر الشرطة بالواقعة التى تعرفت على عنوانه واسمه من هويته لتخبر تلك العائلة التى عذبتها نيران التوتر أياما قبل معرفة ما حدث.

لم يكن الخبر يسير الوقع على أى من الحضور بطبيعة الحال...فعن زوجته فلم تحتمل تلك المسكينة ما سمعت فسقطت مغشية عليها فور سماعه...ولم لا وقد رحل ذلك الجدار الذى حماها وحمى ولديها من عواصف الزمان سنوات...أما وقد مات أخيرا فقد هُدِم الجدار وباتت ومن معها فرائس تلك العواصف التى لا تعرف الرحمة بالضعفاء ولا تعتاد العطف بالبسطاء...أكثر من ثلاثين عاما كانت فى كنفه تنعم بجوار زوج قلما ينعم به زمان كهذا على مثلها من معتادى الآلام...كان البسمة الوحيدة فى حياتها وحياة ولديها...شراكة بين اثنين من

ذلك النوع من البشر الذى وقَّع مع أيامه عقدا للأزمات...لكنه الاجتماع الذى كان الوميض الوحيد فى طريق كليهما وها قد انطفأ نوره أخيرا.

لم يكن حزن أخته على وداعه بأقل من زوجته بأى حال من الأحوال...تلك التى كان موت أخيها حبة جديدة أضافتها الأقدار لعقد أحزانها كثير الحبات...كانت أشد صلابة وأكثر صبرا من زوجة أخيها وهى المعتادة على رحيل الأحبة ووداع الأعزاء...كعادة دموعها فقد اتخذت طريقها المعهود البادئ بعينين حزينتين الممتد على خدين بائسين والمنتهى الى لا هدف على أرض طالما خطى عليها ذلك الراحل خطواته...لم تكن علاقتها بأخيها من ذلك النوع من العلاقات الأخوية المعتادة...كانت أشبه بخليط بين علاقة أبوية وأخرى أخوية وثالثة جمعتهما كأصدقاء...لن تنسى له احتوائها طفلة بعد رحيل أبويهما...كان أشبه بخادم لها بعدما دفعه حبه الأعظم من أن يوصف لها لمثل تلك الخدمة...ثم كان احتواءه لها ولولدها بعدما لفظتهم دنياهم ليجدا فى كنفه الملجأ الوحيد...انتهت سنوات اللقاء الآن الى لا عودة...وبات عليها أن تنتظر لقاء فى عالم آخر لا يعلم موعده الا خالقهما.

لم يختلف حال الصبيين (أحمد) و (وحيد) كثيرا عن الأمرين...فكلاهما ابن فقد أباه...وإن كان (وحيد) كأمه سار قبل ذلك فى درب الوداع ذاك...كان احساسهما ذا طابع مختلف بعض الشئ...حزن خالطه ذلك الشعور بالمسؤولية عن جانب مما حل برب الأسرة وأكبر أفرادها...أقنعهما شيطانهما بدورهما فى توجه (مصطفى) الى غريمه الذى قتله...باتا على ثقة من أنه لم يكن ليذهب اليه لو لم يعتدى عليهما بعد ذهابهما اليه...لا جدوى من شعور بالندم أو احساس بالحزن الآن...فما حدث قد حدث ولا تغيير فيه أو تبديل فى نتائجه.

امتدت أذرع المصيبة اذن الى الجميع...الكل تائه فى طريق آلامه منفردا وان اجتمعوا فى نهاية الطريق على ألم واحد سببه الفراق الموجع لذلك الأب الشهيد.

يقول حكماء الزمن القديم أن الطرق على الحديد يزيده لينا...واستنادا لذلك المبدأ فإن القوى من الصدمات تؤدى أحيانا لتغيير فى طبيعة من تقابله...كان ذلك بالضبط هو التشخيص الأقرب لذلك الفرد التائه من تلك الأسرة المصابة...كان أثر الكارثة ذا طبيعة مختلفة قليلا عليه...كان (كريم) تلك القطعة الأدمية من الحديد التى كان مقتل ذلك الرجل آخر وأصعب الطرقات عليها...كان ذلك الشخص الذى كان رحيل أبيه أقوى صدماته التى أبت إلا أن تغير من طبيعته القاسية...أو بالأحرى تزيل عنه ما طمس هويته الحقيقية من أتربة التيه بين سبل البطالة تارة...والضياع فى دروب سوء الصحبة تارة أخرى.

كان (كريم) كغيره من شباب جيله...جيل الثورة الذى رأى فيها البطل الذى غير من معالم وطنه الكثير كما كان اعتقاد باقى أبناء الجيل...تخرج كأبيه فى كلية الحقوق وقد ظن ان الدنيا تفتح له ذراعيها لبناء مستقبل طالما تمناه...لكنه واقع الحياة الذى كان الهادم لما شيدته آماله من أحلام...لم يملك القوة اللازمة للمقاومة وهو الذى لم يضع صعوبة الواقع ضمن عقبات من الممكن أن يواجهها...بل انه حتى استبعد من قاموسه كلمة عقبات تلك...أنكرت أذناه نصائح أبيه بالبحث عن أى عمل يكفل له العيش الكريم...جحدت عيناه توسلات أمه بعدم الاستسلام

لواقع قد يؤدى بمستقبله الى مجهول لا يعلم نهايته...مدة قاربت الاثنى عشر عاما أراد كثيرا وضع نهاية لسنواتها الآخذة فى التزايد...لكن شيطانه أبدا لم يسمح له بذلك...فعاش أسيرا لذلك الشيطان غير قادر على فك قيوده...أو أنه أبدا لم يحاول فك تلك القيود.

يبقى الداعى فى أمل للإصلاح طيلة تلك الفترة أن احساس الكراهية لم يتواجد قط بين الطرفين...فقط نصائح من الأم وتعنيف من الأب يقابله ذلك الابن باهمال للنصائح وحنق للغضب...لتمر على الأسرة كلها سنوات حق لها أن تسمى عجافا.

نال موت (مصطفى) من الجميع بالطبع...لكن مناله من أكبر أبنائه هذا كان ذا بعد آخر...احساس بالحزن يشوبه احساس بالندم...الندم على أعوام أراد منه أبوه فيها ولو كلمة تشعره بتغير فى نمط حياته العشوائى أو تعديل فى نظرته لقادم أيامه التى يراها كسابقاتها ويأمل والداه فى غير ذلك...هاقد رحل أبوه مدافعا عن كلمة حق مناضلا فى سبيل رد الشرف...طالما تمنى صغيرا أن يحيا حياة تكون نهايتها البطولة كما فعل أبوه...لا زال يذكر تلك الأيام خلال نكبة فلسطين حين كان ساعتها طفلا يحلم أن يكون طرفا فى جيوش العرب يقاتل اليهود الأنجاس...طالما تمنى نفسه ضابطا يزيح النظام الملكى ويكتب بعدها التاريخ عن بطل يسمى (كريم مصطفى)...حدثته نفسه أن فرصة قد جاءت ليفوح من زهرته أريج طالما انتظره الجميع من تلك الزهرة التى طال ذبولها سنوات...حتى وان لم يرق لدخول التاريخ كما كان حلمه فعلى الأقل سيستعيد ذلك الاحترام المفقود منذ فترة طويلة من كل المحيطين به...بل والمفقود منه شخصيا لنفسه.

ظل فى صراع مع نفسه أياما...أو فى صراع مع شيطانه ان أردنا سياقا عادلا للكلمات...حتى انتصرت فى النهاية بذرة الصلاح التى ذرعها فى نفسه أبوه قديما على ذلك الرجيم الذى طال استيطانه له.

كان أول ما فعله طلبه لحديث يجمعه بأخيه وابن عمته اللذين فوجئا بذلك الطلب غير المعتاد غير المنتظر...لبياه بالطبع بعد نظرات متبادلة بينهما ونظرات منهما اليه...وما بين هذه النظرات وتلك كان الشعور الكبير بالدهشة يتملك الشابين وبشدة...أغلق (كريم) الباب على ثلاثتهم قبل أن يخاطبهما بقوله:

-أقدّر جيدا مقدار ما تحملانه من الدهشة...لكنه ليس اجتماعا بكما لمناقشة ذلك الأمر...أزيلا عن عينيكما تلك الغشاوة من الاستغراب حتى يتسنى لى الكلام...لا أريد رؤية عيونا تتسع وأفواها تشهق...لا وقت لدينا لمثل هذه التعبيرات...اتفقنا؟

صمتا بلا جواب يكتفيان بتحريك رأسيهما أن نعم فاستطرد قائلا:

-نحن الآن فى موقف يتطلب تكاتف الجميع...كلنا طالتنا المصيبة وكلنا يقع على عاتقنا ايجاد حلولها...ذلك المقتول هو أبى قبل أن يكون أباك وقبل أن يكون خالك...قد تعجبان من كلامى هذا معكما ولستما بالمعتادين عليه...لكنها تقلبات الحياة التى حركت بداخلى تلك الرغبة فى الأخذ بثأر أبى و...ثأر عمتى.

قال عمتى تلك باسما ينظر الى (وحيد)...ذلك الذى أحسَّ بشعورغريب من الثقة تملكه من حديث ابن خاله ونظراته اليه...شعر أنه بصحبة من يستطيع حقا الاتيان بحقه وحق أمه وحق خاله الفقيد.

استكمل (كريم) كلامه قائلا:

-والآن أريدكما أن تخبرانى بتفاصيل ذهابكما الى (سيد الساعى) دقيقة بدقيقة...هل سمعتما أو رأيتما شيئا مميزا فى تلك الليلة؟

رد (وحيد):- لا أعتقد أن من بين ما حدث شيئ ذو أهمية قد يفيد

-بل أى شئ من الممكن وبشدة أن يفيد يا عزيزى...قل ما تراه الأكثر جدارة بالذكر ثم الأقل فالأقل وهكذا

-سمعت مثلا أحدهما ينادى الآخر ب(سعيد)...كما أنهما تحدثا عن ترتيب للقاء يجمعهما على مقهى يسمى (الصبُّاح) أو شئ من هذا القبيل.

صمت (كريم) قليلا ثم استطرد قائلا:

-هل من شئ آخر يا (وحيد)؟

-للأسف لا...فلست أذكر غير ذلك

-وماذا عنك يا (أحمد)؟

-كما سمعت من (وحيد) يا أخى...الباقى تعرفه جيدا...ما من تفاصيل أخرى قد تفيدك غير ما فعله معنا ذلك القاتل

-لا بأس بذلك...لا بأس...اتركانى الآن اذا سمحتما.

تركاه لأفكاره يرتبها ولآرائه يختار الأنسب منها للتنفيذ...أيقن (كريم) ان اعتماده عليهما لن يفيده كثيرا...فقرر البحث بنفسه عن خيط يدله الى ما يريده...قاده تفكيره الطويل الى ذلك الضابط (أيمن) صديقه القديم منذ أيام الدراسة...لابد وأنه لن يبخل عليه بالمساعدة ان استطاع ذلك...فطالما جمعت بينهما مقاعد الفصول وجلسات الأصدقاء...ورغم أنه لم يره منذ سنوات إلا أنه على ثقة أن صديقه لن يتخلى عنه بأى حال من الأحوال فى ظرف كهذا...لم يكن متأكدا من كونه مازال قاطنا فى منزله القديم حيث كان يمر عليه قبل ذهابهما معا الى مدرستهما...لكن لا بأس من المحاولة على كل حال وهو الذى لا يملك خيارا آخر غير اللجوء اليه...اتخذ طريقه اليه بالفعل...نفس المنزل لم تتغير معالمه...صعد سلمه وطرق باب أول أدواره ليفتح له ذلك الرجل الذى شبَّه على ملامحه بقوله:

-الضابط (أيمن على)؟

-نعم يا سيدى...هل من خدمة أوَديها لك؟

عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

هذا الكتاب حصرى على جروب عصير الكتب

انضم الينا لتحصل على كل ماهو جديد

follow me : facebook.com/OmaR.1.Bs

-ألا تذكرنى يا رجل؟...دعك من هذا الشارب الذى يعلو فمى وتفحص جيدا تلك الملامح التى نسيتها!

ضاقت عينا (أيمن) فى صورة ذلك الذى كأنه يسترجع ما مضى من الذكريات قبل أن تعود عيناه لطبيعتها مصحوبة بابتسامة عميقة أتبعها قائلا بصوت علت نبرته:

-(كريم مصطفى)؟

-هو بعينه يا صديقى...لازلت تنعم بذاكرتك القوية رغم مرور السنوات !

تعانق الصديقان بشدة قبل أن يدعو (أيمن) رفيق عمره للدخول.

انتظم الصديقان فى ذلك المجلس أمامهما شرابان ساخنان تناولا بعضه خلال حديثهما الطويل الذى خلاله كان عزاء (أيمن) ل(كريم) قائلا:

-علمت ما حدث لوالدك يا (كريم)...كنت أنتوى عزاءك فى قادم الأيام فلقد وصلت لتوى من سفر لمأمورية فى الصعيد...لكنك سبقتنى بزيارتك اليوم

-لا عليك يا صديقى...لا عليك...فبشأن هذا الأمر تتعلق زيارتى تلك لك.

-فى الحقيقة يا صديقى لا أفهم آخر كلماتك تلك...هلا أفصحت أكثر؟

-لقد قُتل والدى يا (أيمن) وأنا على علم تام بماهية قتلته...لكنى وبكل أسف لا أملك دليلا أو اثباتا.

-ماذا؟...تعرف قاتله؟

-نعم...أعرفه تمام المعرفة.

-هل أنت متأكد مما تقول يا (كريم)؟...الأمر ليس بهذه السهولة يا صديقى انها جريمة قتل.

-أعرف ذلك تمام المعرفة...أنا متأكد من معلوماتى تلك كما أنا متأكد من وجودك معى الآن.

-مادام الأمر كذلك احكى لى بالتفصيل عن كل ما تعرفه لأستطيع مساعدتك كما ينبغى وأتمنى.

-بالتأكيد يا عزيزى فلذلك جئت وليس لشئ آخر.

حكى (كريم) لصديقه كل ما عنده جملة وتفصيلا منذ طلب (سيد الساعى) الزواج من عمته وحتى لحظة جلوسه بين يديه مارا بإحراق المحل واصابة أخيه وابن عمته انتهاءا بقتل غامض لأبيه...حتى انتهى من سرده تماما قائلا:

-هذا كل ما فى الأمر يا (أيمن)

-انها تفاصيل فى غاية الخطورة يا (كريم)...لو صحت تلك المعلومات فستسهل من مهمة الشرطة كثيرا.

fb.com/Bookjuice

-هى صحيحة تمام الصحة يا صديقى...صدقنى

-أصدقك بالطبع يا عزيزى أنا فقط أتحدث من منطلق قانونى وليس من منطلق صداقتنا...فليس للصداقات دور فى هذه الأمور كما تعلم

-أعلم يا (أيمن)...أعلم يا صديقى...ما نحتاجه الآن هو البحث عن مدخل للايقاع به...حاول أبى ذلك وكانت رصاصات هذا المجرم أسرع اليه مما أراد...وكل مرادى الآن الوصول الى ما حاول الوصول اليه.

-سنسعى الى ذلك جاهدين وأظننا سننجح ان شاء الله ان أحسنا التخطيط لذلك...اسمع...المسؤول عن تلك القضية كما علمت الضابط (كمال) وهو صديق مقرب لى الى حد كبير...سأخبره بما قلت بالتفصيل...أو ان شئت أدبر اجتماعا بين ثلاثتنا ليكون الكلام بأكمله أمام ناظريك.

-أشكرك يا (أيمن)...علمت أنك لن تخيب ظنى فيك يا صديقى

-أراك تنسى ما كان بيننا من علاقة أيها المحامى القدير

قالها وابتسم قبل أن يتعانقا وينصرف (كريم) على أمل فى ذلك اللقاء المرتقب بينه وصديقه وذلك الضابط الثالث

استمر انتظار (كريم) عدة أيام قبل أن يفى (أيمن) بوعده ليستدعى فى بيته صديقه الضابط وصديقه المحامى ليجتمع الثلاثة فى حوار بدأه (أيمن) بتعارف سريع معتاد فى مثل تلك المقابلات...تبعه (كمال) بقوله:

-لقد حكى لى (أيمن) عن حوارك معه يا (كريم)...معلوماتك تلك لو أضفناها الى ما قمنا به من تحريات فسنجد توافقا كبيرا بينهما قد يدفعنا لى حل ذلك اللغز

-هل لى أن أعرف ما وصلت اليه تلك التحريات يا حضرة الضابط؟

-لولا تأكدى من أنك محام وابن القتيل فى نفس الوقت لما أخبرتك يا عزيزى...اضافة بالطبع لثقتى بك وثقتى بصديقى (أيمن)...لكنى سأبلغك على كل حال...من تحرياتنا عن الحادث تبين لنا أن المكان الذى شهد الحادث كان فى منطقة غير آهلة بالسكان الى حد كبير بل قد تكون خالية...أقرب الأماكن التى يرجح وجود والدك بها ليلة الحادث هو ذلك المقهى المسمى ب(الصبَّاح)...و...

قاطعه (كريم) قائلا:

-مقهى (الصبَّاح)؟...أقلت مقهى (الصبَّاح)؟

-نعم يا (كريم)...هل من مشكلة؟

fb.com/Book.juice

-لا...بالعكس ليست مشكلة على الاطلاق...فقد أخبرنى ابن عمتى أنه حين انتوى هو وأخى إحراق أحد مخازن (الساعى) سمع أحد الحراس الممسكين بهما يذكر هذا الاسم.

-هذا جيد...فهذا ينقلنا الى وجه آخر للتوافق بين أقوالك وما توصلنا نحن اليه

-وما هو؟

-ذكر لنا شهود عيان أن أباك حين خروجه من ذلك المقهى كان بصحبة شخص يسمى (عوض)...وبسؤالنا عنه تبين أنه من رجال (سيد الساعى) المخلصين.

قاطع (أيمن) صديقه متسائلا:

-وهل استدعيتم ذلك (العوض) للتحقيق؟

-تم ذلك بالفعل يا عزيزى...لكن حديثه لم يضم بين كلماته ما يدينه...كل ما ذكره أن السيد (مصطفى) كان من المترددين الجدد على المقهى وفى تلك الليلة أراد من يصحبه الى بدايات العمران وتطوع (عوض) لذلك الدور...وأرى أن هذا يتفق الى حد كبير مع أقوالك التى تنص على أن المقتول فى آخر أيامه تلك التى اعتاد فيها التأخيرخارج المنزل لم تطل كثيرا...فقط خمسة أو ستة أيام.

-لكن المكان الذى قُتل فيه السيد (مصطفى) لا يمت للعمران بصلة

-أعلم ذلك وسألته بشأنه...لكنه لم يجب بشئ ذى قيمة...قال انه لا يعرف عن ذلك شيئا فقد أوصله الى بداية الطريق ثم تركه وعاد أدراجه الى مقهاه من جديد.

ردَّ (كريم):

-أصبت يا حضرة الضابط...أصبت...أكمل ما فى جعبتك من تفاصيل اذا تفضلت.

-لم يعد فى جعبتى الكثير يا (كريم)...فقط شهادات من بعض الشهود تقضى بزيارة لأبيك ل(سيد الساعى) قبل ثمانية أيام تقريبا من مقتله وخرج حينها حانقا يملؤه الغضب.

استكمل (أيمن) الحوار قائلا:

-دعونى اذن يا سادة أخمن السيناريو المحتمل لما كان...ذلك (الساعى) قام باحراق محل عمتك يا (كريم) بعد رفضها الزواج منه...وهو ما حرك لديه بالتبعية شعورا بالغضب دفعه للانتقام بحرق محلها الصغير...وبالتبعية أيضا كان ذلك التصرف دافعا لأخيك وابن عمتك لرد الصفعة كما تصورا بحرق أحد مخازنه لكن رجاله أمسكوا بهما وسبب لهما هو تلك العاهة فى وجهيهما...لم يحتمل أبوك بالطبع كل هذا الاستفزاز فكان ذهابه الى (سيد الساعى) ودار بينهما هذا الحوار الذى أغضبه...وأرى بعد ذلك أن السيد (مصطفى) بدأ ينقب وراء خصمه للوصول الى ما يدينه فبدأ أول خطواته بالتردد على ذلك المقهى التابع له والذى تدور حوله

الشبهات...لكن يد القاتل كانت أسرع اليه مما أراد...لكن...يبقى السؤال الغامض قائما...ما هى طبيعة ذلك الدليل الذى بحث عنه والد (كريم) ولم يجده؟

رد (كريم) على الفور:

-المخدرات...نعم المخدرات...فقد نقل لى بعض من أعرفهم أن ذلك المقهى منفذ لبيع المخدرات...لا تعجبا من ذلك فلطالما أغوانى شيطانى بصداقات سوء...وبما أن (عوض) هذا هو صاحب المقهى أو بالأدق المسؤول عنها...وفى نفس الوقت هو تابع (سيد الساعى)...اذن فل(سيد الساعى) دور وثيق بهذه التجارة غير المشروعة...اضافة الى قتل والدى بعد أن حاول الوصول لتلك النقطة واثباتها علية

ختم (كمال) ذلك الحوار المثمر بقوله:

-اكتملت الصورة الآن يا اخوانى...لكن يبقى ذلك الكلام بلا قيمة تُذكر دون دليل...نحن بحاجة الى خطة محكمة دون أخطاء للايقاع بشخص بحجم (سيد الساعى)

صمت الجميع برهة يفكرون فى مخرج للنيل من هذا الآثم قبل أن يقطع (أيمن) خيوط الصمت الموصولة لتوها بقوله:

-دعونى اذن أخبركم بتلك الخطة التى عانقت ذهنى لتوها...علها تكون مفتاح الخلاص لما نحن فيه.

انتهى (أيمن) و (كريم) و (كمال) بتلك الخطة التى اتفقوا على أن ينفذها (كريم) و (أيمن) بعيدا عن تحقيقات النيابة حتى لا تلتفت اليهما الأنظار...لم ينتظر الثنائى الكثير من الوقت...يوم وبعض يوم استغرقاه قبل أن يتوجها سويا الى ذلك المقهى محور الأحداث حيث جلسا كأى زائرين...امتدت بهما جلستهما حتى وقت متأخر جدا قارب على الفجر حتى أن المقهى قارب على الاغلاق...اقترب منهما (عوض) قائلا:

-عذرا يا سادة...أراكما جالسين منذ فترة وقد أوشكنا على اغلاق المقهى

احتسى (كريم) رشفة من مشروب أمامه قبل أن يجيب ببرود:

-لابد أنك (عوض)

عقد (عوض) حاجبيه متعجبا قبل أن يكون سؤاله المنطقى:

-أتعرفانى؟

-بل جئنا لأجلك يا عزيزى

-هلا أوضحت أكثر يا سيدى

fb.com/book.juice

-هلا جلست أنت معنا قليلا لتستمع ما تود سماعه من إيضاحنا؟

لبى (عوض) الدعوة مرتابا وهو على حاله من التعجب من أمر هذين الغريبين على ناظريه ثم قال:

-ها قد جلست...الىّ اذن بما تحملان

-لن نطيل عليك كثيرا يا سيد (عوض)...أنا فقط أريد رأيك فى هذه

قالها وهو يعطيه لفافة صغيرة فتحها ثم أغلقها سريعا وهو يصيح مذهولا من جرأتهما:

-ما هذا؟...مخدرات؟

-كأنك أول مرة تراها...ألا تعطينى عنها رأيا؟

-من أنتما؟

تولى (أيمن) مسؤولية الحديث هذه المرة عن صديقه:

-نحن تاجرا مخدرات يا سيد (عوض)...عملنا سنوات فى الصعيد قبل أن نفرّ الى القاهرة منذ سنتين بعد انكشاف أمرنا...ظللنا فترة نرتّب أوراقنا من جديد وقد قررنا أن نستكمل نشاطنا أخيرا...وببحثنا وسؤالنا تبين لنا أن المعلم (عوض) خير من يقوم بهذا الدور بعقد صفقات معه

-ومن تراكما سألتماه وبحثتما لديه يا عزيزاى؟

-لا أرى ذلك ذا أهمية قصوى بالنسبة لك...من سألناه قد سألناه ونحن الآن فى حاجة لحديث عن القادم لا الفائت

-لن يكون هناك قادم مما تتصوراه أيها الغريبان...فمن دلكما قد خدعكما...انصرفا عن هذا المكان وسأعتبر هذا الحديث كأن لم يكن

-أراك تشك بنا يا أخ (عوض) وهذا حقك بالطبع فى مهنة كتلك التى نمتهنها...لكن دعنى أقدم لك ضمانا...فى تلك السيارة الواقفة هناك كم صغير لا بأس به مما فى يدك...سأتركه لك على سبيل التجربة بلا مقابل...أو بمقابل سنتقاضاه اذا نالت اعجابك...وعن المقابل فسيكون بأقل مما تشترى به من أى مصدر آخر.

صمت (عوض) قليلا يفكر فيما يقال له يفرك ذقنه بأصابعه قبل أن يقول:

-تسهيلاتكما تلك تدعونى أكثر للشك فى أمركما

-لا عجب من تلك التسهيلات...فنحن كما قلت لك نريد أن نبدأ من جديد

fb.com/Book.juice

-وما أدرانى أن هذا ليس كمينا أو أن لكما رجال سيتبعوننا للإيقاع بنا لتنالنا يد الشرطة أو ما شابه؟

-أصبت فى هذه أيضا ولك كل الحق واليك ضمانى الأخير...سأسلم لك البضاعة الآن وأجلس معك أنا وصديقى هذا فى هذا المكان بلا حراك حتى ينقلها رجالك الى مكان لا يعلمه غيرك وغيرهم ولن نغادر حتى يأتوك بخبر اتمام النقل الى المكان الذى اتفقتم عليه...لا أظننا نملك ما نقدمه أكثر من ذلك.

ارتفعت يد (عوض) من جديد تفرك ذقنه يفكر فى كلام ذلك الغريب حتى انتهى أخيرا الى قوله:

-أمهلانى دقائق أجرى اتصالا

-تفضل بكل تأكيد...

هم يجرى ذلك الاتصال وعهد بهما الى أحد رجاله لمراقبتهما...كان اتصاله هذا بالطبع بسيده (سيد الساعى) الذى تردد فى بداية الأمر قبل أن يقنعه (عوض) فأعطاه موافقته...وبدوره توجه (عوض) الى الثانى المتنكر بقوله:

-حسن يا سادة...دعونا نتمم اتفاقنا.

ابتسم الصديقان وتبادلا النظرات قبل أن يقول (كريم):

-حسن يا سيد (عوض)...سنعود بعد ثلاثة أيام لنأخذ ردك بامكانية التعاون بيننا

-وهو كذلك...اتفقنا.

انتظر الصديقان حسب الاتفاق حتى طمأن رجال (عوض) سيدهم على اتمام كل شئ لينطلق الصديقان يخفيان فرحتهما بالتقاط عدوهما لأول طعم يلقياه اليه

لا زال (كريم) تعلوه الدهشة من حصول صديقه على ما قدمه ل(عوض) من مخدرات فهمس له بعد ابتعادهما عن المكان:

-ألن تخبرنى من أين حصلت على هذه المخدرات؟

-هل نسيت أنى ضابط فى مكافحة المخدرات؟...أخبرت رؤسائى بما خططنا له لحل القضية والايقاع بذلك الساعى وعصابته...فأذنوا لى باستخدام تلك الكمية الصغيرة من حمولة كبيرة تم ضبطها مؤخرا على أن أعيدها بأسرع ما يمكن بعد انتهاء المهمة.

-لكن ماذا ان قام بتوزيعها ذلك الحقير؟...انه احتمال وارد وبشدة.

-أعلم ذلك تماما...لكن ما سنضبطه معه حين نوقع به سيعوض أى خسارة...بل سيعوض أضعافها

ابتسم (كريم) قبل أن يقول:

-لا زلت ماهرا لا تدع شيئا للصدف كسابق عهدى بك يا صديقى

-بل لا زلت أنت نبيها لا تدع شيئا يمر دون أن تسأل عنه كعادتك

قالها وظل الصديقان يتبادلان بعدها الضحكات فرحين ببلوغهما فجر تلك الليلة فائزين.

مرت الأيام الثلاثة وعاود (كريم) و (أيمن) الزيارة لنفس المكان وكالمرة السابقة انتظرا حتى وقت متأخر من الليل حتى كانت جلستهما الثانية مع (عوض) الذى أعرب لهما عن اعجابه وسيده بما جلباه وأعطاهما المقابل الذى اتفق عليه معهما...

استمر التعاون بين الطرفين أكثر من مرة طوال شهر أو أقل قليلا نجح خلالها (كريم) و (أيمن) فى اقناع (عوض) بامكانية تبادل النشاط...أى انهما مستعدان لتولى مهمة توزيع مخدرات له...لم يمانع (عوض) وهو الذى أصبح يثق بهما الى حد كبير بعد أكثر من تعاون بينهم...اتفق الطرفان بالفعل على ذلك وتم تحديد الليلة المرتقبة التى سيتسلم فيها (كريم) وصديقه المخدرات من (عوض) لتوزيعها حسب ما تم بينهم من اتفاق وهى ذات الليلة التى اتفقا فيها مع (كمال) على الايقاع بخصمهما...كان (أيمن) و (كريم) و (عوض) فى ذلك الكوخ الخشبى النائى يعدُّون الأموال والبضاعة على حد سواء حين دخل عليهم ذلك الرجل ضخم الجثة كثيف الشارب كثيف شعر الحاجبين...هذان الحاجبان الذان يظلان عينين فى غاية الضيق...أسفل جبهة عريضة لوجه خفيف اللحية...هابه (كريم) و (أيمن) وتعلقت به عيناهماقبل أن يطمأنهما (عوض) ضاحكا بقوله:

-لا تقلقا بشأنه...انه (سعيد) أحد رجالنا الذين يحرسون المكان وقد جاء لمساعدتنا ليس أكثر.

قال (أيمن):

-لكنى لم أره معك قبل الآن فى أى من مقابلاتنا السابقة

-أنت على حق...لقد كان مقيما بالمستشفى منذ ما يقرب من شهرين بعد حادث تعرض له

استمر تطق (أيمن) به بلا رد حتى وقعت عيناه على ذلك المسدس المثبت فى جانبه الأيسر قائلا:

-آلا تسمح لى بالقاء نظرة على ذلك المسدس يا (سعيد)؟...فأنا مهتم كثيرا بالأسلحة ولا أجد متعة أكبر من الاطلاع على جديد الأنواع منها...وأظننى لم أر ذلك النوع قبل ذلك

ارتاب (سعيد) وتحول بنظره الى (عوض) الذى أومأ برأسه أن اعطه ما يريد فأعطاه له بحذر.

تفحصه (أيمن) عدة دقائق أبدى خلالها اعجابا مصطنعا بالمسدس قبل أن يقول:

-يبدو أنك ذا خبرة كبيرة فى الأسلحة يا (سعيد)...فهذا المسدس ستار ميجا ستار من أكثر الأنواع المفضلة بالنسبة لى...ظننتنى لم أره قبل الآن وأنا المعتاد على استخدامه.

قالها ثم سلمه مسدسه مرة أخرى ليتلقاه صاحبه من جديد قائلا:

-يبدو أنك صاحب الخبرة الكبيرة فى أنواع الأسلحة يا سيد (أيمن)

ابتسم (أيمن) قائلا:

-وكيف لا يا صديقى وقد قضيت سنوات فى الصعيد رأيت خلالها كل ما يخطر وما لا يخطر ببالك من أنواع الأسلحة؟

قطع (عوض) ذلك الحوار الجانبى:

-دعونا الآن من ذلك النقاش الجانبى يا سادة ودعونا نكمل ما جئنا لأجله...نحن بأمس الحاجة لكل دقيقة تمر.

همُّوا جميعا باستكمال العمل قبل أن يقتحم عليهم ذلك الشاب الذى يعمل مع (عوض) المكان قائلا فى ذعر:

-يا معلم (عوض)...الشرطة تحاصر المكان وتتبادل مع رجالنا اطلاق النار فى معكة شرسة.

لم يستطع (أحمد) و (وحيد) إخفاء تعجبهما الشديد من تصرف (كريم)...سنوات قضياها الى جواره تكاد كلماتها تحصى من فرط قلتها...ثم كان ذلك الحوار الذى استدعاهما اليه بلا سابق تقديم أو انذار...

-ترى ما السر فى ذلك الاستدعاء الغريب لأخيك لكلينا وهو الذى لم نعتد منه حتى القاء السلام؟

-يراودنى نفس الشعور بالدهشة يا (وحيد)...أرى تغيرا كبيرا فى سلوك (كريم) فى الفترة الأخيرة لم أعهده عليه منذ ولادتى وحتى اليوم.

-بماذا تفسر اذن ذلك التحول الغريب؟؟

-لا أعرف يا صديقى...قد يكون شعورا متأخرا بالذنب جراء تخليه عنا طيلة ما مضى من الأحداث...أو رغبة صادقة فى التوبة بعد انقطاعه عن الجميع طوال ما مرّ من السنوات.

-بالضبط...أرى ذلك التفسير هو الأقرب للواقع...فهو الآن يعتبر نفسه أجدر أفراد العائلة برعايتها واعادة حقوقها...أشعر بثقة كبيرة فيه على أية حال.

-يغمرنى نفس الشعور بالثقة يا (وحيد)...لا أرى له دافعا غير أنه أخى الكبير...قد لا يكون كافيا لاعادة حقوقنا...لكنه احساسى الذى لا أملك غيره فى جميع الأحوال.

fb.com/Book.juice

-أراه شعورا فى محله...لا تنسى أنه محام وعلى دراية كاملة بدروب القانون...وعليه فلن يأخذه تفكيره الى مثل ما فعلناه حين أردنا الانتقام...سيكون تصرفه أكثر عقلانية من دون شك.

-أصبت...لكن هل تراه سينجح فيما يرجوه؟

-أتمنى ذلك وان كنت أراه صعبا فى مواجهة من مثل (سيد الساعى)...لكننا لا نملك غير الأمانى والآمال الآن...دعنا نتعلق بأضعف ما يمكننا التعلق به...علنا نفرح بحقنا المنهوب ذات يوم.

-أكثر ما يعجبنى فيك وفى عمتى يا (وحيد)...تلك الثقة فى الأقدار والتفاؤل الدائم من كل قادم...أظنهما السببين الذين أبقياكما فى مواجهة الحياة حتى اليوم رغم كل ما مرَّ بكما

ابتسم (وحيد) قائلا:

-أصابت كلماتك الهدف الصحيح يا صديقى...هى فقط خطوات نخطوها فى طريق رسمته أقدارنا...سطور نسطرها فى كتاب خطّته أعمارنا...وما بين الطرق وما تشمله والكتب وما تحويه...يبقى أثر الخطوات وبلاغة السطور الفارق بين ما نخطوه ونسطره وما يخطوه ويسطره الآخرون...هكذا دوما كلمات أمى الىَ

-لله در أمك وكلماتها يا (وحيد)...والله انها لسيدة من القلائل معادنهم فى مثل هذا الزمان.

-لولا وضعها الله فى طريقى لكنت الآن صاحب مصير يصعب على تفكير حتى مجرد تخيله...

-أصبت يا عزيزى...أصبت

امتد الحوار بين الصديقين طويلا يتنقلان بين سبل الحديث فى مواضيع عدة وهما على حالهما من السمر الذى اعتادا عليه منذ كانا طفلين ولازال يميز جلساتهما حتى دخولهما بستان الشباب.

كان لكلمات ذلك الرجل الذى اقتحم المجلس المشبوه ذا أثر مختلف على الأربعة الحضور...فرحة عارمة اجتاحت (كريم) و (أيمن) ولم يبديا لها أى رد فعل...وصدمة كبيرة اجتاحت (عوض) و (سعيد) فكان رد الفعل الطبيعى الذى اعتاداه فى مثل تلك الظروف حيث قال (عوض):

-لنهرب بسرعة اذن لا وقت لدينا للحديث...ليحمل كل منا ما يستطيع حمله ولننصرف...هيا

قالها وقد همَّ بالهروب هو و تابعه وهرولا باتجاه الباب بما يحملاه قبل أن يستوقفهم ذلك الصوت القادم من خلفهم:

-لا سبيل للهرب يا (عوض) اثبتا مكانكما حالا...

التفتا ليجداه (أيمن) الذى استكمل تهديده قائلا:

-دعنى أعرفك بنفسى يا سيد (عوض)...أنا الضابط (أيمن حسين) من مكافحة المخدرات...ويسعدنى اخبارك أنى لست هنا الآن الا للقبض عليك

-ماذا؟

-هو كما سمعت يا عزيزى ليس أكثر

قطع حديثهما مجددا ذلك الصوت لطلق نارى أطلقه (سعيد) باتجاهه أصاب (كريم) فى غفلة منهما...ليرد (أيمن) بمثله الذى أسقط (سعيد) على الأرض مصابا كما سقط صديقه منذ لحظات...ويقف (عوض) بين الساقطين وقد ثبتته صدمته فمنعته من أى حراك.

أيام انقضت بعد ذلك على هذه الحادثة لم يعى منها (كريم) شيئا وهو الذى أفاق بعدها لتنفتح عيناه فى صعوبة واجدا نفسه راقدا على فراش أحاط به وجوه يعرفها فبادر بالسؤال قائلا:

-ماذا حدث؟

ليجد تلك الاجابة من عمته الواقفة عند رأسه:

-مرحبا بوجودك مجددا أيها البطل

-عمتى؟

-ما أجملها تنساب بين شفتيك تلك الكلمة يابن أخى...طال اشتياقى لسماعها منك...لا تقلق يا بنى لم يحدث الا كل خير

همَّت أن تستكمل حديثها قبل أن يسبقها ذلك الصوت القادم من ذلك الشخص الذى دخل لتوه من باب الحجرة قائلا:

fb.com/Book.juice

-أرى أن بطلنا قد أفاق أخيرا

-أيمن؟

-هو بعينه يا صديقى...حمدا لله على سلامتك.

-سلمك الله...ماذا حدث؟...لا أذكر شيئا بعد اطلاق النار

-لقد فقدت وعيك بعدها والحمد لله أن الرصاصة لم تصب الا ذراعك فقط

-وماذا عن المجرمين؟

تم القبض عليهم جميعا واعترف (عوض) على (سيد الساعى) وتك ضبط كميات كبيرة من المخدرات مخبوءة فى مخازنه...وجار التحقيق معه الآن...دعنا من قضية المخدرات تلك الآن...فقد جئتكم بما هو أهم

-وما هو الأهم من ذلك يا حضرة الضابط؟

أحمل خبرين أظن أثر وقوعهما عليك سيشفيك ويشفيكم معه

-الىَّ بهما اذن

-لقد توصلنا الى قاتل أبيك

-ماذا؟

اتسعت عيون الجميع وعم صمت رهيب لانتظار القادم مما سيقوله (أيمن) الذى استكمل حديثه قائلا:

-كما سمعت...توصلنا الى قاتل أبيك

-من يكون؟...وكيف توصلتم اليه

-(سعيد)...ذلك الذى كان بصحبة (عوض)

-كيف ذلك؟

-هل تذكر حين أخذت منه مسدسه؟

-نعم أذكر

-من خبرتى فى مجال الأسلحة تعرفت على نوعه سريعا...وذلك المسدس ستار ميجا ستار تحمل خزائنه أربعة عشر رصاصة...حين أخذته منه وجدت فيه عشر طلقات فقط...أى انه أطلق أربع رصاصات وهو نفس العدد الذى أُطلق على والدك...اضافة الى كون تلك الطلقات من نوع الطلقات المسماة أوتو وهو نفس النوع الذى تم استخراجه من صدر والدك.

-لكن قتل والدى كان منذ شهرين تقريبا...ماذا عن كونه أطلق تلك الرصاصات الأربعة خلال تلك الفترة؟

-سؤال وجيه...لكن لو استرجعت كلام (عوض) لوجدت الرد على كلامك

-وماذا قال (عوض)؟

-قال انه كان فى المستشفى طيلة تلك الفترة جراء حادث...وبعد تحريات أجريناها وجدنا أنه دخل المستشفى فى نفس اللسلة التى تم فيها قتل والدك...اضافة الى أن مكان الحادث كان فى أقرب الطرق لمكان الجريمة...يبدو أنه كان متعجلا للهروب فوقع فريسة لهذا الحادث

-كلام منطقى...هل اعترف بذلك؟

-أنكر فى البداية بالطبع...لكن بعد حصاره بالأدلة اعترف بجريمته...واعترف على أن محرضه كان (سيد الساعى) أيضا.

انتهى كلام (أيمن) لتنطلق من حوله كلمات الحمد الممزوجة بالسعادة ل(سعاد) و (أمينة) قبل أن يصيح (وحيد) :

-هذا ما كان من الخبر الأول...ماذا عن ثانى الأخبار؟

-تبدو أكثر تركيزا من الجميع يا (وحيد)...الخبر الثانى أن رئيسنا فى العمل قد كافئنا لأننا ضباط بالفعل فى الخدمة لكنه لم يجد ما يكافئ به (كريم)...غير أنه بعد ما علمه بظروفه اجتهد فى توفير وظيفة له...وقد صدر القرار اليوم بتعيينه فى الشركة العامة لقناة السويس.

لم تستطع (سعاد) السيطرة على فرحتها فانطلق لسانها متسائلا بفرحة جنونية:

-ماذا؟...هل...هل حقا ما تقول يا بنى؟

-هو الحق كل الحق يا سيدتى

-بشرك الله بكل خير يا ولدى...لكم أنت جدير بلقب الصديق حقا

-هذا أقل ما يتوجب علىَّ فعله تجاه (كريم) يا أماه

-بارك الله فيك وبارك عليك يا بنى وعاملك بما تستحق

تبادل الجميع التهانى بتلك الأخبار التى تتتابع عليهم حتى جاء صوت (كريم) من بينهم محدثا أمه:

-هل أنت راضية عنى الآن يا أمى؟

ابتسمت الأم التى بدأت دموع غبطتها فى الظهور قبل أن تقترب من ابنها ماسحة على رأسه قائلة:

-والله يا بنى لقد انتظرت تلك اللحظة التى ينطق فيها لسانك تلك الجملة حتى كدت أعدها حلما ليس مكتوبا له النزول الى أرض الواقع...لكن القدر أبى الا أن يتم علىَّ النعمة ويجزينى بطول صبرى خيرا...الآن فقط تفجرت ينابيع فخرى بولدى الذى أعاد حق أبيه وعمته...تلك الينابيع التى جفت لسنوات طوال حتى أوشك جفافها أن يقضى على كل جميل داخلى...لقد آن لروح أبيك أن تسعد الآن يا (كريم)...آن لها أن ترقد فى سلام فخورة بذلك الذى أعاد الحقوق لأصحابها من جديد.

خنقتها دموعها فلم تستطع إكمال ما تود إكماله ليتوجه ذلك العائد إلى طريق الصواب إلى عمته بنفس الجملة مزيدا عليها:

-سامحينى يا عمتى فقد طالك من أذاى الكثير!

-لا عليك يا (كريم)...لا عليك يا عزيزى...فلمثل هذا خُلقت الأمهات...خُلقنا لنحبكم وإن بادلتمونا شعورا مغايرا...لنخاف عليكم وإن لم يراودكم علينا خوف قط...لا أملك من الكلمات أكثر مما قالته أمك غير أنى على يقين من أن ذلك الذى ضحى بنفسه لإعادة حق أبيه لا يمكن أن يكون إلا قطعة ذهب غطّاها بعض الغبار وها قد عادت لسابق لمعانها من جديد!

-كلامك هذا لا يزيدنى الا خجلا من نفسى يا عمتى...لكنه ظنى الحسن بصفاء قلبك على أية حال الذى كان فى محله...

قالها ثم التفت الى ابن عمته قائلا:

-أما أنت يا (وحيد) فلا أدرى بماذا أعتذر عما صدر منى تجاهك منذ قدومك الى هنا...لكنه الاعتذار الذى لا أملك غيره الآن.

-لا عليك من ما مضى شئ يابن خالى...ففى نهاية كل حدث نعايشه فى هذه الحياة حكمة وضعها القدر نصب أعيننا...فاز وأصاب من تعلمها...وخاب وخسر من كان لها من المهملين...هكذا تقول لى دوما هذه السيدة.

قالها يشير الى أمه باسما قبل أن ينكب عليه معانقا.

أيام قضاها بعد ذلك (كريم) فى المستشفى لاستكمال علاجه حتى خرج...وفى غضون شهر بعد ذلك تم الحكم على (سيد الساعى) ومن معه بالسجن وهيئ (كريم) نفسه للانتقال الى السويس لاستلام عمله الجديد...وبالطبع شملت تلك التهيأة أمه وأخاه المنتقلين معه...هو اذن فراق جديد تسطره الأقدار فى صحيفة (وحيد) وأمه...يبدو أن وداع الأحباب قد بات سمة دنياهم التى اعتادوا عليها...هو قطار الحياة على كل حال الذى هما فيه مسافرون...مع كل محطة يغادرهم أحد من مَن يحبون..حتى بات القطار خاويا من جديد بانتظار مؤنس لهذين المسافرين عبر قضبان الأيام...تم التجهيز للرحيل وهمت تلك الأسرة بمغادرة شقتها فى الدور الأول من ذلك البيت الذى ضم بين جنباته تلك العائلة الكبيرة لسنوات جاوزت العشربعد بيعها لأناس قُدّر لهم أن يكونوا جيرانا ل(أمينة) وولدها بعد أيام فى مستقبل أيامهما...حانت لحظة الذهاب أخيرا...تلك اللحظة التى لم تحمل الكثير من الكلمات كما هى عادة مثلها من لحظات الوداع...فقط دموع الفراق التى باتت مألوفة لدى الجميع يخالله عناق حار صحبته الأمنيات بعودة للقاء قريب...أو حتى بعيد...فمع أمنياتهم باجتماع آخر إلا أن الخوف من حول الزمان دون ذلك قد أظلّ الجميع وهم الذين لم يعهدوا من الزمان إلا حوله دون كل ما يتمنون.

انصرف (كريم) و (أحمد) يصحبان أمهما وقد خطى الثلاثة خارج البيت آخر خطواتهم تلوح لهم أيادى (وحيد) و (أمينة) وتتابعهم عيونهم حتى بدوا للناظر كثلاث نقاط سوداء فى نهاية الطريق اختفت فى النهاية تماما...ليغلق الابن (وحيد) الباب ويصعد مع أمه للأعلى فى انتظار جيرانهم الجدد المقرر وصولهم خلال أيام.

أيام أربعة كانت كفيلة بعودة (أمينة) مرة أخرى لمحلها الذى تركته منذ فترة يعاونها فى اعادة ترتيبه (وحيد)...استمر عملهما من الصباح ساعات وحتى الظهيرة قبل أن يقبل عليهم فتى من جيرانهم موجها كلامه ل(وحيد):

-هناك من يسألون عنك وعن والدتك يا (وحيد)

-حسن أنا قادم خلفك

سمعت أمه الفتى فقالت لابنها:

-لابد وأنهم الجيران الجدد يا بنى

-سأذهب لاستقبالهم اذن يا أمى

-انتظر سآتى معك...فمن الأدب أن أتواجد لاستقبالهم

أغلق (وحيد) المحل واتجه وأمه عائدين الى البيت ليجدا تلك السيدة التى اقتربت من الأربعين يكسوها رداء أسود وتتوشح بوشاح بمثل لونه...الى يمينها فتاة تنبئ النظرة اليها عن بلوغها تلك السنبين الخامسة عشر والسادسة عشر...والى يسارها حقيبة جلدية بنية اللون لا يحسبها الرائى تحوى الكثير من أى شئ كان...وهو الصحيح مع احتوائها بعض الملابس لأم وابنتها...اقتربت منهما (أمينة) يتبعها (وحيد) وتعلوها ابتسامة ترحيب قائلة:

-أهلا بكما يا سيدتى...أنا (أمينة)...هل من خدمة أؤديها لكما؟

ردت السيدة تعلوها نفس الابتسامة قائلة:

-أهلا بك يا سيدتى أنا (أصيلة) وهذه الفتاة عن يمينى هى ابنتى (أمل)...نحن السكان الجدد فى هذا المنزل

-(أصيلة) و (أمل)...يا لهما من اسمين...مرحبا بكما يا عزيزتى تفضلا أريكما شقتكما...يا (وحيد) احمل تلك الحقائب عن السيدة واتبعنا.

-أمرك يا أمى

دخل الجميع المنزل وبدأت (امينة) مساعدة جيرانها فى تجهيز سكنهما فى الوقت الذى عاد فيه (وحيد) للمحل تاركا أمه مع هاتين الوافدتين للتو...احساس بالارتياح تشبعت به أرواح الطرفين بعد أيام كان القلق من ماهية الجار الجديد سمتهم...لكنه القدر الأعلى الذى كان رحيما بعائلتين فقدت كلاهما عائلها منذ سنوات...صداقة وليدة بدأ خروجها للنور بين (أمينة) و (أصيلة)...نمّت تلك الصداقة بعد ذلك ما وجدته (أصيلة) وابنتها من افراط فى الكرم من (أمينة) وولدها يقابله ذات الافراط فى حسن الجيرة الذى وجدته (أمينة) وولدها من (أصيلة)

fb.com/Book.juice

وابنتها...هى اذن تلك العلاقة التى أسس قواعدها الكرم وشيد دعائمها حسن الجيرة...فكانت علاقتهم تلك البنا الآخذ فى العلو مع مرور الأيام...بل ومع مرور الساعات.

أصبحت العلاقة القائمة على الثقة التامة الأن تسمح باطلاع كل طرف على صفحات الصراع مع الزمن فى كتاب الآخر...تلك الصفحات التى لا تقل سطور كفاحها فى كتاب هاتين الغريبتين نصاعة عن نظيراتها فى كتاب (وحيد) وأمه.

لم تجد (أصيلة) حرجا فى الحديث الى (أمينة)عما كان من خطوات فى مشوار حياتها وهى التى وجدت فى جارتها الجديدة تلك جدار الثقة التى لها أن تستند عليه بلا أدنى خوف من انهياره:

-لم أكن قبل بعض وعشرين عاما غير فتاة ريفية لأب مزارع فى عزبة لأحد كبار الباشوات فى المملكة المصرية وأم بسيطة على نفس شاكلة زوجها يعيشان فى هدوء ويرعيان ابنتهما فى سلام...لم يكن ليومى أن يحمل الكثير من الأحداث...فقط مساعدة لأمى فى أعمالها المنزلية المعتادة ثم انتظار لأبى القادم من عمل قارب على إهلاكه فى آخر النهار...وأنا بين مساعدة الأم وانتظار الأب أعيش تلك النوع من الحيوات الأقرب تسميتها بالهادئ البسيط...يبعدنا نهار كلنا فى ساعاته عاملون ويجمعنا ليل نحن فى ساعاته متسامرون...طغى على حياتنا الفقر مرارا...أيام عشناها لم تضم جدران بيتنا خلالها الا ذلك الطعام الذى يذكرنا فقط أننا مازلنا أحياء رغم أنه أبدا لم يكن لهدف الاشباع قائدا...ليال سهرناها لم تحو سرائر منزلنا خلالها الا تلك الفُرش التى تشعرنا فقط أننا لازلنا باقين لكنها أبدا لكنها أبدا لم تكن لغاية الدفئ سبيلا...ومع غياب الاشباع وضياع الدفئ كان حب الأسرة وترابط العائلة هو البديل الكفئ للطعام والعوض الكافى عن الفرش...ظلت عجلة الأيام بنا دائرة حتى تلك الليلة التى أوشك فيها رجال ذلك الرجل صاحب العزبة على اقتلاع باب تلك الأسرة جراء طرقات عنيفةاقتادوا بعدها صاحب الدار فى صورة أقل ما توصف به أنها كانت للهوان عنوانا...لم يمنحوه حتى فرصة التساؤل عن السبب...لم تشفع له صرخات ابنته وتوسلات زوجته...هذه الصرخات وتلك التوسلات التى كستها دموعى ودموع أمى على حد سواء...تم جلده ليلتها أمام الجميع حتى شارف على الموت...عاد بعدها محمولا الى بيتنا ومات بعدها بأيام...وحتى هذه اللحظة لم أعرف لتلك النهاية سببا...كل ما أعرفه أنه ذلك الحق الذى منحه الزمان لذلك الغنى بالسير على الفقير بعد أن يصنع من حياته وحياة ذويه جسورا يعبر عليها لاشباع رغبة السطوة لديه...يسمونه جنون العظمة أحيانا يا صديقتى...لم تملك أمى بعد رحيل أبى الا العمل مكانه لمجاراة مطالب حياتنا وظلت كذلك حتى ماتت هى الأخرى بعده بسنوات قلائل لتتركنى وحيدة يتيمة لا أعلم من البشر كفيلا ولا أعهد من الأيام الا حسرة شديدة على الماضى وخوفا أشد من المستقبل...أكرمنى القدر بشيخ فى القرية تعهد بكفالتى بعدما وجدنى بلا أهل أو أقارب لعله يفوز من ثواب الله بما يسعده بجنانه...مكثت فى بيته كابنته وزوجنى من ابنهوالد تلك الفتاة (أمل) الذى التحق بعمل فى السويس بعد وفاة أبيه لننتقل اليها مع ابنتنا حتى كان هجوم العدوان الثلاثى الذى رحل فيه شهيدا أثناء مشاركته فى المقاومة الشعبية...موته كان استمرارا لمسلسل الرحيل الذى عشت أول حلقاته يوم وفاة أبى...ظللنا لسنوات نتنقل بين

المساكن أنا وابنتى لا نكمل فى شقة أكثر من عامين لأسباب عدة حتى انتهى بنا المقام الى جواركم نعيش على ما نحوزه من معاش زوجى الشهيد رحمه الله...هذه حكايتى مع الأيام باختصار يا (أمينة)...وعلى رغم كل ما كان بها من عسرات الا أنى أحمد الله على عيشتى طيلة حياتى فى رحابه لاجئة الى رحمته بعيدة عن كل ما حرمته شرائعه قدر ما استطيع.

تأثرت (أمينة) أيّما تأثر بكلام صديقتها...انتابها شعور غريب بأن الله قد وضع أمامها ذلك المثال ليشعرها بما تحيا فيه من النعم اذا ما قورنت بجارتها فلم تملك غير اعجاب بها وبصلابتها طيلة مشوارها قائلة:

-والله لقد شعرت أن لاسمك هذا صاحبة تستحقه من أول نظراتى اليكى يا (أصيلة)...فأصيل المعدن من تجرفه الحياة الى طريق لم يختر السير فيه فيكون لرغبتها معاندا برغبته ويكمل ذلك الطريق حتى آخر خطواته...وأنت وإن امتلكت اسما هو لمشوار أيامك واصف فلتجعلى من ابنتك تلك فتاة تسير على درب المثابرة التى سارت عليه أمها ولتكن بالفعل الأمل الذى يعوضك عن سنوات سابقات.

استمر الحديث بين الأرملتين كثيرا فى جوانب عدة دخلت خلاله تلك الفتاة (أمل) عليهما بعد استئذان وقد قالت مازحة:

-أرى أنك وجدت صديقة طال بحثك عن مثلها يا أمى

-بل أختا يا بنيتى...تعالى وجالسينا ان شئت.

-بالطبع سأجالسكما...فغاية ما يسعدنى الآن هو حديثى مع تلك السيدة التى أراها من فئة المكافحين أمثالك

ردت (أمينة) المجاملة باسمة بقولها:

-بل شتان بينى وبين أمك يا صغيرتى فما بالنخيل تقارن الأعشاب.

امتد الحوار بين الثلاثة ساعات...ذلك الحوار الذى بات متكررا بصورة شبه يومية بعد أن وجد كل منهم فى الآخر ملاذه الذى يلجأ اليه فى همومه ويعتاد منه مشاركة أفراحه.

سنوات مرت على الأسرتين الصغيرتين لا يمر يوم الا وتزداد العلاقة صدقا وتزداد الصداقة عمقا...ها قد تخرّج (وحيد) أخيرا فى كلية الآداب والتحق للعمل مدرسا فى أحد المدارس القريبة ليحمل عن أمه همًا عظيما تحملته أكثر من عشرين عاما...ظلت بهما الحياة هكذا سائرة كباقى المجاهدين فى ميدان الحياة حتى تلك الساعة السوداء فى تاريخ مصر...بل وفى تاريخ الأمة بأكملها...تلك الساعة فى بكور الخامس من يونيو عام ١٩٦٧...كانت نهاية محتومة لتلك الحالة من التوتر التى تشكلت تدريجيا منذ نهاية ١٩٦٦...ففى ١٥ مايو ١٩٦٧ عندما جاوزت قوات برية من الجيش المصرى قناة السويس ورابطت فى شبه جزيرة سيناء

لإظهار حالة الاستعداد بعد معلومات سوفيتية عن نية اسرائيل مهاجمة العرب...غيرت هذه الخطوة وتطورات أخرى من الجبهة المصرية فان الحالة القائمة بين مصر واسرائيل لأول مرة منذ أزمة السويس ١٩٥٦ ودفع ذلك الحكومة الإسرائيلية إلى إعلان حالة تأهب في صفوف الجيش الإسرائيلي. في ١٦ أيار/مايو طالب الرئيس المصري جمال عبد الناصر إخلاء قوات الأمم المتحدة UNEF من سيناء وقطاع غزة .كانت هذه القوات الدولية تراقب وقف إطلاق النار بين إسرائيل ومصر منذ .1957بعد مفاوضات فاشلة استمرت يومين مع كل من حكومتي مصر وإسرائيل، حيث أصرت مصر على إخلاء القوات الدولية ورفضت إسرائيل مرابطتها على الجانب الإسرائيلي من خط الهدنة، غادرت قوات الأمم المتحدة المنطقة في 18 مايو .1967 في 22مايو أعلنت مصر إغلاق مضيق تيران أمام السفن الإسرائيلية، الأمر الذي اعتبرته إسرائيل سببًا للحرب .(Casus Belli) في 30مايو وقع الرئيس المصري والعاهل الأردني على اتفاقية تحالف عسكري أنهى الخلاف بين الدولتين. في ٥ يونيو شن الجيش الإسرائيلي هجومًا على القوات المصرية في سيناء بينما بعث رئيس الوزراء الإسرائيلي برسالة للعاهل الأردني الحسين بن طلال عبر وسيط أمريكي قائلاً أن إسرائيل لن تهاجم الأردن إذا بقي الجيش الأردني خارج الحرب

آذار/مارس 8في وقطاع غزة بانسحاب إسرائيلي من شبه جزيرة سيناء انتهت أزمة السويس إلى (UNEF) كما اتفقت إسرائيل ومصر على دخول قوات دولية تابعة للأمم المتحدة 1957 المناطق التي انسحبت منها إسرائيل لحماية وقف إطلاق النار. بعد الانسحاب أعلن رئيس أمام سفن الوزراء الإسرائيلي أن إسرائيل ستعتبر إعادة إغلاق الممر المائي في تيران .إسرائيلية سبباً لحرب

كانت مقدمات للحرب والاشتباكات على الجبهة السورية قد بدأت في ٦٤ وتكثفت الاشتباكات الذي يعد بشأن النزاع على استغلال مياه نهر الأردن 1964بين إسرائيل وسوريا في العام السوري والينابيع في الجولان هي الرافد الاساسي للنهر ،بينما كانت هادئة نسبيا على الجولان الجبهة المصرية كانت هناك استنفار وعمليات عسكرية على الجبهة السورية بين سوريا .وإسرائيل وتكررت الاشتباكات قبل أندلاع حرب ٦٧

، انتهى التفاهم بين الحكومتين الإسرائيلية والأردنية بشأن 1966 تشرين الثاني/في نوفمبر تهدئة الحدود الطويلة بين البلدين حيث قُتل ٣ جنود إسرائيليين بانفجار لغم على خط الهدنة الذي كان تابعا للمملكة الأردنية في لواء الخليل بجنوبي الضفة الغربية قرب قرية السموع الحدودية الهاشمية، فشنّ الجيش الإسرائيلي هجوماً متذرعًا بهذه الحجة على قرية السموع وهدم بيوتاً كثيرةً فيها وإدعت إسرائيل آنذاك أن ٥٠ أردنياً وإسرائيلياً واحداً قُتلوا في تلك المعركة. وحسب تقارير الأمم المتحدة فإن خسائر الجيش الأردني لم تزد عن ١٦. وقد أعلن الإسرائيليون فيما بعد أن قائد الحملة الإسرائيلية في هذه المعركة قتل فيها أثناء القتال. وكان في أحد شروطها أن 1948قد ورد في قرارات الأمم المتحدة عند إعلان وقف إطلاق النار عام تخلو الضفة الغربية من الأسلحة الثقيلة كالدبابات والمدفعية الثقيلة. إلا أن استخدام الإسرائيليين لهذه الأسلحة في هذه المعركة، حرض سكان الضفة على المطالبة بإدخال الأسلحة تحسبا لأي 1966 تشرين الثاني/بإقرار دخولها٢٠ نوفمبر الثقيلة، مما حدا بالملك حسين .هجوم آخر بنفس المستوى

طوال الشهور الأول من عام ١٩٦٧ كانت الجبهة السورية مع إسرائيل مشتعلة بنيران متقطعة بين الجانبين وكانت المدفعية السورية مستمرة بقصف المواقع الإسرائيلية، بسبب الاشتباكات المدفعية بين الجانبين وتسلل وحدات من المهاجمين الفلسطينين إلى داخل إسرائيل حيث كانت تنطلق عمليات فدائية من سوريا إلى داخل إسرائيل ونفذت الكثير من العمليات الفدائية في هذه الفترة داخل الاراضي المحتلة وتسلل وحدات كوماندوز إسرائيلية إلى داخل سوريا من جانب كان الاتجاه العام داخل إسرائيل يميل للتصعيد العسكري مع سوريا إلا أن ليفي أشكول ,آخر رئيس الوزراء لم يكن في صف التصعيد إلا أن الضغط العسكري وشكاوي المستوطنات 5الإسرائيلية على الحدود بسبب القصف السوري دفعت باتجاه التصعيد بصورة أكبر، ففي يوم نيسان أعلن ليفي أشكول في الكنيست: "إن إسرائيل قررت أن ترد بالطريقة التي تراها /أبريل أسقطت إسرائيل ٦ طائرات سورية من طراز 1967 (نيسان) أبريل 7في ,ملائمة على سوريا إثنتان داخل سوريا وأربع أخرى منهم ثلاث طائرات داخل الأردن واسقطت سوريا)ميغ ٢١ عدد من الطائرات الإسرائيلية منها ما سقط فوق الاراضي السوري ومنها ما سقط داخل على خلفية تصاعد التوتر بين الجانبين السوري والإسرائيلي، وتبادل لإطلاق النار (إسرائيل والقصف، قام الملك حسين بتسليم الطيارين الثلاثة (وهم النقباء وقتها علي عنتر ومحي الدين بعد أحداث ٧ نيسان/أبريل داوود وأحمد القوتلي)الذين هبطو بالمظلات داخل الأردن إلى سوريا كانت التوقعات تقريبا على كل الأصعدة بأن الحرب ستنشب بين سوريا وإسرائيل لا محالة، فعلى الجانب السوري زادت العمليات ضد الإسرائيليين وشارك الفدائيين في العمليات وأشكول الجانب السوري بان الأسوأ لم يأت العسكرية، وعلى الجانب الإسرائيلي هدد رابين باحتمال وقوع تحركات ضد سوريا، بعد، فوكالة المخابرات الأمريكية أخبرت الرئيس جونسون وتوصل المصريون إلى نفس الاستنتاج، كان أخطر التهديدات الإسرائيلية لسوريا ما نشرته ، كان الاعتقاد السائد وقتها ان المصدر المجهول لهذه (UPI)وكالة أخبار الدولية للنشر التصريحات هو رابين، لكن ذلك المصدر كان الجنرال أهارون ياريف، رئيس الاستخبارات 28، في [العسكرية، أثارت هذه التصريحات موجة عارمة من القلق على الصعيد العربي نيسان أبلغ وكيل وزارة الخارجية السوفيتية سيميونوف نائب الرئيس المصري أنور /أبريل رئيس الوزراء السوفيتي حول أن ليفي أشكول بعث برسالة إلى ألكسي كوسيغين السادات الأوضاع على الجبهة السورية الإسرائيلية يحمل فيها سوريا مسؤولية الاستفزاز، وأن رئيس الوزراء الروسي قام بتقريع السفير الإسرائيلي بسبب حشدها لقوات ضد سوريا، فأخبره السفير الإسرائيلي أنه مخول بنفي تلك المعلومات، وأن ليفي أشكول طلب من السفير الروسي الذهاب بنفسه لزيارة الجبهة الشمالية للتأكد، فرفض الأخير معللاً ذلك بقدرة الإتحاد السوفيتي مايو ١٩٦٧ أبلغ مندوب المخابرات السوفييتي 13في ,على معرفة الحقيقة بوسائله الخاصة "سيرغي" (كان مستشاراً بالسفارة السوفييتية بالقاهرة) مدير المخابرات العامة المصرية بأنه مايو أصدر المشير عبد الحكيم 14في ,يوجد ١١ لواءا إسرائيليًا محتشدًا على الجبهة السورية عامر أوامره بوضع جميع وحدات الجيش المصري على أهبة الاستعداد، بسبب الحشود الإسرائيلية الكثيفة على الحدود مع سوريا، وعندما ناقشه رئيس العمليات اللواء أنور القاضي في عدم جاهزية الجيش للحرب، اخبره المشير بألا يقلق، فالقتال لم يكن جزءا من الخطة مايو ذهب الفريق 15في .الموضوعة وإنما استعراض كرد على التهديدات الإسرائيلية لسوريا محمد فوزي إلى سوريا، ولم يستطع الحصول على أي معلومة تؤيد المعلومات الروسية، حتى في .الصور الجوية لم تظهر أي تغيير في مواقع القوات الإسرائيلية في يومي ١٢ و ١٣ مايو ١٥ أيار/مايو، ونظر إلى هذه التحركات من قبل الاستخبارات الأمريكية والبريطانية على أنها "تحركات دفاعية تهدف لإظهار للتضامن مع السوريين في وجه التهديدات الإسرائيلية"، حتى ان الإسرائيلين لم يظهروا قلقا كبيرا تجاه هذا التحركات، حتى عندما حذر رابين أنهم لا يمكنهم ترك الجنوب بدون تعزيزات، لم يثر الأمر قلقا كبيرا لتشابه تلك الخطوة مع تحركات سابقة تمت عام ١٩٦٠ وذهب القادة الإسرائيلين للمشاركة في احتفال عسكري بالذكري التاسعة عشرة

وفي ١٦ مايو طالبت مصر القوات الدولية بالخروج من أراضيها في .لقيام دولة إسرائيل خطاب وجهه الفريق أول محمد فوزي إلى قائد القوات الدولية الجنرال الهندي ريخي وقام بتسليمه العميد عز الدين مختار يطالبه فيه بسحب جميع جنوده، للحفاظ على سلامتهم، وذلك بسبب حالة التأهب التي عليها الجيش وتركيز القوات على الحدود الشرقية استعدادًا لأي هجوم في البداية تعامل الإسرائيليون بتفهم مع التحركات المصرية، كان .من إسرائيل عى مصر الإسرائيليون ما يزالون في حالة تركيز على الوضع السوري والعمليات السورية تشن على أمام السفن إسرائيلية المتجهة في ٢٢ أيار/مايو أعلنت مصر إغلاق مضيق تيران .إسرائيل اعتبرت إسرائيل هذه الخطوة إعلان حرب نسبة إلى تصريح رئيس وزرائها .إلى ميناء إيلات وتكثيف القوات المصرية في سيناء بعد أزمة السويس.

هجوما مباغتًا على جميع المرافق شن سلاح الجو الإسرائيلي 1967حزيران /يونيو 5في الجوية المصرية ودمرها خلال ٣ ساعات مطلقا بذلك شرارة الحرب

عند الشروع بالعمليات العسكرية استثمرت القيادة الإسرائيلية جملة عوامل الهدف منها جني الأرباح من معركتها المزمنة، أهمها:

- النسبي ومحدودية جيشها استخدمت إستراتيجية استندت بسبب صغر حجم إسرائيل فيها على الاستفادة من جميع العوامل والظروف والطاقات من سوقية وتعبوية عسكرية منها تحديد الأهداف من الحرب، حيث رأت إسرائيل أن من أهم الأهداف المتوخاة من الحرب هي تثبيت ركائز الدولة العبرية الفتية من خلال ضرورة استثمار الحقبة التي كانت تشهد نشأة وتأسيس الدول العربية الحديثة العهد بمؤسسات الدولة والمجتمع المدني والعسكري كونها ناشئة حديثًا من انفصال ولايات وإمارات عثمانية مجتمع وبرامج عمل واسترتيجيات قيد التكوين. كدول حديثة الاستقلال تمتلك فلسفة كما اعتمدت إسرائيل بسبب هشاشة تكوينها كدولة على دولة عظمى من خلال عقد المعاهدات الإستراتيجية التي من خلالها تقدم الخدمات الجلى لتلك الدول أو من خلال فيها أو ما يسمى باللوبي الداعم واقتصاديًا المتنفذة سياسيًا تأثيرات الجاليات اليهودية) المشكل من الزعامات والقيادات اليهودية AIPAC :بالإنجليزية) (لإسرائيل (الأيباك الأمريكية.[23]

- اعتمدت إسرائيل على الحرب الاعلامية.
- أطلقت حملة من الحرب النفسية.
- استغلت القضية اليهودية القديمة في أوروبا المستندة على الظلم الواقع على اليهود ومعاناتهم من اضطهاد الأعراق غير السامية أي ما يسمى "بالعداء للسامية" كقضية لهم بما يسمى محارق الهولوكوست ديريفوس وغيرها، وآخرها اضطهاد نظام هتلر.
- أطلقت حملة دعم في أميركا وإنجلترا تحديداً من خلال الكنائس البروتستانتية ذات العقيدة القريبة من الفكر اللاهوتي التوراتي معتمدةً على التلمود المشترك بين اليهودية وتلك الطائفة التي يدين بها أغلب الإنجليز والاكثرية الساحقة من الأميركان. استغلت إسرائيل عوامل عربية داخلية أخرى مثل انشغال الدول العربية بانقلابات فاشلة أو بلبلة داخلية كتكفير الاخوان المسلمين للحكومة المصرية ومحاولاتهم قلب نظام الحكم والتحريض على حرق معامل حلوان الأمر الذي أشغل الدولة كثيراً مما ترتب عليه إصدار أحكام إعدام بحق المحرض على العملية سيد قطب. وكذلك استثمرت الأدوار التي لعبها الجواسيس من اليهود العرب وغيرهم مثل منير روفا وغيرهم، في جمع وايلي كوهين وعزرا ناجي زلخا الذي اختطف طائرة ميغ ٢١

المعلومات عن السلاح العربي للتعرف على أسراره ومواجهته والعمل كطابور خامس لتحطيم الجبهات الداخلية العربية.

- اعتمدت على مبدأ التفوق في السلاح فبعد أن كانت القوات العربية متفوقة تسليحيًا عددًا مهمًا من الاتفاقات لإعادة تسليحها بأحدث لغاية عام ١٩٦٥ عقدت إسرائيل الأسلحة الغربية.
- اعتمدت كذلك على مبدأ التفوق الجوي في ساحة المعركة ذلك لوهن الجندي الإسرائيلي وومحدودية حيلته وعدده. وبنت قيادة الجيش والأركان الإسرائيلية خططها على الانفراد بكل جبهة عربية على حدة لعدم إمكانيتها من فتح أكثر من جبهة في آن واحد.
- اعتمدت على الدول الكبرى من خلال عدم فسح المجال للقوات العربية بالمبادئة المناسبين لأي تخطيط عسكري تعبوي وعدم فسح المجال أو والمكان واختيار الزمان إعطاء فرصة للقوات العربية بتنظيم قطاعاتها لصد الهجوم أو القيام بهجوم مقابل من بإصدار قرار وقف إطلاق النار بعد خلال التزام الدول الكبرى الأعضاء بمجلس الأمن إتمام العدوان مباشرة لإظهار العرب وكأنهم اخترقوا القرارات والمواثيق الدولية وبهذا يستحقون الردع والعقاب، وقد كان من أهم أسباب هزيمة الجبهة المصرية الهجمات اللتى قامت.

أثناء بدء العمليات قامت القوة الجوية الإسرائيلية بضرب المطارات والقواعد الجوية العربية وتحطيم طائراتها، وكذلك استفادت من الضربة الجوية اللتى قامت بها القوات الجوية الأمريكية والبريطانية اللتان كانتا متمركزتان بقاعدتى هويلز والعدم بليبيا واللتى كان من أهم نتائجها تحييد سلاح الجو المصري واللذى كان بإمكانه تقديم الدعم والغطاء الجوى للقوات المصرية أثناء العمليات العسكرية أو حتى أثناء الانسحاب، ثم استثمرت تحرك الوحدات العربية في عملية إعادة التنظيم الخاصة بالقيادة العربية المشتركة وشنت هجوماً بالدروع باستخدام أسلوب الحرب الخاطفة على الضفة الغربية التي كانت تابعة للاردن وعلى مرتفعات الجولان كل على انفراد حيث استعملت الأسلحة الذي كان تابعاً لمصر ولسيناء السورية وقطاع غزة المحرمة دولياً كالنابالم وقذائف البازوكا. حدث ارتباك لدى القوات المصرية بسبب قرار الانسحاب العشوائي الخاطيء الذي اصدره القائد العام للقوات المسلحة المصرية المشير عبد الحكيم عامر، في الوقت الذي قررت فيه الوحدات السورية إعادة تنظيمها للرد على المعركة أو الضربة الأولى وتكثيف هجومها على إسرائيل.إلا أن مجلس الأمن سارع بإصدار قرار وقف إطلاق النار ففسح ذلك المجال أمام القوات الإسرائيلية بتنظيم وحداتها فيما يسمى عسكرياً بقوات عسكرية لدعم الجبهة على استثمار الفوز. شارك الرئيس العراقي عبد الرحمن عارف الرغم من القوات الكبيرة الرابضة في المفرق في الأردن إلا أن الدعم الأمريكي والبريطاني والفرنسي المعلن بالتدخل في حالة رد الدول العربية على العدوان مالم تستجيب لقرار مجلس ، الأمر الذي افشل خطط الهجوم المقابل العربية وجعل إسرائيل بواقع 242الامن الدولي المنتصر.

فتّت تلك النكسة فى عضد الأمة كلها...سهام من الاحباط اخترقت صدور الجيوش العربية التى لم تحارب من الأساس بل هُزمت قبل دخولها الميدان...لكن تلك النكسة وان كانت للأمة نارا محرقة فقد كانت ل(وحيد) وأمه جحيما أتى على كل شئ...ان كانت للبلاد سيولا مغرقة فهى ل(أمينة) الطوفان المدمر لكل شئ...ان كانت للوطن رصاصة مؤلمة فى جسده المعتاد على الأزمات فهى لهما القنبلة التى كانت أكثر ايلاما لجديهما الواهنين.

لم يستقبل (وحيد) و (أمينة) خبر النكسة وكفى كمعظم الناس...وانما كان ذلك الخبر برحيل الباقى من عائلتهم المندثرة قرينا له...رحل (كريم) و (أحمد) وأمهما (سعاد) شهداء فى الهجوم الغاشم المصيب للسويس...رحل من استقبلهم بيته وهم اليه لاجئين...رحل من آواهما عطفهم وهم عن العطف باحثين...رحل من أعاد اليهم المُغتصب من حقوقهم وهم فى اعادة الحق يانسين...انقطع حبل الاتصال الآن الى الأبد...ماتت آخر أمنية باللقاء تمناها الجميع فى انتظار يوم تشخص فيه الأبصار ويلتقى فيه الجميع فى جنان أُعدت للشهداء من أمثال الأبطال الراحلين والصابرين المحتسبين من أمثال الأحياء المجاهدين.

لم يكن وقع الخبر سهلا على (وحيد) بطبيعة الحال وهو الفاقد لآخر من صاحب من أقرانه برحيل (أحمد)...ذلك الذى طالما جمعتهما جلسات السمر وأظلتهما مجالس الحديث...سنوات جمعتهما رفيقين لم يجدا فى أحد صديق بقدر ما وجدا فى بعضيهما...صداقة وطدتها أواصر القرابة فكانت لقوتها دعما ولاتصالها حافزا...داعبهما بقوة حلم اللقاء فى آخر اجتماعتهما يوم الوداع...لم يشكا يوما فى العودة لأحضان صداقتهما وأخوتهما ولو بعد حين ان شغلتهما عقبات الحياة...لكن هيهات لقصة حلمهما أن تكتمل الى آخر فصولها باجتماع تمنياه وقد وأدته قذائف عدو حرم (وحيد) من أبيه قديما ثم من صديقه بعدها بما يقارب العشرين عاما...لم يملك ما يبذله الا ذات الدموع التى ذرفها يوم فراق أبيه الشهيد...لم يملك ما يخرجه الا نفس الآهات التى أخرجها يوم الوداع القديم...لا تضم ممتلكاته أوفر من الدموع ولا تحوى خزائنه أكثر من الآهات...وهو بين دموعه وآهاته قد جعل همه بين يدى ربه القادر الأوحد على تعويضه عن سنوات حرمانه.

كان الخبر ذا وقع مماثل على أمه...تلك التى فقدت هى الأخرى صديقة عمرها لأكثر من ثلاثين عاما...رفيقتا كفاح لم تنعم الأيام على أى منهما بأوفى من الأخرى...جمعتهما جدران بيت واحد وآواهما حنان شخص واحد...لا زالت مقاعد شقتها شاهدة على لحظات ضحكاتهما وساعات دموعهما...ضحكات عايشتها كل منهما وشاركتها الأخرى بصدق...دموع ذرفتها كل منهما وساندتها الأخرى باخلاص...فكانتا بحق المثال الحى لصداقة لم تؤثر فى شموخ قممها عواصف الأزمان.

أما (كريم) ذلك الراحل بعد توبة سعدت لها قلوب الجميع من محبيه فكان الحزن على فراقه لا يقل عنفا من الاثنين عن فراق صديق عمره...فكان الرحيل الجماعى الذى تاهت فيه مشاعر الأحزان واختلطت به أحاسيس الحرمان...

تمكن المرض من (أمينة) بشدة أياما بعد علمها بخبر الرحيل...لتشفى بعدها جزئيا وان رفض السقم مغادرة جسدها الضعيف لتعيش خليلة له رفيق لآلامه ما تبقى من سنين عمرها الآخذ فى الانتهاء.

ظلت (أمينة) صديقة مرضها ما يقرب من عامين وبعض العام قبل أن تستدعى ابنها الوحيد ذات يوم مخاطبة اياه بقولها:

-(وحيد)...أريد أن احادثك فى أمر هام يا بنى

-أمرك يا أمى تفضلى...كلى آذان صاغية

-أما آن لك أن تتزوج يا بنى؟

-أتزوج؟

-نعم تتزوج...ما الغريب فيما أقول ليجعلك تعجب لهذا الحد؟...لقد استشرى المرض بجسدى يا عزيزى...وانى والله لأشعربالموت يطرق بابنا ذاك كل لحظة...أريد فقط أن أطمأن لاستقرارك قبل رحيلى يا بنى

-لا تقولى هذا الكلام يا أمى...وهبك الله عمرا مديدا تظلين فيه الى جوارى كما أنت دائما...لكن من ترينها الزوجة المناسبة التى اقتنعت بها الى درجة جعلتك تتعجلين زواجى هكذا؟

-ما رأيك فى (أمل)؟

-ابنة السيدة (أصيلة)؟

-نعم يا بنى...فهى تجاورنا وأمها منذ سنوات لم نرَ منهما الا كل خير وانى والله لأراها الزوجة المستقيمة لزوج مستقيم

عاد (وحيد) مستندا بظهره الى ظهر كرسيه المقابل لأمه واضعا كفه المقبوض تحت ذقنه قائلا:

-حسن يا أمى...دعينى أفكر بعض الوقت فى هذا الأمر

قالها واتأذن مه منصرفا يفكر فى أمر الزواج ذاك وفى تلك التى أختارتها له أمه...وما هى الا أيام حتى اعطى لامه الموافقة على ما اقترحته ليتم الزواج السعيد بعد فترة ليست بالبعيدة ليعيش الجميع بعدها تحت سقف واحد زوج وزوجة وأمان.

بيت واحد كان يضم اسرتين التحمتا الآن فى اسرة واحدة أصغر افرادها كان ذلك الرضيع (عمر) المولود بعد عام وبعض عام من زواج ابيه (وحيد) وأمه (أمل)...كان ذلك الرضيع هو النسمة الباردة التى داعبتوجهى أبويه أخيرا بعد سنوات اكتوت بها تلك الوجوه بحرور النكبات...كان المطر المنهمر على رؤوس جدتيه بعد عقود عانت فيها تلك الرؤوس جفاف الأزمات...نظر اليه الجميع كنبتة جديدة زرعتها يد الأقدار فى ذلك البيت لتكون لأهله أملا جديدا يزيل عن اكتافهم ما أرهقها به الزمان من أحمال...قناة صغيرة شقتها الحياة أخيرا بين فيافى ذلك المنزل لتكون لقاطنيه تفاؤلا جديدا يمسح عن خدودهم بعض ما بللها من دموع الحزن على الراحلين...

كانت فرحة (أمينة) و (أصيلة) بذلك الوليد أضعاف فرحة أبويه...لم تكونا تتركاه فى ليلهما ونهارهما غير أن (أمينة) قد زاد مرضها بشدة فى الأيام الأخيرة فباتت أسيرة فراشها أياما حتى تلك الليلة المخفى قمرها من سماءها التى استدعت فيها ولدها (وحيد) لحديث طويل...دخل عليها ليجدها فى غير تلك الهينة التى اعتاد عليها طيلة حياته...عينان غائرتان أجهدهما المرض...وجه زالت نضارته أتعبه الهزال...جسد مفترش على سريره لا يحرك ساكنا الا تلك اليد التى أمسكت يد ولدها الملبى ندائها...وأخيرا صوت بلغ خفوته مبلغه اذ يقول:

-استمع يا (وحيد) الى ما سأقوله لك واعقله جيدا فقد يكون ذلك آخر كلامى اليك

-لا تقولى ذلك الكلام يا أمى...سيكون الشفاء حليفك ان شاء الله

-لكل أجل كتاب يا بنى وانى والله لأظن كلامى هذا اليك آخر صفحات كتاب أجلى...لقد عشت حياتى كلها يا بنى لا أرى من الأنوار الا نور عينيك...لا أعبئ من الأصوات الا بما ينطقه لسانك...ولا أهتم بحركات أو سكنات الا بتلك الصادرة منك منذ طفولتك وحتى يومك هذا...عاملتك كرجل من أول أيامك وربيتك كمسؤول منذ بداية سيرك فى درب الحياة ذاك...وانت يا بنى بين معاملتى وتربيتى كنت نعم الرجل وخير المسؤول...عاندتك دنياك كثيرا كما عاندت أباك وأمك...قست عليك حياتك مرارا كقسوتها على أبيك وأمك...لا تبتأس بعناد الدنيا ولا يحتويك اليأس من قسوة الحياة فما العناد والقسوة الا ابتلاءات وضعها القدر فى طريق المؤمنين...ثق فى الله خيرا يا بنى فهو عند حسن ظن عبده به...واعلم ان لكل أمة تاجا يزينها وتاج الأمم رجالاتها...ولكل تاج جواهره وجواهر الرجال كفاحهم...كن انت خير تاج يضم خير جواهر يضعها فى خدمة خير أمة...الخير آت مادمت اليه ساعيا والشر محجوب مادمت عنه غافلا الا من ابتلاء الأقدار الذى لا مفر منه...حياتك ليست الا فترة وجيزة بين ميلاد وموت تصنعها قراراتك وتحدد معالمها ما تبغاه من أهداف...فان أصاب القرار وصدق الهدف فكن على يقين من حياة كأنها المرسومة بريشتك المخطوطة بقلمك

معركة التحرير قادمة يا بنى لا محالة...كن دوما ذاكرا لاسمك (وحيد محمد المصرى)...ذلك الاسم الثالث الذى يفخر الملايين بالانتماء اليه ويتمناه ملايين أُخر فى اسمائهم...المصرى لا يهاب عدوا يا بنى...لا يعرف الذل الى قلبه طريقا...لقد رحل أبوك شهيدا مدافعا عن تلك الأرض التى تحيا عليها الآن...مات لتعيش ويعيش أقرانك...وضع حياته درعا لرصاصات حماكم جميعا من الموت بمثلها...نفس المصير لاقاه أبناء خالك وامهم...اضافة الى خالك الشهيد فى سبيل الحق...هى حياة المجاهدين وميتتة الأبطال اذن يا عزيزى...كن بها متمسكا ولابنك فعلمها...علمه أن يكون فردا فى خير أمة أخرجت للناس لا فردا فى أمة ضحكت من جهلها الأمم...علمه ما علمتك وزد عليه...قوّمه كما قوّمتك زد عليه...اجعله الخلف الناجح الذى يفخر به سلفه السابق للنجاح...اعلم يا ولدى أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطأك...هى فقط حكمة الأقدار التى تمتلك الحق الأوحد فى تقدير المخطئ وما يخطأه واختيار المصاب وما يصيبه...فاصبر آمنا على ما يصيبك واحمد الله شاكرا على ما يخطأك...

اعلم يا بنى أن الندم على فعل خير لمن لا يستحق خير من الندم على التمادى فى انتقام قد تكون خسارتك منه أعظم من خسارة من أردت الانتقام منه.

أخيرا يا (وحيد) اريدك ان تعلم أنى سأفتقدك أكثر مما يمكن ان يصوره لك خيالك يا حبيبى...سأفتقد اطلالتك علىَّ مع كل اشراقة شمس وكل لمعان قمر...سأفتقد بسمات صغيرك فى نومه وبكاءه فى يقظته...يبقى عزائى الوحيد أنى سأفارقكم وذكراى فى رؤوسكم عطرة بلا شوائب...سامحنى يا (وحيد) عن شدة عاملتك بها صغيرا أو كبيرا...لو كنت تعلم كيف كنت أدبر أمورك لغفرت لأمك خطاياها يا عزيزى وان ملأت أمواج البحار...الوداع يا (وحيد)...الوداع يا من عشقتك أمك الى حد الجنون...

لم تكد تتم كلماتها تلك حتى اختنق صوتها وجحظت عيناها...يصاحب ذلك شدة فى امساكها بغطاء فراشها تارة وبيد ولدها تارة أخرى حتى سكنت جميع حركاتها بعد لفظها الشهادتين فى صعوبة بالغة...فلا جحوظ العينين استمر ولا شدة فى الامساك تواصلت...اغماض فى العينين أعقب جحوظهما وارتخاء فى اليدين تلى امساكهما...كان ذلك صعودا لروح جسدت لسنوات المعنى الحقيقى للانسانية ما تحويه من صفات أرادها الله بين خلائقه...نهاية لجسد لم يرجُ الا الصلاح ولم يسعَ الا اليه

رحلت (أمينة) اخيرا...تلك التى كانت جديرة باسمها...حملت امانتها التى كلفتها بها اقدارها على خير ما تُحمل الأمانات...حملتها وقد أوصلت ابنها بنهاية المطاف الى ميدان الرجال حيث يجاهد الدنيا عنيدا كما فعل أبوه وتبعته أمه.

لم يدر (وحيد) ذلك الفاقد لأبويه بنفسه الا ورأسه ترتمى باكية على جثة أمه...لم يكن صراخا أو صياحا...فقط دموع أحرَّ من أن تذرفها مقلتا حزين على رحيل حبيب تنهمر كأنها السيول فى اندفاعها...فأصدق الدموع وأثمنها هى تلك المرسلة على خدى دامعها دون أن يراها أحد...سكون تام ساد أرجاء المكان لفترة قاربت على الساعة...حملت فى دقائقها ذكريات سنوات لم يرَ خلالها الا دعما هو على يقين من عدم حصوله على مثله من غيرها...لم يعهد فيها الا مساعدة هو على ثقة من عدم ايجاد مثلها من سواها...لم تكن علاقة (وحيد) بأمه تلك المعتادة بين ابن ووالدته...فاذا كانت الأمومة أمتن علاقات الوجود وعلاقة البنوة أقواها...فان علاقة (أمينة) بابنها كانت اكثر متانة من المتعارف عليه وعلاقة (وحيد) بامه أشد قوة من المعتاد...رفيقان فى درب الحياة طالما عزف الحان الثقة التى تغنت بها هى...طالما مهدت سبل الصداقة التى سار عليها هو...وعليه فلم يكن من اليسير فقدان السائر لمن مهد له الطريق وابتعاد المطرب عن من كان له عازف الألحان...هو حكم القدر الذى لا مفر منه على اية حال...حكم بالابتعاد على امل بلقاء اخروى فى جنات النعيم...غادر الحجرة بعد ان مدَ الغطاء الى ما فوق وجه امه وخرج بالكاد تحمله قدماه...غير عابئ بصراخ الصارخين...غير مهتم ببكاء الباكين...فلا بالصراخ تندمل الجروح ولا بالبكاء تُشفى الاسقام...

انفرد بآهاته فى حجرته اياما بعد اخذ عزاء امه حتى قرر الخروج اخيرا الى الحياة من جديد...ما من مكان اعتاد اللجوء اليه فى ازماته افضل من الكورنيش...عشقته امواجه كما عشقها...اعتاده السور كما اعتاده هو...يفضى اليهما بما تحمله اكتافه من هموم...كثيرا ما تاهت تلك الهموم بين شطئان تباعدت بينها المسافات...طالما استترت خلف افق ممتد على طول البصر...امواج متتابعة فى هدوء تتوسطها خطوط عرضية لامعة غير منتظمة الحدود من اثر انعكاس لمعان اعمدة الانارة المنتشرة على طول ذلك السور الحديدى...استمرت وقفته المعتادة المائلة على سور الكورنيش مستندا بكوعيه الممتدين الى كفين تشابكا كأنهما الكيان الواحد...سرحت عيناه كثيرا فى ليلته تلك...تارة فى امواج متهادية يرى فى هدونها صورة امه تبتسم له...واخرى فى سماء مظلمة يرى فيها صورتها باكية على فراقه...وهو بين الابتسامة والبكاء لا يرى الوجود الا وصورة امه ترافق كل اركانه...لا زال ذاكرا ذلك اليوم الذى امتدت احداثه الى الغروب...حين اكتشف استشهاد ابيه وصحبته امه الى شاطئ الاكندرية فى موقف هو الاشبه بما يمر به الآن...لولا ذلك الاختلاف فى كونه وحيدا الآن بلا رفيق...وما أجلّه من اختلاف اذا كان الفقيد مثل امه.

هو انن ذلك الصديق الذى يرافقه فى كل ازماته...رحل من رحل من أحبائه وفُقد من فُقد من أخلائه وبقيت تلك الأمواج هنا وهناك لا راحلة ولا مفقودة...هى انن علاقة من نوع خاص...يوقن طرفها البشرى المتمثل فى ذلك الواقف المتأمل انها مستمرة لآخر أيامه...فلم يعهد منها الا احتواء أحزانه كما لم يحتويها احد سوى امه الراحلة.

استمرت تأملاته كثيرا بين نظرات لمياه متبخترة واخرى لسماء داكنة فى صفاء...سبح بخياله بين امواج ذلك النهر من ذكرياته الذى شقّ طريقه بين ثنايا مخيلته يفكر فيما كان من أمره طوال ما مضى من سنوات عمره...مشكلات وجدت ضالتها من الحلول...أخرى تاهت فى سبل من العجز عن ايجاد مخرجها...وأخيرة مازالت معلقة آملة فى الممهد من طرق الخلاص مما هى عليه...وما بين المحلولة وفاقدة المخرج والباحثة عن الخلاص كانت نظراته الى افق بعيد وطبيعة بطيئة الحركة هادئة المنوال...نبهته تلك العذوبة لصوت بشرى قادم من وسط الظلام الذى أُسدلت ستائره منذ قليل...صياد انهى لتوه يوما يظنه الرائى عامرا بفيض النهر على شباكه فكان غناءه ذلك المستند الى ايقاع طبيعى نابع من حنجرته تعبيرا بسيطا عن فرحته بنجاح غير ثابت فى يومياته...استقر فى قاربه الصغير المتهادى السباحة بين لجج هادئة...تراه قد قرر مكافأة نفسه بتلك النزهة النهرية فى نهاية يوم شاق على انغام غناء فاقد للنظام الموسيقى ضام للنظام الفطرى...قاداه مجدافاه اخيرا الى مبيته على ضفاف النهر الخالد...استقر فى ملجأه المعهود مع نهاية كل يوم من أيام عمله...عقده الصياد الى ذلك الوتد على الشاطئ مغادرا الى اسرته المشتاقة الى للقاء كل ليلة حيث سمر أسرى مزيل لما كان من عناء السابق من عمل اليوم...اثارت (وحيد) تلك العلاقة الأبدية بين القارب ومسكنه بين احضان ذلك النهر...متحرك فى تناغم مع امواجه نهارا...ثابت فى اتمام لصورة هدونه ليلا...تفاهم رآه نادرا بين البشريين ومنتشر بين وجوه الطبيعة...أى علاقة عميقة تلك التى جمعتهما...ثارت أمواج النهر أو هدأت...بخلت اسماك القاع أو فاضت...فلم تعهد الامواج فراقا للقارب مع ثورتها ولم تعتد له وداعا مع بخلها...انه انن ذلك الاخلاص لصديقه الذى طاله كرمه واحتواه هدونه...استمر اعجاب (وحيد) واندهاشه بالنيل وصديقه الذى تمنى أن يهنأ بمثله من بنى البشر...صورة ربما اعتاد عليها الكثير...يراها المراقبون فلا يزيد شعورهم عن اعجاب بجمال صوت الصياد أو تتابع امواج النهر...لكن (وحيد) ذلك المتابع بفطنة واعجاب على حد السواء كان له رؤية تختلف عن بقية الرائين والمتابعين...تحمّل القارب ثورة الأمواج فكان هناءه بهدونها...صبر الصياد على شح الأسماك فكان فرحه بفيضها...هى الدنيا انن كما وصفتها أمه له فى احتضارها بأن الخير آت مادمت اليه ساعيا...فلولا الثورة ما شعر الصياد بجمال الهدوء...ولولا البخل ما ذاق للكرم حلاوة....أو كما قال القدماء بضددها تتميز الأشياء...على (وحيد) انن أن يصبر على ثورات دنياه لينعم بهدونها...أن يحتسب بخلها ليظفر بكرمها...منطق عزم على استكمال العيش تحت ظلاله كما كانت وصية أمه...عاد أدراجه وقد هدأت جراحه هونا ما ولم تندمل...لكنه على أية حال قد قرر التعايش معها.

انقضت الأيام ب(وحيد) وزوجته وبينهما ولده وحماته على وتيرة روتينية عدة أشهر بلا حدث مميز حتى ذلك اليوم الذى سمع فيه طرقات على بابه...فى اتجاه معتاد حيث تُسمع الطرقات

عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

هذا الكتاب حصرى على جروب عصير الكتب

انضم الينا لتحصل على كل ماهو جديد

follow me : facebook.com/OmaR.1.Bs

كان سير (وحيد)...فتح الباب ليجد رجلا تخطى حاجز الثلاثين بسنوات ليست بالكثيرة...ملابس بسيطة مع اناقتها...وجه مألوف مع بعض تغيير فى ملامحه بزيادة شارب الى جانب زيادة فى رجولة الملامح أضافتها لوجهه السنون...ابتسامة علت وجهه بعض دقائق من تأمله لتأمل (وحيد) له حتى كانت أولى عباراته له بقوله:

-أراك قد آنستك السنون ابن عمك يا صديقى

شهق (وحيد) ثم صرخ بصوت سمعه من داخل الشقة:

-حسام؟!!

رد الغائب منذ سنوات باسما بقوله:

-وهل لك ابن عم غيره يا عزيزى؟

بادر الاثنان الى عناق حار دام كثيرا تخللته عبارات الشوق تارة وكلمات العتاب تارة أخرى قبل أن يدعو (وحيد) صديق طفولته الى الداخل حيث حديث طويل سرد فيه (وحيد) لابن عمه ما كان من جولات الأيام معه طيلة بعض وعشرين سنة فأسف (حسام) كثيرا لما كان من تلك الأحداث وبالأخص موت (أمينة) التى كثيرا ما تمناها أمه

توجه (وحيد) لصديقه عما كان من أمره هو الآخر طوال ما مضى من الأعوام:

-وماذا عنك يا صديقى؟...كيف كانت أيامك منذ ذلك اليوم البعيد الذى ضم آخر لقاءتنا صغارا

-آه يا (وحيد) عليها من سنوات...لقد كنتَ وأمك بمثابة الباب الذى كان موصدا يخفى وراءه الكثير من المصائب التى طالتنا جميعا بعد ذلك...برحيلكما فُتح هذا الباب لنغرق جميعا فيما كان خلفه من أزمات...بالغ ابى فى ادمان المخدرات كثيرا حتى اتى على كل ما يملك فى سبيلها...زادت نيران الخلافات بينه وبين امى حتى بلغت ذروتها مما أدى بعد ذلك لطلاق كنت انا ضحيته الوحيدة...ظللت سنوات تحت رعاية امى فلم يعبأ أبى بكفالتى كثيرا...أظنه حتى قد نسى ان لديه ابنا...ولم لا وقد ذهبت المخدرات بالباقى من وعيه؟...ظل على حالته تلك حتى أتته منيته أخيرا راحلا الى عالم آخر يلقى فيه ربه يحاسبه عما كان من أعماله خيرها وشرها...أما عن أمى فقد تزوجت بآخر لتتجنب وتجنبنى التشرد والفاقة...لم تكن كأمك قط يا (وحيد)...لم تفكر فى الجانب النفسى والمعنوى لولدها ولو للحظة...كل ما استعمر مخيلتها كان الجانب المادى فقط ولا غيره...ظللت فى رعاية زوج أمى ما يقرب من تسع سنوات...ومخطئ من يسميها رعاية يا صديقى...فقد مرّت علىَّ كمرورها على مُعَذَّب فى الجحيم...ماتت أمى لأتركه عائدا الى بيتنا القديم أعيش فيه وحيدا بعد التحاقى بعمل صغير فى شركة بعد تحرجى فى كلية التجارة...بدأت الحياة تفتح ذراعيها لى تدريجيا...تدرجت فى عملى شيئا فشيئا ثم تزوجت قبل سنوات وبات لى ولد فى عمر الزهور.

-منعتنا صراعاتنا مع الحياة من تنفيذ وعدنا القديم باللقاء اذن يابن عمى

ابتسم (حسام) قبل ان يرد مداعبا:

-لكنى كنت السابق الى الوفاء به يا صديقى

-أنت دوما السبّاق الى الوفاء بالوعود يا أخى

تبادلا الضحكات قليلا واستمر حديثهم فترة طويلة يعبثون خلالها بأوراق الماضى البعيد وما كان من أيام وليال جمعتهما صغارا فى مدرسة واحدة وبيت واحد وأسرة صغيرة جمعتهما وأم (وحيد) الراحلة

-دعنى الآن أحادثك فى الأهم يا (وحيد)

-تفضل يا صديقى...هات ما عندك

-أنا الآن أعيش مع زوجتى وولدى فى بيتنا القديم...فلم أشأ تركه أبدا رغم استطاعتى ذلك...كل ما أرجوه الآن أن ترحل معى وأسرتك الى الأسكندرية من جديد...فأنا بحاجة لصديقى القديم كما هو الحال بالنسبة لك...زوجتك قد تجد فى زوجتى صديقة...ولدك قد يجد فى ولدى صديقا...أما حماتك فأظنها لا تمانع فى ابن وابنة آخرين الى جوار ولديها الحاليين

-لكن ماذا عن عملى هنا يا (حسام)؟

-لا تقلق بهذا الشأن...لى صديق يعمل فى السلك التعليمى وانا على يقين أنه يستطيع نقلك الى مدرسة أخرى فى الاسكندرية بدلا من تلك التى تعمل بها الآن هنا فى القاهرة...ما رأيك يا (وحيد)؟

أطرق رأسه يفكر دقائق ثم قال:

-الموضوع بحاجة الى تفكير يا صديقى...لابد من استشارة شركائى فى القرار زوجتى وحماتى فلست المنتقل الوحيد للعيش الى جوارك...ستمكث معى هنا أياما ثم نحدد ما نحن عليه مقدمون بمشيئة الله.

مرت أيام أربعة دبّر فيها (وحيد) امره واستشار زوجته وحماته...كان على ثقة تامة طيلة ما مضى من الأعوام انه عائد الى ذلك البيت يوما ما...لم ينس أبدا كلمات امه لعمه حين غادرا وهى تقول له:

-لكنى وان كنت على امنية برؤيتى ذلك البيت فى قادم اعمارى...فانى على يقين من عودة ذلك اليتيم يوما ما لاسترداد ما سلبتماه

نبوءة تنبأت بها أمه منذ اكثر من عقدين وها قد أتيحت الفرصة لتحقيقها...جهز الجميع نفسه للرحيل الى الاسكندرية...لم يبع (وحيد) المنزل وحين سألته زوجته عن ذلك كان رده:

-لا حاجة لنا ببيعه...سأحتفظ به فلربما احتجناه يوما ما...فلست بالمعتاد من الدنيا الا غدرا بى...فلنتركه علّه يأوينا من جديد فى قادم الأيام

رحلت تلك العائلة الصغيرة ذات الأفراد الاربعة يصاحبها (حسام) ذلك العائد الى رحاب صداقته القديمة مع ابن عمه بعد غياب طويل عانى خلاله كلاهما...رحلوا جميعا الى ذلك وقد ودّع

(وحيد) ذلك البيت الذى شهد طفولته وصباه وشبابه ورجولته...رأى صورة أمه الباسمة فى كل جدرانه...هيئة خاله الحازمة فى جميع أركانه...ملامح ابن خاله الضاحكة المستبشرة فى كل درجة من درجات سلمه...أحبة يمرون فى الذاكرة كل يوم...يترددون على الفؤاد كل ساعة...لا يتذكر لهم الا ذكريات هو على ثقة من عدم تكرارها مع سواهم...لا يرى الا مواقف هو على يقين من استحالة وجودها مع غيرهم من بنى البشر...لكنها محطات الحياة الآخذة فى التتابع على كل حال وهو لا يملك الا التأقلم على ما تحمله عساها تحمل له احداها ما يزيل عنه عناء ما فات من المحطات.

استقل الجميع القطار وراحوا فى نوم عميق بخلاف (وحيد) الذى خيم عليه الصمت والتأمل فى لا شئ من نافذة القطار و (حسام) الذى لاحظ سباحة صديقه فى يم من الأفكار والتخيلات فكان قوله له:

-أراك فريسة للسكوت منذ استقلينا القطار يا (وحيد)...أهو غوص فى ذكريات ماضية أم...غرق فى حسابات لما هو قادم؟

انتبه (وحيد) لكلمات صديقه فابتسم يطأطأ رأسه للأسفل فاركا يديه ببعضهما قبل أن يستند الى ظهر مقعده قائلا:

-هو ذلك الحال بين الغوص والغرق يا أخى...لقد عادت بى ذكرياتى الى ما يجاوز العشرين عاما...ذلك اليوم الذى غادرت فيه مع امى الى القاهرة فى قطار مثل هذا...أظنه هو لولا تتابع السنوات...لم أكن ساعتها أدرك أين كنا أو الى أين كان الاتجاه...تفاصيل أهم بالتذكر من المكانين بالنسبة لطفل لم يجاوز السابعة بعد...لكنه ذلك القطار القديم الذى ضم رحلتنا تلك...شغلنا أوسط العربات...مقعدين فى آخر العربة كانا فى وضع مواجهة...رحلة لست بناسيها أو ناو للنسيان...لست بمتناسيها أو شارع فى التناسى...لا زلت ذاكرا ذلك المقعد المتهالك الذى شهد الأحداث...ذلك المقعد المقابل الذى شهد الأحاديث...جلسنا متقابلين تفصلنا تلك النافذة الأشبه بتلفاز صغير تتغير مشاهده سريعا بلا توقف...مشاهد ساطعة لطبيعة خجولة احتمت بظلال الأجام من حرارة شمس ذلك اليوم...لم تسعفنى سرعة القطار حينها بالاستمتاع أكثر بجمال ذلك الأفق الذى تظله تلك السماء فقيرة السحب ثرية الأطيار...لكنها على أية حال امتنت علىّ ببعض نظرات الى صفاء سماء كانت المشهد الوحيد ذو التغيير الطفيف...داهمنى النعاس لفترة لا يلائمها وصف القصيرة...كل المشاهد آخذة فى التغير قبل وبعد غفلتى...نهار متبوع بليل...حركة متبوعة بسكون...كلام متبوع بصمت...مشهد واحد ظل على ثباته...منظر واحد ظل على هدوئه...لأم يكن المشهد سوى أمى...لم يكن المنظر سوى تلك الأرملة المفكرة فى شئ ما لا يعيه هذا الابن الصغير المتابع لأمه...ظلت على حالة من عدم الحديث طويلا...لا زلت ذاكرا تلك الهيئة البائسة...نظرة الى لا شئ فى ذلك الأفق البعيد...يد نحيفة موضوعة على خدها الأسمر...جبهة عريضة مفكرة فى شئ تتردد فى الافصاح عنه...قدم يمنى موضوعة فوق أختها اليسرى تلاحم عهدته عيناى منهما...لم تظفر عيناى منها ولو بنظرة متكلفة...لم تفز أذناى منها بكلمة وان كانت من خلف جدران القلوب...شغلها عن ذلك ما كانت فيه من هم كبير حملته وحدها...جهد كبير بذله ذهنى الصغير لاستنباط السبب...مشقة هائلة تكبدتها بصيرتى القاصرة لاستكشاف المبرر...لم تشفع لى معرفتى بها

بكشف ستار الغموض الذى احاطها فى ذلك النهار...فضلت الصمت بالتبعية انصاتا لصمتها...آثرت السكوت بالتبعية استماعا لسكوتها...لكنه الملل الذى بلغ بى مبلغه حينها فسألتها عما أصاب لسانها من الثقل مانعا اياها من الحديث وحارما اياى من الاستماع...استفسرت عما أحاط ابتسامتها من القيود باخلا عليها بالسرور وباخلا علىَّ بذلك الشعور الجميل حين أراها تبتسم...لم أجد من أجوبة الأسئلة الا ما ظننته مقنعا لذلك الصغير الجالس أمامها...لم أفز من ردود الاستفسارات الا ما حسبته كافيا لاطلاق العنان لاطمئنان ذلك الفتى الحالم بغد أفضل الى جوار أمه...اقتربت آخر المحطات ورأيتها قد فطنت الى قرب انتهاء خط السير وكأنها قد رادت قول شئ حينها...لم أكن على علم بفحواه...تمنيت لو كان لى أن أظفر من رحلتى معها ببعض من حديثها الذى اعتادت على حلاوته مسامعى...شعرت بحديث جمعها بنفسها...كأنها أرادت الافصاح عنه ومنعها أمر ما...رغبت فى الكلام وحجبها شئ ما...اجتهدت فى معرفة هذا الشئ وذاك الأمر بلا جدوى...مُنعت وحُجبت تلك الكلمات التى مازالت صورة شفتيها المترددتين فى نطقها عالقة فى ذهنى حتى اليوم...ها قد وصلنا لنهاية المقصد فانصرفنا سويا ويدى الصغيرة تحتضنها يدها الشابة...ظللت متابعا تلك المشاهد الثابتة اخيرا على مشهد واحد عبر النوافذ فى طرقات القطار...اناس عديدون سائرون فى ضجة وعشوائية الى مقاصد مختلفة ونحن بينهم سائران مع السائرين حتى نبنا فى خليطهم...ها قد انقضت السنون سريعا ولم أسافر بعدها ابدا عبر قطار...لكنى وان فعلت حتى منات المراتفلن انسى ما حييت ذلك القطار ورحلته...ذلك القطار الذى كان نهاية مرحلة شاقة...وبداية أخرى أكثر شقاء.

بدأت دموع(وحيد) فى الانحدار شينا فشينا على وجهه الذى ظل متعلقا بالمشهد عبر النافذة عن يمينه...تراه لم يفطن حتى لانسيابها تبلل خديه وهو المنهمك فى ذكرياته تلك...حتى كانت يد ابن عمه المبادرة الى مسحها قائلا:

-لا عليك يا (وحيد)...لا عليك يا صديقى...انتهى كل شئ الآن وبات كل ذلك كتابا مغلقا فى رفوف ماضيك...أنت الآن بصحبة اناس يحبونك وتحبهم...يخافون عليك وتخاف عليهم...انتهت فصول عمك وزوجته و(سيد الساعى) ورجاله الى غير رجعة....دعنا الأن نسطر السار من جديد الفصول ونخط السعيد من قادم الأحداث...مازالت أقلام سعيك عامرة بأحبارها وصحف مجهودك زاخرة بسطورها يا عزيزى.

-أصبت يابن عمى...أصبت...رحم الله أمى ووفقنى واياك فى قادم الأعمال

وصل الجميع الى منشودهم أخيرا...آه انها شوارع الأسكندرية من جديد...هكذا حدَّث (وحيد) نفسه كأنه بها قد تركها بالأمس...تغيير ليس بالجوهرى...فقط بعض التعديل فى شوارعها ومبانيها مما قضى به تتابع الأعوام...نفس الحال كان حال ذلك البيت العائد اليه أهله بعد سنوات من الغياب...نهاية ليوم قادته المشقة منذ مهده...ساده العناء منذ بدايته...عيون طغى عليها النعاس فاستترت داخل مساكنها من الجفون الا قليلا...أيادى ليست فى وضع انقباض أو انبساط...انما هى بين الحالين فى تلك الحركة المنتظمة مع اقدام سائرة فى هدوء...شفاه غير قادرة على نطق المفهوم من الكلام الا فى رد مختصر لتسؤلات بعضها لبعض...هى اذن تلك الهينات التى كان عنوانها الرغبة الأكيدة فى الخلود لنوم طويل...لم يكن (وحيد) بالأحسن حالا

الا أنه من جديد عاد غارقا فى تأملاته وذكرياته التى أنسته نعاسه الشديد...صعدت قدماه اللتان لا زالتا تعرفان طريقيهما على ذلك الدرج القديم...ها قد صعدتا أولى الدرجات فى تعاون مع يدين استندتا الى سور السلم المتوسط الطول...ما زالت اذناه تنعمان بذلك القدر البسيط من الطاقة اسعفها لسماع صوت معتاد لاحتكاك حذائه بدرجات السلم...لحظات فاصلة ساكنة بين كل خطوة وأختها...انتبه لذلك الصوت وكأنه لم يعهده قبل ذلك وهو المألوف لمسامعه...خطوتين على هذا الدرج اعتادها أربعة لقدميه وقدمى أمه قبل أكثر من عشرين عاما...الفها مصحوبة بذلك الحديث الباسم بينهما...باتت الخطوات الأربع خطوتين وانقطع الحديث الى غير عودة...افتقدت الدرجات امه كما افتقدها هو...كم هى دوارة تلك الأيام...كل درجة من درجات ذلك السلم لا زالت تحتفظ بأثر أقدامها عليها...لا زالت على عهدها بالاحتفاظ بما كان بينها وبين امه من اسرار الحديث بين احضانها...يظنها محتفظة بذكرى يوم الرحيل بين احجارها...أحس بها مشفقة عليه مع كل خطوة يخطوها على سطحها منذ تلك اللحظة قديما حين غادرا.

عاد (وحيد) الى واقعه مجددا من رحلة شروده القصيرة تلك...عاد الى ارهاق يوم طويل من السفر...الى تلك الوقفة على درجات سلمه وقد بات هذا اليوم البعيد صفحة قديمة غير مهملة فى كتاب مذكراته الآن...عاود صعوده من جديد ولا زالت فى مخيلته أحداث ذلك الماضى القريب فى منزل خاله حين فارق من جمعته بها درجات ذلك السلم فى سنوات طفولته.

استوقفه مجددا صوت ابن عمه القائل:

-هل ذكرتك بالماضى تلك الدرجات؟...أرى معك كل الحق فلم تختلف كثيرا عن السابق

ابتسم (وحيد) وأطرق رأسه قليلا قبل أن يرفعها قائلا:

-بل لم أنسها من الاساس يا (حسام)...ظلت رفيقة ذاكرتى أكثر من عقدين.

قالها ثم عاودا الصعود وسط ابتسامات الجميع بعد ذلك الحوار القصير.

ايام انقضت ب(وحيد) وأسرته باتوا فيها اعضاء عائلة واحدة مع اسرة (حسام) بعد أن جمعتهم جميعا صداقة أخذت اركانها تتوطد بمرور الأحيان...

التحق (وحيد) بالعمل كمدرس بأحد مدارس الأسكندرية وظل بها عدة شهور تسير به حياته هادئة المنوال سعيدة الأيام حتى تلك الليلة فى منتصف تاسع شهور عام ١٩٧٢ التى استدعى فيها زوجته لحديث هام...لبت (أمل) بالطبع نداء زوجها كما هى العادة...اعتراها بعض القلق من ذلك الاستدعاء غير المعتاد من زوجها...غير انها على اى حال لم تملك الا استماعا للمقال بكل اهتمام

بادرها (وحيد) قائلا:

-تعلمين يا (أمل) انى ابن لرجل دفع حياته شهيدا على يد عدو غادر كما هو الحال بالنسبة لكى...ذلك العدو الذى اتى بعد ذلك على ما تبقى من عائلتنا من ابناء خالى...موت ابى كان بكل تأكيد حجر الزاوية الذى غير مجرى حياتى وحياة امى بالكامل الى واقع عسير نال منى ومنها

الكثير...ثأرى لم يكن يوما مع (سيد الساعى) أو مع عمى أو حتى مع زوجته...ثأرى كان مع من أوصلنى لأكون تحت سطوة هؤلاء عندما مات أبى...ثأرى مع ذلك الجندى اليهودى الذى اطلق رصاصته التى سارعت بانهاء آخر اللحظات فى حياة ابى...ثأرى مع قيادته التى بأمرها أطلق رصاصته اللعينة تلك...كما هو حال آلاف المصريين مع آلاف الجنود الصهاينة.

-انا على علم بذلك كله يا (وحيد)...اضافة الى وصية امك باسترداد حقك وحق أبيك وحق ابناء خالك...لكن ماذا تنتوى فعله؟

-سأتطوع بالجيش المصرى...فحرب الاستنزاف بدأت منذ عامين تقريبا...وانى والله لأرى معركة التحرير قد بات وقوعها وشيكا.

-ماذا؟...تتطوع فى الجيش؟

-نعم...اتطوع فى الجيش...مالى اراكى قد تغيرت معالم وجهك الى الاعتراض هكذا؟

-ليس اعتراضا بالطبع...هو فقط ذلك الخوف الطبيعى يا عزيزى...فما لنا بعد الله سواك.

-أعلم يا (أمل)...أعلم...لكنه الجهاد يا عزيزتى وما أظنك تبخلين على زوجك بخير.

قالها باسما يمسح خدى زوجته الذين بللتهما بعض دموعها الى ان رفعت رأسها المطأطأ شينا فشينا قائلة فى ابتسام:

-والله لا أكون بمانعة زوجى عن الجهاد ابدا...انها رسالة وطنك...وصية امك...وثأر أبيك...وما بين الرسالة والوصية والثأر يبقى دافع الجهاد فى سبيل الله تاج الدوافع ودرة الرغبات...اذهب يا (أبا عمر) ولا تقلق علينا...فلنا الله الذى لن يرد دعواتنا بكل تأكيد ان شاء الله.

كلمات أمطرها سحاب لسان زوجة صالحة وتلقتها سهول مسامع زوج مجاهد...لم يعد أمام (وحيد) من الحواجز ما يحول بينه وبين التطوع فى الجيش المصرى من شئ خاصة بعد تشجيع ابن عمه له وطمأنته على التكفل بأسرته حتى عودته سالما كما تمنى وتمنى الجميع.

جهز (وحيد) نفسه لمهمته التى أعدَّ نفسه وأعدته لها أمه طويلا...ودَّع الجميع وآخرهم ابن عمه وأخيه وصديقه (حسام) الذى احتضنه بشدة قبل ان يناوله خاتم فضى قديم قائلا:

-خذ هذا واحتفظ به يا (وحيد)

-لله درُّك يا (حسام) أما زلت تحتفظ به الى اليوم؟

رفع (حسام) كفه يرتدى مثله باسما قبل أن يقول:

-بل لا زلت أحتفظ بالخاتمين يا صديقى...لا زلت ذاكرا ذلك اليوم قديما حين اشتريناهما أطفالا.

لم يملك (وحيد) غير ابتسامة عريضة ارتسمت على وجهه قبل أن يزين يده بالخاتم ويقترب من ابن عمه محتضنا اياه بشدة قابلها (حسام) بشدة أقوى...تركه وحمل بين كفيه ولده

الصغير...احتضنه بشدة وطبع على جبهته قبلة حارة طويلة ذكرته بتلك المطبوعة على جبهته صغيرا حين رحل ابوه مجاهدا...قبلة قبّلها (وحيد) لصغيره (عمر) ممزوجة بدموع آخذة فى التزايد منبتها الخوف من كون تلك القبلة آخر قبلاته لولده الناشئ وان غلب ذلك الصغير رجاء بكون مصير قبلة أبيه له غير مصير قبلة جده لأبيه فى نفس الموقف قبل خمسة وعشرين عاما.

أيام قلائل كانت كفيلة لالتحاق (وحيد) بالخدمة العسكرية...قضى ما يقارب الشهرين فى تدريبات الجيش المعتادة مكونا صداقات جديدة مع غيره من المتطوعين...صداقة اعمق من ان تنهيها أزمات أو يقتلها فراق...ولم لا ولم يجمعهم الا هدف واحد اجتمعوا عليه من أنحاء شتى وغاية واحدة اتفقوا عليها رغم اختلاف الهويات...وما بين تشتت الانحاء واجتماع الهدف...ما بين توحد الغاية واختلاف الهويات...يبقى الشاهد فى اصالة شعب لم تكسره هزيمة ولم تفت فى عضده انتكاسة

شخص واحد من بين المتطوعين كان غريب الأطوار الى حد ما...ابتسامة متكلفة حين يضحك الجميع...انصات بالأذن دون العقل حين يتكلم الجميع...بل وانفراد بنفسه فى اغلب الاحيان عن الجميع...قارئ لخطابات من اهله مرارا ولا تراه كاتبا يوما خطابا مثلها...لم يعبأ به المحيطون كثيرا باستثناء (وحيد) الذى اقترب منه ذات ليلة بقوله:

-هل لى ان اجالسك قليلا يا (على)؟

انتبه (على) ذلك المنعزل القارئ لأحد خطاباته المعتادة الى كلمات (وحيد) فأفاق من شروده مبتسما بقوله:

-بالتأكيد يا صديقى...تفضل

-منذ جمعتنا الأقدار هنا وأنت تفضل وحدتك تلك باستمرار بدلا من الحديث معنا...هل أغضبك أحدنا فى شئ؟

-بالتأكيد لا يا (وحيد)...فما لمثل هذا كان اجتماعنا ها هنا...لم نجتمع لنغضب من بعضنا أو يسخط بعضنا على بعض...حق على الجميع ادخار الغضب والسخط ليُصب على رأس عدو واحد اجتمعنا لقتاله.

-ما خطبك انن؟...اراك ويراك الجميع لا تود مجالسة أحد طوال الفترة الماضية

-ليس موقفا معاديا بالطبع...انما هى عادتى منذ سنوات

-تقول منذ سنوات...ولم تقل عادتى فقط...أى انها عادة مكتسبة...وكل مكتسب من العادات ببعض الارادة يسهل التخلص منه.

ابتسم (على) من فطنة صاحبه قبل أن يقول:

-أضحك الله سنك يا صديقى...لله در فصاحتك...أنت محق على أية حال...هى عادة اكتسبتها منذ رحيل والدى منذ عدة سنوات وما زلت أسيرا لها حتى اليوم.

-الآن فهمت...هل تعلم يا (على)...لقد مررت بنفس موقفك هذا قديما...لكنى ومع حزنى الذى بلغ حد الانهيار لم أكن يوما فريسة الوحدة كما انت الآن...الوحدة أصعب من أن يتحملها انسان طيلة حياته يا صديقى...سجنها الموحش أظلم من أن يسكنه بشرى حتى نهاية أيامه...قم يا (على) وجالسنا...جالس اخوانك المشاركين لك فى معركة التحرير باذن الله...

ابتسم (على) لكلمات صديقه الجديد ولبى دعوته على رحب مندمجا فى حديث كل ليلة الجامع لهؤلاء الاخوة المجاهدين.

عدة شهور مرت على ذلك الحديث الذى تبعه توطيد شديد فى علاقة جمعت الصديقين ومتانة فى صداقة ضمتهما بين أحضانها.

بدأت صداقات (على) تتشعب شيئا فشيئا...ترك الى حد كبير ما كان فيه من عزلته وبدأ فى الانخراط مع المحيطين فى أحاديث أغلبها عن الحرب المنتظرة...أحاديث حائرة بين امنيات بالنصر ورغبات فى الشهادة...وما بين الامنيات والرغبات بات التصاعد فى منحنى الأخوة بينهم هو السمة الغالبة على علاقة دامت شهور.

استمرت صداقة (وحيد) و (على) فى التزايد حتى بلغت من العمق مبلغها واستمرت كذلك حتى تلك اللسلة الخالدة فى تاريخ مصر...بل وفى تاريخ الأمة الاسلامية بأكملها...الجميع نيام كعادة السابق من الأيام بعد يوم شاق ما عدا ذلك الجالس وحيدا تتابع عيناه الدامعتان واحدا من خطاباته التى اعتاد على قراءتها منفردا...انتهى من قراءته قبل أن يمزقه تمزيقا وقد علا صوته قليلا حتى أجهش بالبكاء...لم يفطن لذلك الوجه المتابع له من بعيد متعجبا من دافع التمزيق تارة ومن سبب البكاء تارة أخرى...اقترب منه (وحيد) ذلك الذى ايقظه بكاء صديقه...ضم رأسه الباكى الى صدره تمسح يداه على مؤخرة رأسه فى حنان كأنه الأم بوليدها...سأله مستغربا عن سبب ما هو فيه وعن طبيعة تلك الخطابات التى تتوالى عليه من حين لآخر ما ان يقرأها حتى تكاد أحزانه تقتله هكذا

فما كان من (على) الا أن رفع رأسه طالبا من (وحيد) الجلوس واستماعه قبل أن يستطرد قائلا بعد تلبية صديقه لطلبه:

-تعلم يا صديقى مقدار الحب الذى يسكن فؤادى تجاهك طيلة الفترة الماضية التى قاربت على العام

-بلى يا عزيزى وهو نفس شعورى تجاهك ان لم يزد

-هل رأيت منى يوما ما اساءك يا (وحيد)؟

-بالطبع لا...ولكن لماذا هذه الأسئلة وما علاقة ما بيننا من أخوة بما أنت فيه الآن...أفصح أكثر يا صديقى فلست بالفاهم شيئا

-كل ما أود قوله يا (وحيد) أنى لست بالمسؤول عن أى شئ أصابك أو يصيبك أو سيصيبك...لست بالمسؤول عن الماضى أو المتابع للحاضر أو المدبر للقادم فى المستقبل...فما كنت لأخون صداقتنا ما حييت مهما كان الدافع.

fb.com/Book.juice

عقد (وحيد) حاجبيه تعجبا من أقوال صاحبه قائلا:

-ما زال كلامك مبهما يا (على)...الا تفصح أكثر.

-لا فائدة من الافصاح...فقط دع الأيام تفهمك ما عجزت عن فهمه الآن.

قالها وانصرف يغسل وجهه واضعا حد النهاية لحوار مبهم لم يفهم منه (وحيد) شيئا...ظل التعجب هو الرداء الذى ارتداه طيلة ليلته تلك...زل مفكرا فى كلام صديقه فلم يغمض له جفن حتى خيوط الفجر الأولى...كلمات لم يجد لها بابا يدخله ليفهم ما تحتويه...لم يفز منها بمرآة يرى بها ما تخفيه...فظل حتى وقت السحور تائها بين دروب الحيرة حتى شغله ما هو أهم...داهمه النعاس لبرهة قليلة كانت لها فى نفسه أكبر الأثر...رأى فيها تلك السيدة الباسمة ذات الوجه البشوش الذى اعتاد على كلماته

-أمى؟

-لكم طال اشتياقى لك يا (وحيد)

-بل أنا الذى علت قمم شوقى لمرآكى بشدة يا أماه

-أراك فى رداء الجهاد كأنك قطعة من أبيك رحمه الله...لا زلت ذاكرة يوم رحيله وأنت بين أحضانه يقبّلك...مضى وقت طويل وأعادتك أقدارك الى حلبة الجهاد ولكن فى ميدان مختلف غير ذلك الذى اعتدت عليه فى صراعاتك مع الأيام.

-هو ثأر أبى ووصيتك يا عزيزتى...طالما انتظرت هذا اليوم منذ كنت طفلا...وها قد أنعمت علىَّ الأيام أخيرا بشئ مما تمنيت.

-أنت على طريق الصواب يا بنى...الآن فقط أشعر بأنى لم أضيع مجهود سنوات هباء...كن على يقين أنك فى جانب الصواب ولا تحد عنه يا (وحيد)...كن دوما مستفتيا قلبك قبل أى خطوة أرادت أقدامك أن تخطوها...

-والله يا أمى ان كلماتك تلك لا تزيدنى الا حسرة على فراقك...كم أفتقدك وأفتقد وصاياك تلك...كانت نبراسى فى حياتى الذى ما زلت أهتدى بالساطع من أنواره حتى اليوم.

-هو أمر الله يا بنى الذى لا مفر منه...كلنا راحلون الى حياة ينعم فيها المكافحون من أمثالك وأمثال والديك...تبقى أمر أخير يا (وحيد) جئت فقط لأنبهك له.

-ما هو يا أمى؟

-كن على علم دوما يا بنى أن طائرك تائه لا مذبوح...

-ماذا؟...لا أفهم ما تقصدين يا أمى

- لا عليك مما أقصد كثيرا يا عزيزى...استمع فقط لنصائح أمك ولا تكن مجادلا كما تركتك فى دنياها...ليست الأحلام والرؤى للتفسير يا عزيزى...هى فقط اشارات منَّ الله بها على بعض

من عباده الجديرين بانارة طريق الصواب أمام أعينهم....طائرك تانه لا مذبوح يا (وحيد)...كن دوما ذاكرا كلماتى تلك...طائرك تانه لا مذبوح يا بنى...طائرك تانه لا مذبوح...

ظلت ترددها حتى اختفت عن ناظريه وعيناه متعلقتان بها تانهتان بين التعجب مما وصّته به تارة...وأمنيته بتواصل الحديث مع تلك التى افتقد الحكيم من كلماتها تارة أخرى حتى أفاق أخيرا من غفلته وهو لا يزال بين الشعورين متخبطا.

كان صباحا مختلفا عن سابقيه...شمس حملت لأبناء مصر الحرية بين أشعتها...اشراق ضم لأخلاء النيل الخلاص بين نسماته...لم تكن صبيحة السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ تلك الصبيحة الاعتيادية ليوم اعتيادى فى شهرين اعتياديين لعام اعتيادى...صبيحة كانت كوميض ليوم كان كلؤلؤة فى شهرين كانا كتاجين لعام كان الحلية الأهم لتلك الأمة الحسناء فى تاريخها الحديث...عبور بقى فى أرفف التاريخ كتاب الصدارة...ظل فى مدائن الخلود قصرا للشموخ... مشاهد باتت أية الاعجاز التى تمثلت على رمال سيناء...ليث مصرى يفترس كلبا صهيونى...صقر يحمل شارة ابناء العروبة يفتك بعصفور يهودى...افتراس الأسود للكلاب كان العادة التى الفتها معارك الطرفين...فتك الصقور بالعصافير كان المنطق الذى اعتادته حروب الجيشين...كان (وحيد) و (على) بالطبع ليثين فى كتيبة الأسود...جارحين فى كتيبة الصقور...لم ينفصلا عن بعضهما لحظة وكأنهما الجسد الواحد...امتلأت جيوبهما برمال سيناء...تلك الرمال التى افتقدتها عيون المصريين وقلوب العرب سنوات...بدت على جباههما وجباه اخوانهم تلك الجداول من عرق الصانمين المجاهدين...الى ان اختلط عرق (على) بدمائه أخيرا فسقط شهيدا بين يدى صديقه الذى كان اختلاط عرقه بدموعه على استشهاد صديقه...سحبه الى مخبأ بعيد عن رحى القتال...لم يكن هناك وقت للتحسر أو البكاء أو الحزن...المعركة على أشدها والأرض تتكشف عن نيران...انطلق (وحيد) آخذا بثأر صديقه الراحل لتوه...صال وجال فى ميدان المعركة بطلا كأبيه...عناء سنوات عاشها تجمعت داخله أعوام وحان الوقت لاخراجه...بركان من الغضب ظل يغلى داخله أعوام وحان الوقت لانفجاره...استمرت الساعات به مناضلا حتى تلك الرصاصة التى أصابته فسقط لتوه فاقدا للوعى...

fb.com/Book.juice

أيام بعد ذلك قضاها (وحيد) فى غيبوبة كاملة بعدما تم نقله الى المستشفى بعدما كان على ذلك الخط الفاصل بين الحياة والموت أفاق ليجد ذلك الطبيب بهيئته المعتادة ذات الرداء الأبيض والسماعة الطبية فى اذنيه سائلا ذلك السؤال المعتاد:

-أين أنا؟...وماذا حدث؟

جاء الرد من ذلك الفم المبتسم:

-حمدا لله على سلامتك يا بطل...كاد عنقك يتزين بقلادة الشهادة لولا أنه من الواضح أن فى طريق حياتك خطوات ما زال عليك أن تخطوها

-الحمد لله يا سيدى...أنا شاكر لك لانقاذ حياتى.

-بل وجب على شعب العروبة كله شكرك وشكر ابناء أكتوبر يا رجل...

اكتفى (وحيد) بالابتسامة الدالة على امتنان جم من ثناء الطبيب قبل أن يستطرد ذلك الأخير حديثه وقد جلس على كرسى بجانب سريره:

-هل لى أن أجالسك قليلا يا (وحيد)؟...فقد أنهيت عمل اليوم وكنت أنت آخر المرضى الذين أطمأن عليهم

-بالطبع يا سيدى بكل سرور

-هل لك أن تحادثنى عن نفسك قليلا؟...من باب الصداقة ليس أكثر...من أين أنت؟

-أنا من الأسكندرية...قضيت أغلب سنوات عمرى فى القاهرة...لكنى الآن أعيش من جديد الى جوار اسرتى بالأسكندرية

-أسرتك؟

-نعم يا سيدى...هل من شئ غريب فيما أقول؟

-ظننتك تعيش بمفردك يا (وحيد)...فى استفساراتنا عن اسماء الشهداء والجرحى علمنا أنك تقطن بالأسكندرية بالفعل...لكننا لم نستدل على أحد فى العنوان المدرج فى بياناتك!!

-ماذا؟...لابد أن هناك خطأ ما

-محتمل...قد يكون بالفعل هناك تشابه أسماء أو ما شابه...على كل حال هناك شخص يسأل عنك بشكل شبه يومى...أظنه على وشك الحضور بعد قليل...يجئ يوميا فى مثل هذا التوقيت...قد تجد لديه ضالتك.

-لابد وأنه (حسام) ابن عمى وأقرب اصدقائى الىّ

-فى الحقيقة لا أعرف اسمه...

قالها قبل أن يتعلق نظره بذلك القادم من ناحية الباب وقد أشار اليه قائلا:

-ها قد جاء على كل حال هناك

التفت (وحيد) الى حيث يشير الطبيب ليجد ذلك الرجل الشارع فى منتصف العشرينيات...وجه أسمر رفيع كجسده...نظارة صغيرة لا تتخيل وجهه بدونها...شعر اسود طويل غير منتظم التصفيف...صورة لشخص لم يره (وحيد) قبل لحظته تلك...شاب أفكاره الكثير من العجب من سؤال ذلك الشخص غريب الأطوار عنه وهو الذى لم تره عيناه قبل ذلك اليوم...

اقترب من (وحيد) باسما كأنه يعرفه منذ سنوات قبل أن يتركهما الطبيب وحدهما...ألقى السلام ثم تبعه بقوله:

fb.com/Book.juice

-كيف حالك الآن يا (وحيد)؟

أجاب (وحيد) ذلك الجريح الذى ما زال فى فرش التعجب متقلبا برد مختصر غلبت عليه كلمات الدهشة:

-بخير خال والحمد لله

-الحمد لله ان كنت حليف السلامة يا عزيزى

-سلمك الله من كل سوء...لكن...اعذرنى...هل لى بسؤال؟

ابتسم الرجل تلك الابتسامة العريضة لشخص فهم سؤال مخاطبه قبل القاءه وقد أغمض عينيه يظل بهما ابتسامته قائلا:

-أعرف سؤالك...تريد أن تعرف من أنا...من الذى تابعك بالسؤال طيلة الفترة الماضية...اليس كذلك؟

أومأ (وحيد) برأسه قائلا:

-هو كذلك بالفعل...وهذا بالطبع لا يقلل من امتنانى لاهتمامك بحالى واعتزازى بسؤالك عن اصابتى

-لا عليك...أنا (جمال)

ابتسم (وحيد) قائلا:

-عذرا يا سيد (جمال)...لكن اجابتك لم تفى بالغرض تماما...يحزننى أن أخبرك أنى لم أعرف يوما شخصا بهذا الاسم...اعذرنى يا صديقى فليس الأسم بالمعتاد على مسامعى فى حقيقة الأمر.

ابتسم ذلك الغريب يقابل استفسار (وحيد) بقوله:

-أعلم ذلك...هى فقط البداية...لابد أولا من اخبارك باسمى قبل صلتى بك...أنا يا عزيزى (جمال) شقيق صديقك الشهيد (على)

طأطأ (وحيد) رأسه فى حزن عميق أوشك على اقتلاع دموعه من مقلتيه بعدما عاودته ذكرى صديقه الذى لم ولن ينسى ذكراه قبل أن يقول:

-رحمه الله...رغم معرفتى القصيرة به الا انه كان نعم الصديق وخير الرفيق...هنيئا له بالشهادة

صمت حينا ثم استطرد كأنه قد تذكر شيئا:

-لكن (على) لم يخبرنى قط أن له أخا

fb.com/BookJuice

-لعل الفرصة لم تسنح لذلك يا صديقى...اضافة لكون (على) قليل الحديث عن نفسه وعما يتعلق به

-أنت محق فى هذا بالفعل...لم يحدثنى تقريبا عن عائلته...فقط بعض كلمات عابرة عن أبيكما الذى رحل وتأثير ذلك المدمر عليه.

-ايه يا (وحيد)...كم هى حزينة تلك الأيام التى تلت رحيل أبينا...كان أرحم من رأيت ورأى أخى (على)...اعذره فى حزنه عليه فلم يكن ليجد كما لم أكن لأجد بديلا لحنانه حتى فى عطف الأمهات.

-ليرحمه الله رحمة واسعة يا (جمال) ويبدلك بمشيئة الله حياة سعيدة تعوض فيها ما فاتك من قسوة الأيام

ابتسم (جمال) من كلام (وحيد) قائلا:

-أنت اذن كما حدثنى عنك أخى

بادله (وحيد) بنفس الابتسامة قائلا:

-وماذا قال لك؟

-كلام لا تسعه جلستنا تلك...لكنه بالطبع لك لا عليك فى جميع الأحيان.

-يبدو أنك لا تختلف كثيرا عن أخيك يا (جمال)...لقد ارتاح قلبى للقاءك كثيرا...فمن الواضح من اهتمامك بصديق أخيك الذى لم تعرفه الا بعد وفاته أنك من معدن آدمى غير متواجد فى أيامنا تلك كثيرا.

-هى قيمنا التى تعلمناها يا صديقى...صداقة الأوفياء لا تعوض

-أنت محق فى ذلك تماما...ذلك هو منهاجى الدائم منذ كنت طفلا...هل لى أن أستغل تلك الصداقة الناشئة فى طلب صغير يا (جمال)؟

-بالطبع يا (وحيد) تفضل...على الرحب والسعة.

-أريد منك الذهاب الى منزلى فى الأسكندرية لطمأنة أهلى على حالى فقلقى عليهم بلغ منى مبلغه...فقد أخبرنى الطبيب أن أحدا منهم لم يسأل علىّ...وهذا بالتأكيد شئ ليس بالطبيعى أو المنتظر

أشاح (جمال) بوجهه وكأنه الخافى لحقيقة ما...لحظته عينا (وحيد) بالتأكيد...تلك الملاحظة التى أتبعها بسؤاله:

-هل من شئ فى كلامى يا صديقى؟

رفع وجهه قائلا:

fb.com/Book.juice

-لقد ذهبت بالفعل يا (وحيد)...لم أكن لأنتظر طلبك هذا.

انفرجت أسارير (وحيد) وقد أحس بشئ من الطمأنينة كست وجهه بابتسامة عريضة قبل أن يقول:

-الحمد لله...كم أسعدتنى يا صديقى...كنت قبل مجيئك أضرب أخماسا فى أسداس بعد كلام الطبيب معى...قال لى كلاما عجيبا لم أفهم له معنى...لكنه بات سرابا الآن والحمد لله.

-ماذا قال لك؟

-قال انه لم يستدل على أحد من أهلى فى هذا العنوان أو شئ من هذا القبيل...لكنه تراجع بعض الشئ متعللا بوجود خطأ ما.

صمت (جمال) قليلا قبل أن يصيح بصوت سبقه زفير طويل:

-هو محق بكل أسف يا صديقى...ليس فى الأمر أخطاء...فما قاله كان الحقيقة الكاملة ولا شئ سواها.

بات أمر (وحيد) مثيرا للدهشة الى حد كبير...وبخاصة من ذلك الطبيب المعالج الذى ملأ عليه هذا المصاب تفكيره تماما...تركه مع (جمال) وذهب يتابع عمله شاردا فى موقفه الغريب حتى جاءه مساعده الملاحظ لشروده متسائلا:

-أراك على غير عادتك من التفكير فى شئ ما يا سيدى

انتبه من تفكيره العميق على صوت مخاطبه قائلا:

-أنت محق يا (حسن)...يشغلن أمر هذا الجندى المصاب هناك

قالها يشير برأسه الى حيث يجلس (وحيد) و (جمال) فنظر اليهما ذلك المساعد قبل أن يعود مخاطبا اياه بقوله:

-تقصد (وحيد)؟

-هو بعينه

-وما الداعى للتفكير فى أمره؟...ليس الا مقاتلا مصابا نرعاه...هل لاحظت عليه شيئا يدعو للتفكير فيه هكذا يا سيدى؟

-قلت لى أنه بلا عائلة أليس كذلك؟

-بلى يا سيدى...هذا ما أوردته ما حصلنا عليه من معلومات عن المصابين والشهداء وأسرهم

-يا للجنون...أين تلك العائلة التى يتحدث عنها اذن؟...يتحدث عن وجودها بكل ثقة حتى أنه ذكر لى اسم ابن عمه

fb.com/Book.juice

-لعله بالفعل فرد فى عائلة فقدها قديما وكان للحرب تأثير على ذاكرته أو شئ كهذا

-لا أظن ذلك...فى الأمر شئ ما غامض لا نملك ايضاحا لابهامه...ومما زاد غموضه ذلك الزائر الذى يتردد عليه وهو لا يعرفه

-الأمر اذن له علاقة بذاكرته يا سيدى...هذا هو التفسير الوحيد

-أستبعد ذلك...فلا يبدو من حديثى معه أنه متأثر بشئ...اضافة الى كون الاصابة بعيدة كل البعد عن رأسه...

-ماذا ترى من أمره اذن يا حضرة الطبيب؟

-لا أعلم يا (حسن)...لا أعلم...لا أملك الا الانتظار على كل حال لرؤية ما ستسفر عنه الأحداث

كانت كلمات (جمال) ل(وحيد) ذات طابع مبهم يوحى باخفائه لحقيقة ما قد أراد حجبها عنه لولا ما رآه من اصرار (وحيد) على التوضيح حين قال:

-ماذا تقصد بمحق تلك؟...لا تساهم فى تنامى قلقى يا (جمال)...بالله عليك أفصح عما تريد قوله قبل أن أفقد عقلى

-البقاء لله يا صديقى!

-ماذا؟...فى من؟

-لقد مات كل أفراد أسرتك!

-ماذا تقول؟...هل جننت؟...لابد وأنك تهزى

-اهدأ يا (وحيد) حتى يتسنى لى أن أشرح لك...لقد ذهبت الى أهلك بعدما حصلت على العنوان من بياناتك...لم أجد فى البيت أحدا...فسألت عنهم صاحب ذلك المحل الصغير بجوار البيت...فأجابنى بأنهم رحلوا جميعا الى القاهرة لسبب غير معلوم مع نية بالعودة القريبة الا أن الأجل كان أسرع من عودتهم فرحلوا جميعا فى حادث سير...وعند ذهابى للمستشفى التى تم نقلهم اليها تأكدت من ذلك الكلام...وها هى... شهادات وفاتهم.

لم يملك (وحيد) ردا الا الانهيار التام لذلك الكلام الذى لا يعنى شيئا الا ابادة لآخر معانى الحياة التى بقيت آخر بذورها فى قلبه تنتظر الظروف المواتية للنمو...الا أن الحياة ابت أن تنعم عليه بتلك الظروف كعادتها...عاد وحيدا من جديد...تركه الجميع يصارع دنياه منفردا وهو المعتاد على صراعها مع شريك...رحل عنه كل من أحب وهو المعتاد على وجود حبيب...رحل أبوه قديما ولم يع ليعيش طفلا يتيما فاقدا أول من تعلق به قلبه...وبعدها بخمسة وعشرين عاما رحل هو لنفس الحرب وعاد مكلوما فاقدا آخر من تعلق به نفس القلب...وما بين الحربين قد عاش سنوات قاوم فيها كل ما يمكن لزمان أن يعيق به أحد السائرين فى طريقه...يبدو أن سنوات المقاومة لم تنته بعد لكنه سيعيشها منفردا على غير ما اعتاد وألف...ها هى شجرة

أحبابه مستمرة فى ذبولها...لا زالت أشد فروعها تنكسر...لا زالت أنضج ثمارها تعطب...لا زالت أزهى أوراقها تتساقط...وما بين انكسار الفروع وعطوبة الثمار وتساقط الأوراق يبقى صاحب الشجرة متابعا للانكسار بعينين أرهقتهما دموعهما...ناظرا للعطوبة بقلب أتعبه انفطاره...ومتعلقة نفسه بتساقط لأوراق هو على ثقة أن أيكته لن تضم مثلها مهما امتدت به سنوات المتابعة وشهور النظر وأيام التعلق.

ذهب (وحيد) فى فترة غير قصيرة من الانهيار أدت لفقدانه الوعى أياماقبل أن تستقر حالته ويخرج من المستشفى بصحبة (جمال) صديقه الجديد والأوحد الآن...اتجها الى بيت (وحيد)...ذلك الذى سأل ذلك الرجل صاحب المحل فلم يظفر منه بأكثر مما قاله له صديقه الذى أتبعه بقوله:

-(جمال)...أريد الذهاب الى تلك المستشفى التى تم نقلهم اليها بعد الحادث.

-لك ذلك يا صديقى ليس هناك من العوائق ما يمنع...لكن لماذا؟

-أريد الذهاب فقط...لا أعلم لماذا...لكنى أريد الذهاب

-كما تريد...لكنك لا زلت مريضا ولم تتعاف بعد...لتسترح الآن وفى الغد نفعل ما تبغاه

اقتنع (وحيد) بكلام صديقه وامتثل له فتركه (جمال) الى مسكنه مع وعد بعودته فى صباح اليوم التالى....

لم تغل عينا (وحيد) بطبيعة الحال...كل ركن من أركان المنزل ذكّره بعضو من أعضاء أسرته الراحلين....تعلقت عيناه الباكيتان بذلك المصباح المضئ فى سقف غرفته...رأى فيه ابتسامة ولده (عمر) الكاشفة عن ثغر طالما عشقه أبوه المكلوم...لا زال ذاكرا لهوه البرئ وبكاءه الأكثر براءة...نومه الهادئ وضحكه الأكثر هدوء...كان البسمة الأخيرة التى كان الحكم عليها بعمر أقصر كثيرا مما توقعه والده الحزين...تحولت عيناه من المصباح الى تلك الوردة الموضوعة على منضدة ضمتها حجرته...كثيرا ما اعتنت بها زوجته المتوفاة...رأى فى أوراقها اللامعة ابتسامة الرضا التى طالما عهدها منها ومن أمها...سنوات كانت الى جواره نعم الداعم وخير المساند...لم يشعر بالأمان الى جوار أحد بعد أمه مثلما كان شعوره نحوها...كانت بحق الأمل الذى أنعم به عليه زمانه ليعطى لحياته معنى ويضيف لمشواره هدف...وعن نظرته الأخيرة...فكانت لتلك الشرفة القديمة التى طالما جمعته بابن عمه (حسام)...أول أصدقاءه وأوفاهم...كم هى جميلة تلك الساعات التى جمعت سمرهم فى تلك الشرفة فى ليال افتقدها كلاهما...لم يكن لينال منها النسيان مهما امتدت به حياته فما لمثل تلك الذكريات أن تمحى وهى الأغلى بين كثير والأثمن بين عديد...كان المرآة التى يرى فيها نفسه...صديقان متماثلان متشابهان الى درجة كادت تبلغ حد التطابق...لكنه الموت الذى اختار لأحدهما اكمال الطريق وحيدا دون صديقه الصدوق.

مرت الساعات سريعة وكان (جمال) وفيا بوعده...ذهب الاثنان الى المستشفى وتأكد بالفعل من الاستعلامات أن هؤلاء الضحايا هم أصحاب شهادات الوفاة...كانوا بالفعل نزلاء فى حالة خطرة

رحلوا جميعا على أثرها...امتد سؤاله عن الطبيب المختص بحالاتهم فأخبره بأنه فى أجازة بعد عمل متواصل طيلة أيام الحرب...

هو الأمر الواقع اذن الذى سلَّم به واقتنع له (وحيد)...هى الوحدة التى باتت رفيقة دربه اذن...هو التفرد الذى بات صديق أيامه فى نهاية المطاف...

عاش أياما حالكة السواد بكل ما ضمت من اللحظات...مفكر تارة فى القادم...سابح أخرى فى الماضى...وهو بين التفكير والسباحة وحيد الأسم والحال...لم يجد له سلوى الا ذلك الصديق الجديد الذى وضعه الزمان فى طريقه رحمة به...لم يتخل عنه ولو للحظة...أقام معه فى بيته طوال أيام قانما على خدمته حتى عاد جزئيا الى بعض من حالته الطبيعية...حتى كان اقتراحه عليه قائلا:

-أرى أن تبيع ذلك البيت وتترك عملك كمدرس يا (وحيد)...ستنتقل معى الى بورسعيد وسأوفر لك العمل المناسب...فأنا أعمل فى التصدير والاستيراد تحت رئاسة رجل أعمال كبير يسمى (عزام)

تعجب (وحيد) من ذلك الاقتراح الذى عرضه صديقه قائلا:

-ولماذا يا صديقى؟...لا أرى سببا فى ذلك

-بل السبب موجود وبوضوح يا عزيزى...وجودك هنا بين تلك الجدران لن يسمح لك بالخروج من أحزانك...اضافة الى عدمحاجتك لبيت بكل هذا الحجم وأنت الوحيد الآن

ابتسم (وحيد) ابتسامة باهتة ناظرا للأسفل قبل أن يرفع نظره للأعلى قائلا:

-حسبتك أذكى من هذا يا عزيزى...وهل ينسينى تغيير المكان أعز من تعلق بهم قلبى؟؟

-بالتأكيد لا...لكن انتقالك لبيئة جديدة سيسهم بالتأكيد فى تغيير حالتك النفسية الى الأفضل...اضافة لكونك بجانبى وليس وحدك...استمع لكلامى يا صديقى فما غير صالحك أريد.

-لا بأس ببعض التفكير يا (جمال)...دعنى أرتب بعض أمورى وأفكر قليلا وليهدينى الله الى سواء السبيل.

ثلاثة أيام مضت على هذا الحديث قبل أن يقتنع (وحيد) تماما بما قاله صاحبه...باع البيت لستثمار ثمنه فى التجارة مع (جمال) وذلك الرجل (عزام) مع ادخار جزء بسيط منه لشراء شقة صغيرة له يحيا بين جدرانها...سافر (وحيد) مع صديقه تاركا ذلك البيت القديم لثانى المرات فى مشوار أيامه...تركه فى الأولى صغيرا بصحبة امه على أمل بالرجوع بعدما طرده عمه...وتركه فى الثانية كبيرا بصحبة صديقه بلا أمل فى العودة بعدما طردته أحزانه...هى حياة الترحال اذن التى يحياها ذلك المسكين...افتراق واجتماع...واجتماع وافتراق...لكن تبقى صلابة المفارق ووفاء المجتمع هما الداعمان لبقاء بنى أدم بين تلك الأمواج من افتراقه واجتماعه...

عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

هذا الكتاب حصرى على جروب عصير الكتب

انضم الينا لتحصل على كل ماهو جديد

follow me : facebook.com/OmaR.1.Bs

وصل (وحيد) و (جمال) الى بورسعيد وتم التعارف بين (وحيد) والسيد (عزام) بعدما حكى له (جمال) حكايته فرقّ له قلب الرجل كثيرا وعزم جادًا على مساعدته...وبالفعل بدأ (وحيد) العمل بما لديه من مال تحت اشراف (عزام) الذى كان له الدور الأكبر فى ارشاده لتنمية رأس ماله حتى بات فى فترة وجيزة الرجل المقرب له بجوار (جمال)

سنتان أو يزيد قليلا مرت على هذا الوضع و(وحيد) مستمر فى عمله الى جوار صديقه بمساعدة (عزام) ودعمه المستمر حتى ذلك اليوم الذى جمع فيه الحديث هذان الصديقان ليبدأ (وحيد) الكلام قائلا:

-أريد مشورتك فى أمر ما يا صديقى

-بالطبع يا (وحيد)...تفضل بالكلام أننا تنتظران لسانك

-أريد التقدم للزواج من (منى) ابنة السيد (عزام)

تردد (جمال) قليلا قبل أن يكمل حديثه:

-هل أنت جاد فيما تقول يا صديقى؟

-لو لم أكن جادا لما حادثتك

-الرأى ما تراه انن يا (وحيد)

-أراك لم تبد رأيا حتى الآن

-الرأى رأيك يا عزيزى...هى على كل حال نعم الابنة لنعم الرجل...ولا أظنها ترفض أو يرفض أبوها مثلك وهو الذى يعرفك عن قرب

-أعرف يا (جمال)...ولهذا عزمت على خطوتى تلك

-على بركة الله انن يا صديقى

عزم (وحيد) انن على التقدم للسيد (عزام) لخطبة ابنته...ذلك الذى وافق مبدئيا ثم طلب مهلة لأخذ رأى ابنته التى وافقت بعدما رأته من أمانة (وحيد) وطيب خلقه...وبالفعل ما هو الا شهر أو يزيد حتى تم الزواج السعيد الذى باركه الجميع

بدأ (وحيد) عهدا جديدا من النجاح دستوره الاخلاص فى العمل...قانونه دعم الأصدقاء...ومنهاجه أسرة قامت على الحب والمشاركة اكتمل عقدها بذلك الوليد الصغير (حسين)...ذلك الذى بات قرة عين أبيه وسواد مين أمه وبهجة قلب جده...استقرت حياته الآن الى حد كبير لم يتخيل الوصول اليه بتلك السرعة...عوّضه ولده (حسين) عن ولده (عمر) الذى لم يهنأ به كثيرا...وعوضته زوجته (منى) عن زوجته الراحلة (أمل)...أما (جمال) فمع عمق ما وصلت اليه صداقتهما الا أنه لم ينجح فى ملئ الفراغ الذى تركه فى حياته صديقه وابن عمه (حسام)...

fb.com/Book.juice

سنوات قاربت على الثلاث وحياة (وحيد) لا تحمل جديدا الا زيادة فى حجم تجارته بمشاركة حماه...ذلك الذى داهمه المرض بعض الشئ فأسند تجارته ل(وحيد) يقوم بها عن طريق توكيل رسمى...وفى احدى العمليات التجارية قام (وحيد) بالتوقيع على عقود استلام البضاعة لمرض السيد (عزام) وعدم قدرته على مباشرة العمل...صفقة أخشاب كان (جمال) هو الوسيط فيها وصلت لتوها ميناء بورسعيد وفى انتظارها (وحيد) و (بورى) ورجال السيد (عزام)...لم يكن هؤلاء فقط هم المنتظرون فى حقيقة الأمر...فوجئ الجميع بالشرطة تحاصر المكان بأكمله...وبسؤال (وحيد) عن السبب أجابه الضابط:

-هناك بلاغ من مجهول باحتواء تلك الشحنة من الأخشاب على كميات من المخدرات

-ماذا؟...لابد وأن فى الأمر خطأ ما يا حضرة الضابط

-سنرى على أية حال ان كان فى الأمر خطأ أم...لا

ثم أمر جنوده بتفتيش البضاعة بالكامل فكان له ما أراد...وبالفعل كان البلاغ من المجهول فى محله...كميات غير قليلة من المخدرات وُجدت بين تلك الأخشاب...ما دفع الضابط لمخاطبة (وحيد) ذلك المذهول قائلا:

-أظنك الآن أيقنت أنه لم يكن خطأ يا سيد (وحيد)

قالها ثم أمر رجالهباقتياد الجميع الى قسم الشرطة للتحقيق فى الواقعة وسط انهيار تام ل(وحيد) الذى بات يسيطر عليه شعور تام بأنه فى كابوس تمنى الاستيقاظ منه سريعا...وصمت تام ل(جمال) الذى بدا وكأنه غير عابئ بما حدث...وتيه لرجال (عزام) المرافقين لهما بين شفقة على انهيار (وحيد) وتعجب من صمت (جمال)...استمرت التحقيقات عدة أيام قضت بعدها المحكمة بسجن (وحيد) فقط عشرة أعوام...اذ كانت الصفقة باسمه كلية بعيدا عن (عزام)

كان يوم المحاكمة مشهودا لم تنسه ذاكرة (وحيد)...حضره السيد (عزام) رغم مرضه الى جوار ابنته وحفيده...اتجه بعد النطق بالحكم الى قفص الاتهام حيث يقف (وحيد) قائلا:

-لماذا؟...لماذا يا بنى غرك شيطانك بهذه الصورة المخزية؟...هل رأيت منى ما يدفعك لخيانة أمانتى يا (وحيد)؟...سامحك الله على ما فعلت...طالما حذنى منك صديقك (جمال) من طمعك وغرورك فى آخر الأعوام ولم أنصت لكلامه وها قد صدق تحذيره لى الآن...يشهد الله أنى لم أضمر لك شرا كما فعلت أنت...لكنها الأطماع التى قضت بخيانتك أمانتى

انتبه (وحيد) لتلك الكلمات من حماه قائلا فى استغراب:

-ماذا؟...(جمال)؟...(جمال) حذرك منى أنا؟

لم يجب (عزام)...بل انصرف فى بطئ تصاحبه دموع ابنته المتابعة لحوار زوجها وأبيها فى اشفاق على الاثنين...وتتبعه صرخات (وحيد):

-انتظر...انتظر يا سيد (عزام)...ليست الا وشاية انا برئ منها...عد وقل لى ماذا قال لك (جمال)...عد الى هنا

توسلات من (وحيد) لم تلقَ صدى لدى (عزام) الذى لم يعبأ بما قاله زوج ابنته فانصرف بعدما اقتاد حرس السجن (وحيد) الى حيث يقضى عقوبة هو برئ من ارتكاب ما استحقته من الذنوب.

بات أسير سجن لا يرى فيه الا فرش فوق بعضها لسجناء لا يملكون من الأردية الا ذلك الآزرق...مظاهر بدائية للعيش...امكانات شبه معدومة للحياة بين قضبان يمثل ما بينها الممر الوحيد لحياة الآدميين.

قضى أياما لا يشغله الا ربط لكلمات من هنا مع كلمات من هناك...كلها تصب فى منبع تساؤل واحد...تذكر الآن ذلك الاعتذار غير المبرر من صديقه (على) ليلة الحرب...ثم كلمات (عزام) له وقت وقوفه فى قفص الاتهام...أصبح على ثقة تامة الآن من أن (جمال) كان وراء ما حدث له...بل انه أيقن أنه يعرفه من قبل وليس عن طريق أخيه (على) وحسب كما زعم له!!

لكنه لم يجد دافعا واحدا مقنعا لما كان من صديقه الخائن وان أجهده الغوص فى ذكريات ماضيه علّه يجد لخيانة صديقه سببا مباشرا...ولكن...بلا جدوى.

أيقظته من غفوة تأملاته وشروده تلك صوت ذلك السجين القائل:

-أنت يا هذا...سيدى يريدك

رفع (وحيد) رأسه متعجبا من تلك الكلمات الغريبة ثم طأطأ رأسه من جديد غير عابئ بما قاله الرجل وكأنه لا يسمعه...فما كان من السجين الا أن وكزه بشدة قائلا:

-هل أنت أصم؟...أقول ان سيدى (سامى) يريدك

ما كاد يكمل كلمته تلك حتى باغتته يد (وحيد) بلكمة كادت تذهب بأسنانه...غير أنها أدمت فمه بشدة...ثم قام من جلسته ممسكا بتلابيب ثياب ذلك السجين بمنتهى القسوة قائلا بصوت حاد:

-وأنا أقول لك أنه لا سيد لى...أخبر سيدك بهذا وقل له وللجميع أنى أحذرهم من مجرد الاقتراب من شخص يدعى (وحيد)...

قالها ثم أرسله بشدة فسقط على الأرض وسط متابعة الجميع وعلى رأسهم ذلك الرجل فى ركن الزنزانة الذى التف حوله الأغلبية وكأنه زعيمهم...رجل كأنه الملك لا السجين...لي من ذلك النوع من الرجال ضخم الجثة...وجه حوى شاربا ثقيلا وحاجبين على شاكلته مما أضفى على ملمحه علامات الشر الذى أكدته تصرفاته منذ دخل ذلك السجن...جلس كالطاووس يتابع بعينين ثاقبتى النظر ما يحدث...قام من مكانه باتجاه (وحيد) فى مشية عنوانها الغرور وقوامها الخيلاء...اقترب منه واضعا يديه على كتفيه وناظرا اليه تلك النظرة لشخص مشرف على الشجار راغبا فيه قبل أن يقول:

-عمل جيد أيها السجين الجديد...أنت بطل اذن...شئ جميل

أدار وجهه ثوان ويداه ما زالت على كتف (وحيد) قبل أن يعيده الى مكانه ناظرا اليه من جديد وقد باغته بلكمة كادت تسقطه مغشيا عليه غير أنه استعاد عافيته سريعا ورد اللكمة بأعنف منها وسط ذهول الجميع...فليس من المعتاد أن يتعدى على (سامى) هذا أحد وان كانت ذبابة فى محيط السجن.

ما كاد (سامى) يتلقى تلك اللكمة حتى دارت معركة طاحنة بين الاثنين استمرت دقائق قبل أن يلتحم معهما الكثير من أنصار (سامى) ضد (وحيد) حتى أتاهم بقوة ذلك الصوت الجهورى الذى طغى على أصوات العراك قائلا:

-كفوا عن ايذاء ذلك الغريب قبل أن ينفذ صبرى عليكم

هدأت الجلبة شيئا فشيئا وتعلقت الأنظار بصاحب ذلك الصوت المرتفع...رجل نال من الطول قدرا وفيرا ومن المهابة قدرا أوفر...لولا رداءه الأزرق ومكانه الذى تواجد فيه لظننته صاحب منصب رفيع...أسمر البشرة فى هيئة غلبت عليها تلك اللمسة البارزة من الطيبة الأسوانية...شعر أكرد ملامح وبشدة لوجهه ذى العينين المتطلقتين بمشهد الشجار...بدأ الجميع العودة الى أماكنهم تدريجيا واحدا واحدا وآخرهم (سامى)...ذلك الذى ملئ الغيظ نظراته الى ذلك الرجل غريب الأطوار غير أنه لم يقو على التعرض له...ظل (وحيد) على الأرض لا يقوى تقريبا على الحراك...اقترب منه ذلك السجين ومد له يده يسنده ليقف على قدميه...نظر له (وحيد) نظرة امتنان قبل أن يخاطبه بقوله:

-أشكر لك المساعدة يا سيدى

-نلت بعض احترامى حين قلت قبل قليل أنه لا سيد لك...أما وقد قلت سيدى الآن...فأراك على وشك فقدان ما نلته.

نظر له (وحيد) صامتا لا يجد من الردود ما يناسب قوله الأخير ذاك حتى استطرد الرجل قائلا:

-اعتنى بنفسك أيها الغريب...اعتنى بنفسك وكن كما أنت لا تخشى أحدا

ثم تركه وانصرف الى حيث كان يجلس منفردا يتابع الأحداث...ظلت عينا (وحيد) ترمقه فى تعجب تام من ذلك الغموض الذى بدا أن وراءه من الأحداث ما تضيق باحتواءه الكتب.

مضى ذلك اليوم بلا جديد حتى نهايته...سأل (وحيد) عن ذلك الرجل الذى أنقذه من براثن من أرادوا الفتك به فلم يظفر باجابة شافية الا أنه أقدم النزلاء فى تلك الزنزانة...يفضل الجلوس وحده دائما...أجابه أحدهم:

-اسمه (عبد الله)...(عبد الله رمضان)...من أصل أسوانى كما أعلم...لكنه لم يظفر بصديق منا رغم أنه الأقدم هنا...كما أنه منذ جئت هذا السجن لم أرّ السجان يوما يناديه لزيارة أو ما شابه...هو رجل غريب الأطوار على كل حال...من الأفضل لك أن تتركه وشأنه.

لم يزد ذلك (وحيد) الا اصرارا على اكتشاف ما وراء عزلة ذلك الرجل...ذهب اليه فى مساء اليوم التالى...الجميع نيام الا هما...سكون رهيب أحاط أرجاء المكان الا من صوت قلم

رصاص أرسلته يد صاحبه الى أوراق بيضاء آملا فى لوحة تعبر عما يعانيه...اقترب (وحيد) حذرا من صاحب ذلك القلم وتلك الأوراق الذى كان بطبيعة الحال الرجل الذى أراد التعرف عليه...لم يكد يقترب منه حتى أخفى ما كان يرسمه قائلا وهو لم يلتفت حتى الا (وحيد) القادم من خلفه:

-ماذا تريد أيها الغريب؟

تعجب (وحيد) من فراسة الرجل الذى عرف هويته دون حتى أن يدير ظهره...تلعثم بعض الشئ قبل أن يقول:

-أردت...أردت فقط أن أشكرك

-أولم تفعلها بالأمس؟

-بلى...لكنها...لكنها زيادة فى امتنانى اليك ليس أكثر

-ألا تفصح عما تريد صراحة

-لا أريد الا أن اساعدك كما فعلت أنت معى لو استطيع

-فى ماذا؟

-فيما تريد

-هل قال لك أحدهم أنى بحاجة لمساعدة من أى نوع؟

-وحدتك وانعزالك يشيران لحاجتك لمن يساعدك فى شئ ما

-أولا تخشانى كما يفعلون؟

-وماذا عساه يكون دافع الخوف؟...لا أراك الا محتاجا لصديق لأتمنى أن يكون أنا

fb.com/Book.juice

-ما اسمك يا هذا؟

-يدعوننى (وحيد)

-اجلس يا (وحيد)

لبى (وحيد) الدعوة سريعا وقد شعر أن كثيرا من الحواجز بينه وبين ذلك الرجل قد كُسرت...

استطرد (عبد الله)كلامه قائلا:

-أتعلم لماذا تدخلت لصالحك يوم أمس يا (وحيد)؟

-أظنها شهامة..أو...أو شئ من هذا القبيل

ابتسم (عبد الله) قبل أن يجيب:

-بل لأنك الوحيد بين هؤلاء الملاعين الذى رفض أن يستغله أو يقمعه أحد

امتنَّ لكلامه (وحيد) فابتسم قائلا:

-لم يكن ذلك بالخارق أو الغريب...هو الطبيعى الذى وجب على كل مصرى أن يفعله...فلم أجاهد اليهود فى أكتوبر آملا فى استرداد كرامتى وحريتى لافقدهما هنا من جديد.

أو من أبطال اكتوبر أنت؟

-نعم

-كم تمنيت لو شاركت بتلك المعركة...فقدت أبى فى نكبة ١٩٤٨ وأخا فى نكسة ١٩٦٧

-أنا أيضا فقدت أبى فى فلسطين...كانت أفدح خسائرى التى جنت على أيامى كل ما جنيته بعد ذلك طيلة سنوات...لكن هل لى أن أسألك سؤالا يا (عبد الله)؟

-تفضل...سل ما شئت

-ما السبب فى انطوائك عن هؤلاء؟...قد تجد بينهم صديقا...خاصة وأنك الأقدم بينهم

-يعجبون لثورتى ولا يعبأون بصدمتى...يستنكرون الغضب ولا تراهم سائلين يوما عن السبب...هى اذن تلك العقلية القاصرة التى لن أكون بالمضيع وقتى فى حوارها...قابلت أمثالهم الكثير قبل دخولى الى هنا...شاركونى أريج أزهارى ولا تراهم مهتمين يوما بأشواكها...قاسمونى ربيع أعمارى ولا تحسبهم مفتشين يوما فى أعماقها...انعزلت عن الجميع...فلا حاجة لى بشريك للزهر دون الشوك أو ممقاسم للربيع غير مفتش فى أعماق لا تحوى الا خريفا

-دعنى اذن أكن أول العابئين بالصدمة أول السائلين عن السبب...هلا قصصت على قصتك؟...فوالله ان لدى شعور قوى أنك صاحب مظلمة تاهت بين دهاليز من الظلم الواقع عليك

-نجحت فى كسب صداقتى يا (وحيد)...انشرح قلبى لك كما لم ينشرح لأحد سواك...سأخبرك ان شئت...لكن ليس قبل أن تخبرنى بقصتك أولا...فلا يبدو عليك أنك من أرباب السجون.

-إيه يا (عبد الله)...انها حكاية تمتد جذورها الى أعوام مضت...هل تعلم؟...كثيرا ما قاومت القراءة فيما مضى من سطور حياتى خوفا من الانهيار...غير أن أفكارى تجذبنى الى قراءتها رغما عنى بين الحين والآخر.

-هلا سمحت لى بالاطلاع على فحوى تلك السطور؟...قد أحمل عنك بعض همّها

انشرح له قلب (وحيد) وبدأ فى الحديث عن قصة حياته منذ استشهاد أبيه وحتى غدر (جمال) به لسبب لا يعلمه حتى انتهى به الحديث الى يوم دخوله السجن

-وماذا عساك تفعل مع صديقك الخائن ذاك؟...هل نويت فعل شئ بعينه تجاهه؟

-لا أدرى تحديدا...لكنى سأنال منه على أية حال رغم أى ظرف ان قُدّر لى الخروج من هنا حيا

-أنت انن غير مخطط لما ستفعله!

-ليس تماما

-هى انن عقلية الثأر...لا لشئ الا لإشباع رغبات ولدها احساس الانتقام الغبى المسيطر عليك

-أترى رغبتى فى استرداد حقى غباء يا (عبد الله)؟

-استمع الىَّ يا عزيزى...الحياة أقصر من أن تضيعها فى انتقام من خائن...أبسط من أن تستهلكها فى حزن على ضائع...وأسهل من أن تقضيها فى حزن على ما فات...لا أرى اذن من الحكمة ضياع القصيرة فى الانتقام...استهلاك البسيطة فى الحزن...أو قضاء السهلة فى الندم...فقط توقع فى أى لحظة أن أمواج الحياة قد تدفعك فى كثير من الأحيان الى شاطئ لم يكن أبدا ضمن خطط الوصول.

-لكنها النفس البشرية التى تدفعنى دوما الى رغبة قاتلة فى استرداد حقى المسلوب والانتقام مِن مَن حرمنى سنوات من الحرية بين تلك القضبان

-لا أقصد بكلامى أن تترك حقوقك بالطبع...فقط فكر جيدا فى أخذه وانت فى وضع قوة...لا تتعجل الانتقام...اجعل من نجاحك فشلا له...من قوتك ضعفا له...ومن بدايتك أسوأ نهاية يلقاها ذلك الغادر.

-أراك ذا حكمة كافية لحمايتك من أخطاء توقع بك فى مثل هذا المكان سنوات

ابتسم (عبد الله) قائلا:

-بل انها سنوات السجن ولحظات الظلام التى علمتنى يا صديقى

-رأيتك كأنك ترسم أو شيئا كهذا قبل مجيئى

أجابه (عبد الله) فى هدوء:

-ليست الا هواية قديمة أشغل بها أوقات فراغى الطويلة هنا

-هل لى أن أرى ما رسمت؟

أزاح ذلك الراسم الأسوانى وسادة فراشه كاشفا عن لوحة كان يرسمها...أخذها منه (وحيد) مبهورا بفن ذلك الذى يخاطبه:

-يا الله...ما أجملها من صورة لذلك الطفل الصغير...كأنه زهرة داعبتها للتونسمات الربيع...أشعر وكأنك تعرفه...أليس كذلك؟

تنهد (عبد الله) حينا ناظرا للأسفل قبل أن يرفع عينيه مجيبا:

-كان كل ما أملك...دمَّر رحيله عن أحضانى حياتى تماما

-هل هو ابنك؟

أومأ برأسه مجيبا:

-نعم

-وماذا تعنى برحيله تلك؟

رفضت أمه الاستمرار شريكة لحياتى...فضّلت الانفصال وحكمت لها المحكمة بحضانته...بتُ لا أراه الا حين تسمح بذلك أمه...أتعلم...مثل تلك اللوحة كانت سببا فى وجودى هنا.

عقد (وحيد) حاجبيه متعجبا وقد قتله فضوله لسماع قادم الكلمات متسائلا:

-كيف ذلك؟

-كنت أعيش وحيدا عقب انفصال زوجتى ورحيل ولدى...كانت ليلة فى منتصف الشتاء تقريبا...جلست ساعتها منفردا لا أجد لفراغ ساعات ليلى ما يملؤه...عدت بذاكرتى الى تلك الحجرة التى أنسانيها شيطانى...أدركت ساعتها فقط المعنى الكامل للفظ سمعته ولم أستوعبه فى المنقضى من الأيام...كثيرا اخترق اذناى حين يتعلل أحدهم به قائلا مشاغل الحياة...أظنها تدابير للقدر قادتنى لفهمه بعد معايشة لمعناه...لعل ما أقنعنى به تلك الليلة التى قادتنى لتلك الحجرة القديمة لتى فارقتها منذ سنوات فى ذلك المزقع من سطح منزلى...لم أكن على دراية كاملة بأسباب التوجه الى رحابها من جديد...أرجحها تلك الرغبة فى العثور على صديق لم أجده بين بنى الانسان فكان اتجاهى لأصدقاء من بيئتى أوفى من نظرائهم البشريين كما عهدت الصنفين...قادنى الحثيث من سيرى الى باب خشبى نالت منه أتربة القدم كثيرا...فتحته فى هدوء مشتاقا لما حواه من ذكريات لموهبة قديمة احتضنها ذلك المرسم طيلة سنوات...كل شئ على حالهلم يتغير...لوحات معلقة على جدران رمادية اللون ردائها من التراب...الوان حجبتها طبقات من الغبار فى تجسيد تام لمعنى القدم...ما أجمله من شعور ذلك الذى استشرى بين أركانى فى ساعتى تلك...احساس بالندم بعيدا لما أضعته من أعوام بعيدا عن أصدقائى من الألوان وأخلائى من اللوحات...لوحة اخترقها ذلك اللون الأزرق لنهر احتوى ذلك القارب الصغير باثّة فى رائيها احساس بالاعجاب بابداع ربانى...أخرى سادها ذلك اللون الأصفر لصحراء ضمت رحالة بين رمالها موحية لمتابعها شعورا بالرهبة...ولوحة ثالثة وأخرى رابعة...لا أرانى الا سابحا بين لجج من ابداع أبدعته قديما...استمرت عيناى فى تجوالهما حتى كن استقرارهما على تلك اللوحة القاصية هناك فى ركن حجرتى القديمة تلك...خطوت اليها تلك الخطوات السريعة فى رغبة لاستطلاع ما حوته...آه له من منظر نالت منه الأيام كثيرا منذ آخر عهد لى بأقلم الرسم ولوحاته...انها تلك اللوحة القديمة التى خطها قديما قلمى الرصاص فى عشق الوالد لولده...كانت صورة لذلك الوجه المجسد لطفل مشرف على أواسط أول عقود العمر...عينان ناظرتان الى أفق تتمناه مشرقا الى جوار والدة ووالدة متفاهمان...حاجبان رفيعان أظلاهما فى حنان...فم دقيق لم أعهد من نطقه الا عزب الكلمات...وجه بشوش استعدت اقلامى لكسائه بذلك اللون لسنابل القمح بعدما كسته تلك اللمحة من جمال أراده فيه خالقه...هو صورة ولدى ذاك التى أردت تخليدها رغبة منى فى رؤية مستديمة لملامحه...لا أعلم دقيقا من الأسباب دفعنى لعدم اكمالها...كم كانت ممتعة تلك اللحظات التى عايشتها حين خطت يداى تلك الخطوط...استجمعت ما فقدت من الأقلام...ازلت

التراب عما وأدت من موهبة...أكملت تلك الصورة لوجه تمنيت بقائه بين أحضانى وتحت رعايتى...فارقت مرسمى بعدما علقتها فى صدر أكبر حوائطه...أغلقت بابه هابطا الى شقتى حيث انعم بعض ساعات النوم...طويت بعض درجات السلم قبل أن أسمع بعض الجلبة فى الشقة التى أسفل المرسم متبوعة باستغاثة مكتومة لذلك المحامى صاحب الشقة...طرقت الباب بشدة بلا جدوى...هدأت الجلبة أخيرا فأيقنت بأن أمرا ما قد حدث...اضطررت لكسر قفل الباب ودخلت لأجد ذلك المحامى غارقا فى دمائه قتيلا بسكين...هالنى المنظر فانحنيت اليه علّى أجده لا زال على قيد الحياة ثم رفعته هونا ما لأجده قد بات جثة لا تحمل للحياة أى معنى...فى تلك الأثناء اقتحمت الشرطة الشقة لتجدنى على هذا الوضع...أصبحت المتهم الأول للقضية...دعم ذلك وبشدة دمائه على ملابسى اضافة لشهادات الزور التى شهدها بعض أعوان رجل أعمال كبير كان على خلاف مع ذلك المحامى وأظنه صاحب التدبير للقتل والمحرض عليه...فنجح بذلك فى ابعاد التهمة عن القاتل الذى حرضه والصاقها بى...تمكنت من الهرب...لا لشئ الا الانتقام...كان ذلك خطأى الذى أحذرك من ارتكاب مثله الآن...قتلت ذلك الرجل وتمكنت الشرطة من القبض علىّ لأقضى هنا عقوبة السجن المؤبد...وها أنا فى عامى الثانى عشر

تعجب (وحيد) وبشدة من حكاية (عبد الله) تلك قائلا:

-مازلت عند رأيى بأنك ذا حكمة تمنعك من الوقوع فى مثل هذا الخطأ الذى كلفك الكثير.

ابتسم (عبد الله) قبل أن يرد قائلا:

-قد كانت تلك المرة الوحيدة التى تخلى عنى فيها ذكائى أو...صبرى...أو كما تسميها أنت حكمتى...لكنها يا صديقى دروس نتلقاها فى مدرسة الحياة التى لا تعرف المجانية...لابد من ثمن لكل درس...بل لابد من أثمان لكل درس...وها أنا ذا أدفع أول الأثمان لأول الدروس...لا أعلم القادم من الدروس أو الآتى من الأثمان...لكنى بين الدروس وأثمانها لا أملُ بأى حال من الأحوال حياة المتعلمين أو دافعى الأثمان.

-ذكرتنى كلماتك تلك بأمى...كانت من أنجب تلاميذ مدرسة الحياة تلك...بل وان شئت قل من أفاضل مدرسيها.

-أراك كثير الحديث عن أمك...يبدو أن حبك لها يفوق حب الأبناء للأمهات

-وكيف لا يا صديقى؟...قد كانت أثمن ما حوته أيامى حتى بعد مماتها...ظلت ذكراها هى الأهم بين جميع الذكريات...لا زالت كلماتها الحكيمة تطرب أذناى كما هو حال صورتها البهية التى لا زالت تبهج عيناى.

استطرد (وحيد) فى الحديث عن أمه كثيرا وسط اهتمام وردود من (عبد الله) وظلا على حالهما من ذلك السمر حتى الصباح...صداقة آخذة فى التزايد نشأت بينهما سمحت بذلك الحديث الطويل حتى اليوم التالى...حتى تم استدعاء (وحيد) لزيارة أحدهم له...داهمه التعجب بشدة من ذلك الاستدعاء فلم يعد فى حياته من يهتم بزيارته أو الاطمئنان عليه...لكنه لبّى الطلب على كل حال ليفاجئ بماهية زائره...كان حماه (عزام)...جلسا متقابلين تفصلهما مسافة متر أو يزيد قليلا...نظرات طويلة حملت الكثير من الكلمات التى يود كل منهما قولها...ما بين

fb.com/Book.juice

نظرات حاملة للوم من (عزام) تقابلها الأخرى حاملة الرغبة فى تبرئة النفس من (وحيد)...قطعت تلك اللحظات من الصمت كلمات (عزام):

-لماذا يا (وحيد)؟...لماذا خنت أمانتى يا بنى؟...أمانة لم أنتمن عليها سواك...زوجتك ابنتى ووكلتك على تجارتى...لكنك بكل أسف وقعت فريسة لأطماع الحرام.

-الله وحده يشهد أنى لم أكن يوما خائن الأمانة أو ناكر الجميل الذى تتحدث عنه يا سيد (عزام)...ما حدث مُدبر ودبّره (جمال)...بتُّ الآن على ثقة تامة من ذلك

-لا ترم بذنبك على غيرك...(جمال) رجلى منذ أكثر من خمسة عشر عاما...انا على يقين من أمانته واخلاصه

-تقصد أنى كاذب...لا بأس ستثبت الأيام صادقنا وكاذبنا ومخلصنا وخائننا

-أراك تخفى كذبك بتهمة صديقك يا (وحيد)...طالما حذرنى منك...لكنه أبدا لم يهنك كما تفعل الآن

-اهانة؟...من المهان الآن يا سيد (عزام)؟...ان كنت تراه المهان وأنا المهين فهذا شأنك...وكما قلت لك...الأيام بيننا

-شأنك وشأنه يا (وحيد)...قدومى اليك لم يكن رغبة فى فتح أبواب أوصدتها الأحداث أو قراءة صفحات ركنتها الأيام على رفوف الماضى...جئت فيما هو أهم يا بنى

-وما هو ذلك الأهم؟

-هو رجاء لرجل مسن يا (وحيد)...كل أمنياتى الآن تقتصر على استجابتك لما سأرجوه منك

-تفضل يا سيد (عزام)...هات ما عندك

-لن أطيل كثيرا يا (وحيد)...تعلم يا بنى أنى شيخ كبير نال منه مرضه...ورغم نقودى وأملاكى الا أنى لا أجد راحتى الا فى حديث ابنتى...لا أجد متعتى الا فى مداعبة حفيدى...لا أظنك ترضى لذلك العجوز حرمانا من ابتسامة ابنته فى حديثها معه...أو ضحكات حفيده فى مداعبته اياه.

-هما زوجتى وولدى كما هما ابنتك وحفيدك يا سيد (عزام)

-ولهذا جئت اليك...لا أظنك ترضى لزوجتك التى ما زالت فى ريعان شبابها ترملا...أو ترضى لابنك الذى لا يزال فى بدايات طريقه تيتما

-ترملا وتيتما؟...لا زلت حيا أرزق يا حماى العزيز

-اسم فقط يا زوج ابنتى...ينتظرك هنا عشر سنوات بين جنبات هذا السجن...من تراه يهتم بابنك وزوجتك؟...انا الأن على مشارف الآخرة...وبرحيلى وغيابك لن يجد هذان المسكينان سندا فى صراعاتهما مع الحياة.

-أولا تفصح عما تريد صراحة يا سيد (عزام)؟

لم تكن تلك المواجهة بين (وحيد) و (سامى) سهلة الوقع على ذلك الأخير...لم يتعود منذ دخوله تلك الزنزانة على مثل تلك المواجهات...جلس يفكر مليا فى أمر ذلك السجين الجديد الذى لم يخشَ مواجهة زنزانة كاملة بمسجونيها...أتاه أحد أتباعه بعدما رآه شاردا فى واد بعيد وهو غير المعتاد على الشرود قائلا:

-أراك تائها فى طريق بعيد من أفكارك على غير عادتك يا سيدى

انتبه له (سامى) فأفاق مما كان يداهمه من تفكير طويل قائلا:

-من أين لك بتلك الفطنة ياعزيزى؟...لم أعهدك بها من قبل

-ليست الا بعضا مما تملك يا سيدى...أهو أمر ذلك السجين الجديد مجددا؟

-هو بالفعل...انه شخص غريب الأطوار جدير بتفكيرى فى أمره

-لا أراه يستحق كل ذلك التفكير والتدبير...ليس وصديقه الأسوانى هذا الا شخصين ونحن عصبة...بامكاننا الفتك بهما فى أى لحظة ان شئت

-أتعلم يا (سيد)؟...كل يوم يمر علىَّ هنا الى جواركم ينكشف الستار أكثر عما تخفون من غباءكم...وكأنكم تتبارون فى اظهاره لى

صُدم ذلك السجين من قول سيده كما يسميه وهو الذى كان يتوقع ثناء أو شكرا على ما اقترحه فكان تلعثمه قائلا:

-ل...لماذا؟...لماذا يا سيدى؟

-لا أرى سببا وجيها فى أن أوضح لك ما انتويه أو أقصده...لا أرانى بحاجة لاضاعة المزيد من الوقت هباء مع اناس لن تفيد...لا تصلحون للتفكير يا عزيزى...تصلحون فقط لتنفيذ ما أفكر أنا فيه.

-أرجوك يا سيد (سامى) أن تشرح لى عسانى أستفيد فى قادم أيامى من حنكتك فإنى على وشك الجنون...ألم تلجأ أنت أولا الى مبدأ القوة ذاك حين رأيته أول مرة؟

-لا زلت مصرا على اظهار المستتر من غباءك...ألم أقل لك أنه لا فائدة من الحديث

-عذرا يا سيدى...عذرا...لن أتكلم بعد الآن...لكن بالله عليك قل لى ما الخطأ فيما قلته واقترحته عليك قبل قليل؟

-حسنا...سأخبرك مادمت مصرا...ما فعلته حين رأيته أول مرة كان الاختبار الذى أجريته عليكم جميعا عند دخولكم الى هنا...وكالمتوقع فشلتم بجدارة تُحسدون عليها...أما هذا ال(وحيد) فهو من معدن مغاير لمعدن الحمقى الذى تنعمون بانتماءكم اليه...لم يخشَ المواجهة ولم يتراجع عما أراد...جرئ...قوى...بل وكثيرا ما أراه منعزلا غارقا فى تفكيراته...وهو ما

fb.com/Book.juice

يضفى عليه لمسة من الحكمة تفتقدونها جميعا...اضافة لنجاحه فى كسب صداقة شخص مثل (عبد الله) فشلتم جميعا وأنا معكم فى مجرد الاقتراب منه...أى أننا سنضيف الى صفاته صفى اللباقة والقدرة على اكتساب الصداقات أيضا...وتلك الصفات ان اجتمعت فى شخص واحد...فلا أرانى حكيما ان فرطت فيه بسهولة دون أن أستفيد منه

-تستفيد منه؟...كيف؟

-هذا شأنى وشأنه...لا عليك أنت بأمور الكبار يا عزيزى...يكفيك ما سمعت...انصرف الآن ودعنى أكمل ما كنت قد بدأته

بدأ (وحيد) يفهم الى حد كبير ما أراده منه حماه ولأجله كانت تلك الزيارة...لم يرغب (وحيد) فى اطالة الحديث أكثر من ذلك فكان سؤاله له عما يريد صراحة ليجيبه (عزام) بقوله:

-أريدك أن تطلق ابنتى و...

قاطعه (وحيد) قائلا:

-توقعت ذلك منك...أطلق ابنتك لتتزوج بآخر يعولها ويحافظ عليها وعلى أموالك التى ستصير أموالها...فهى لا زالت فى مقتبل العمر وأمامها طريق الحياة طويل...أليس كذلك يا سيد (عزام)؟

-انك ان فعلت ذلك يا بنى تسعد قلب عجوز اقتصرت أمانيه الآن على الاطمئنان على أعز محبيه قبل موته الذى يراه وشيكا...ان شئت يا (وحيد) فاطلب ما تريد من المال تعطه فى الحال.

ضحك (وحيد) ضحكة قصيرة جمعت السخرية والحزن والشفقة فى آن واحد...سخرية من تفكير طيب ساذج لذلك العجوز...حزن على صورته التى ساءت وأمره الذى هان الى حد ظن معه البعض أنه قابل للمساومة على أسرته التى لا يملك غيرها بالمال...وشفقة على ذلك المسن الذى انحسرت آماله كما يقول فى شعور من يحب بلذة العيش الآمن...فكان رده فى صوت خافت غلبت عليه نبرة من شعور بالاهانة:

-والله ان فى كلامك ما أهاننى يا سيدى...لا ألومك على تفكيرك هذا وأنا الذى أعلم صدق شعورك وصحة احساسك تجاه ابنتك وحفيدك...وقعت ضحية لكذب صديقى الذى اعتبرته أخى...نجح فى رسم صورتى الكاذبة الخائنة فى خيالك...لا بأس بذلك الآن...لكن قبل أن أجيب لك طلبك...هل لى بسؤال؟

-بالطبع...تفضل

-هل (منى) موافقة على ما تقول؟

-بل هى من أرسلتنى اليك

-لا حاجة لى بها اذن...فلست بالمبقى على تاركى...أو الشارى بائعى...لم تعد تمثل لى شيئا الآن...كل ما يهمنى هو ولدى الماكث فى أحضانها الآن...لا أظنك ترضى لى حرمانا من ابنى بأى حال من الأحوال.

-هل لى بسؤال أنا أيضا يا (وحيد)؟

-تفضل

-ما مقدار ثقتك بى؟

-كنت الى جوارك سنوات لم أعهد منك شرا...كنت خير الرجل المحسن الأمين

-كن اذن على يقين أنى لست بالمقدم على حرمان أب من ابنه مهما كانت الظروف...هو وعد يشهد عليه الله قبل أن نشهد عليه نحن.

صمت (وحيد) حينا قبل أن يقول فى أسى:

-ابنتك طالق يا سيد (عزام)

قالها وانصرف مطالبا سجّانه باقتياده الى حيث كان قبل ذلك الحوار وفى رأسه فكرة واحدة زادها هذا اللقاء تناميا...فكرة الانتقام من ذلك الذى دمّر قوانم حياته...لم يشعر بنفسه الا ممسكا بقلم وورقة يكتب لذلك الخائن خطابا عزم على أن يسلمه ل(عزام) فى زيارته القادمة حين يأتى لاستكمال اجراءات الطلاق الرسمية...كلمات أملاها شعوره بالظلم على قلمه فكتب فى لغة جمعت اللوم والوعيد قائلا:

-تشبثت بذهنى بطريقة لم أعهدها قبل ذلك فى تلك الساعة قبيل فجر أول أيامى فى ذلك السجن...حاولت طردها ولم أكن للفلاح رفيقا فى ذلك...اجتمعت والأرق علىّ فى ليلتى تلك فكان اتحاد لم أقوَ على التغلب عليه...صورة لك أيها المخادع الضارب بعلاقتنا عرض أكبر الحوائط فى مملكة الخيانة...ملكت لبى تماما...احتوت تفكيرى كليا...تصارعت حولها الذكريات...تشابكت بجوارها الأفكار...اختلطت فى رحابها الكلمات...ذكريات سعيدة توجتها تلك الحزينة يوم خيانتك...أفكار بهيجة ختمتها تلك الدامعة ساعة غدرك...كلمات أخوية كانت نهايتها تلك التى لفظتها حين قلت وداعا...جلست أرتب من الذكريات أجملها...أنظم من الأفكار أحلاها...أستعيد من الكلمات أعذبها...أين تلك الأيام الآن وقد باتت هباء منثورا تذروه رياح الطعن من الظهر...أين نحن الآن من كلماتنا وذكرياتنا وكلماتنا...انطوت جميعها مستقرة فى كتاب من الذكريات غطاه تراب النسيانحين كان مصيره مركونا على ذلك الرف البعيد من أيام ماضينا...

قد لا نلتقى مجددا فى أى من ميادين العيش فى مقبل أيامنا...قد لا أكون من مصاحبيك فى أى من فجاج الحياة فى قادم أعوامنا...لكنها ثقتى فى تيه تفكيرك المتخبط فى ظلمات الغرور الذى جسدنى باكيا حزينا على ما فات...ايمانى بقصور خيالك السائر الى سراب الذى صورنى دامعا نادما على ما مضى...يا لها من ابتسامة تلك التى ترتسم على وجهى حين أتذكر ذلك التاته وهذا القاصر...لا أنكر حزنا أسرنى بين ظلمة جدرانه فى فترة ما بعد خيانتك...لا أكذب شجنا

ماضيا جرحنى بقسوة أنصاله فى أيام تالية لايقاعك بى...لكنه حزن المحب وقد انتهى حبه...شجن الصديق وقد رحلت صداقته...لم أعد ذلك المنكسر صاحب صورة الوجه البائس المرسومة فى ذهنك الساذج...محت أقلام ارادتى تلك الصورة الآن وأبدعت غيرها تلك الصورة لقادر على الرجوع عازم على الانتقام...لم يعد لنظرية الضياع بعد الوداع وجود فى مفرداتى الآن...أبدلتها بنظيرتها العودة بعد الانكسار...لا أحسبك جلست جلستى تلك مع نفسك مستعيدا ما استعادته مخيلتى فى ساعات أرقى عما كان بيننا...لم تكن ولن تكون ذلك اللائم نفسه النادم على ما كان من جرائمه...ما زلت باحثا عن سبب ما فعلت...لا أجدنى سأظفر بجواب واضح لكنها على كل حال ثقتى فى عدل الأقدار الناصة صحفها على مقولة كما تدين تدان...آمنت بتلك المقولة ولا زلت على ايمانى بها...ليست الحياة تلك اللعبة صاحبة الفائز الواحد...ليس شرطا استمرار المجاهد فيها...انما هو سقوط متبوع بنهوض ونهوض متبوع بسقوط...يبقى الفارق فى السير على طريق الاستقامة لضمان العدد الأكبر من مرات الفوز...آه لك من خائن سيشرب من نفس الكأس وان طال به الأمد...تلك الكأس التى كويت بمرها حلوق محبيك وأفواه مصاحبيك...لا أرى فائدة من عتاب أمثالك الآن...فات ما فات ولن يعود ومضى ما مضى ولن يكون من عناصر حاضرنا من جديد...استقم أو لا تستقم هذا شأنك...تب أو لا تتب هذا قرارك...فقط كن على حذر من قادم الأيام وآتى الليالى...فكر مليا فى تلك الجملة كما تدين تدان...هذا كل شئ...لم يعد قلمى يملك المزيد من الكلمات...انتظر انى معك من المنتظرين...ليوم يعود فيه الحق معانقا أصحابه...يوم لن ينفعك ندمك أو يشفع لك ما ستذرفه من الدموع...انتظر يا عزيزى...يوم الحساب!

انتهى (وحيد) من كتابة خطابه وسلّمه بالفعل بعد عدة أيام الى (عزام) فى زيارته التاليه قائلا:

-أوصل هذا ل_جمال) وقل له أنى لست من ذلك النوع من الرجال الذى تسهل هزيمته...فليستعد جيدا ليوم لا أظنه يحب أن يرى أحداثه.

أنهى اجراءات الطلاق سريعا وعاد زنزانته يحمل تلالا من همومه وأشجانه وقضى ليلته فى أرق حتى داعبه النعاس أخيرا ليرى أمه فى منامه فى ذلك الرداء الأبيض والوجه الذى اختفت تجاعيده وكأنها لا زالت فى عشرينيات عمرها قائلة:

-ايه يا (وحيد)...لا زالت دنياك تقسو عليك كما كانت دوما قبل رحيلى يا بنى

-أمى؟...هى كذلك بالفعل يا أمى...ها أنا أقبع بين ظلمات السجون مظلوما بلا جرم ارتكبته.

-لا عليك يا وحيدى...الحق أبلج والباطل لجلج...فكن مع بلاجة الحق تقضى على لجلجة الباطل...كن دائم الدعاء يا بنى فدعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب...ربك دوما قريب يسمع دعوة الداعى اذا دعاه...فلتستجب له ولتؤمن به علّك تكون من الراشدين.

-لا زلت أفتقد ارشاداتك تلك يا أمى...لم أجد ناصحا أمينا أحتمى بحكمته بعد رحيلك.

-ليكن عقلك الذى ربّته تقويماتى لك هو مرشدك يا عزيزى...لا تجعل أمواج انتقامك تلقى بك الى حيث لا تستطيع السباحة...لا تجعل خطوات غضبك تقودك الى حيث لا تعرف طريقا للعودة.

fb.com/Book.juice

-لكنى مظلوم يا أمى

-لتكن مظلمتك سبيل نجاتك لا سبيل هلاكك يا بنى...عدنى أنك لن تلقى بنفسك فى أى تهلكة يا (وحيد)

-لكن يا أمى.....

-لم تعارض أمك حية أبدا يا عزيزى...أتراك تعارضها الآن بعد رحيلها

-لم أكن أبدا لأكون من معارضيك يا عزيزتى...هلكت ان فعلتها

-عدنى إذن

-أعدك يا أمى...أعدك

-بقيت وصية أخيرة أحملها لك يا (وحيد)

-ما هى يا أمى؟

-الحذر كل الحذر من صراع طانريك يا بنى...الحذر كل الحذر من صراع طانريك...الحذر كل الحذر من صراع طانريك...

ظلت ترددها حتى اختفت عن ناظرى ابنها الذى تابعها بتوسلاته بايضاح آخر الجمل تلك التى لم يفهمها قائلا:

-أمى...انتظرى...لا أفهم ما تعنين...أمى...أمى

استيقظ أخيرا وما زال يردد رجانه ذاك...لا زال يشعر بوقع كلام أمه على أذنيه...لم يعبأ كثيرا بآخر الوصايا تلك...كانت على أية حال استمرارا لحالة الغموض المحيطة بحياته منذ فترة...افاق متفائلا بكلمات أمه كثيرا بعدما أزيل عنه الكثير مما أسبغ عليه من الاكتئاب...وجد (عبد الله) جالسا كعادته بلا كلام مع أحد فاقترب منه بادئا حديثا اعتاده الاثنان يوميا...صداقة هونت على (وحيد) الكثير من وحشة السجن وكآبة ظلمته...امتدت الصداقت بعد ذلك الى عدد من المساجين الآخرين فكانت جلسات سمرهم المستمرة المتناولة لكل الموضوعات...يفرحون ان حل بأسرة أحدهم فرح...وتكتسى وجوههم الأحزان ان حل باحدى الأسر مكروه...وبين الفرح والأحزان تزداد علاقة (وحيد) و (عبد الله) قوة ومتانة...باتا المعينان لبعضهما على سنوات الظلام التى عايشاها...كل ذلك وسط متابعة من (سامى) الذى راودته أحاسيس مختلفة بين الغيظ من ذلك الثنائى الذى نجح فى كسر شوكته من جانب وتفكير خبيث فى امكانية الاستفادة من (وحيد) بعد ذلك فى أعماله المشبوهة من جانب آخر لما رآه فيه من صفات أفصح بها لتابع من أتباعه.

سنوات مرت على هذا الوضع بلا تغيير مهم ذكره فى نمط الحياة التى عاشها الجميع...كل فى تفكيره غارق...فى حل مشاكله آمل...فى حياة ما بعد السجن مفكر...ومع اختلاف التفكير والآمال والتدابير بقيت حياتهم ذات الأسلوب الروتينى بلا اختلاف كبير طيلة مدة السجن...

عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

هذا الكتاب حصرى على جروب عصير الكتب

انضم الينا لتحصل على كل ماهو جديد

follow me : facebook.com/OmaR.1.Bs

اقترب (سامى) فى تلك الليلة المقمرة من (وحيد) الجالس على سريره فى هدوء قائلا:

-تهانئنى يا صديقى...علمت أنك ستفارقنا الاسبوع القادم

انتبه (وحيد) اليه قائلا بسخرية:

-صديقى؟...ألا تراها غير ملائمة لوصف علاقتنا يا (سامى)؟...على كل حال أشكر لك تهنئتك...سأفارقكم بالفعل ان شاء الله...يكفينى عشر سنوات بين تلك الجدران.

-أراك أخذت فكرة سيئة عنى تنامت فى ذهنك بمرور الأيام منذ ذلك العراك القديم بيننا...ألا تنسى ذلك يا (وحيد)؟...لا أريد لأحد أن يفارقنى وهو حامل لعلاقتى به ذكرى سيئة.

-لا عليك يا عزيزى...كان ذلك منذ زمن بعيد...لم أعد أحمل بداخلى أى شعور بالكراهية تجاهك الآن...لعل السمة الوحيدة التى أنعم بامتلاكها أنى نقى القلب نوعا ما...فلا أحمل لأحد ذكرى اساءة مادام اعتذر عنها

-بل أنك مالك للكثير من السمات التى يتمناها الكثير يا (وحيد)...أتعلم؟...أنا نادم على أنى لم أصادقك طيلة هذه السنوات

ضحك (وحيد) ضحكة قصيرة قبل أن يقول:

-لذلك الحد؟...أشكرك على كل حال على هذا الثناء الذى لا أستحقه.

-بل وتستحق أكثر منه يا صديقى....دعنى أسألك سؤالا يا (وحيد)

-تفضل

-هل فكرت فيما ستفعله بعد خروجك من هنا؟

-فى الحقيقة ليس تماما...فقط سأبحث عن عمل يكفل لى حياة مرضية

-هل أجد بحوزتك قلم؟

تعجب (وحيد) من ذلك السؤال المفاجئ الذى رآه بلا علاقة بموضوع الحديث غير أنه أجابه بالايجاب على أية حال:

-نعم...لكن لماذا؟

-اعطنى اياه فقط اذا سمحت

-حسنا...كما تريد...ها هو تفضل

كتب (سامى) جملة بدت كأنها عنوان متبوع برقم كأنه رقم هاتف ثم أعطى الورقة ل(وحيد) قائلا:

fb.com/Book.juice

-امسك يا (وحيد)...هذا عنوان شركتى ورقم هاتفها...سأخرج من هنا أنا أيضا الشهر القادم...سأنتظرك...لا أريدك أن تقلق بشأن العمل أو الحياة بعد الخروج من هنا...سأساعدك بأكثر مما تتمنى.

-شركة؟...هل تملك شركة؟

-نعم يا صديقى انا رجل أعمال كبير

-ما الذى اتى بك الى هنا اذن؟

-انها حكاية طويلة لا أجد المكان ولا الوقت كافيين أو ملائمين لسردها...افعل فقط ما قلته لك...سأنتظرك يا عزيزى

قالها وانصرف تتعلق به أنظار (وحيد) لثوان قبل أن يضع الورقة فى جيبه عائدا الى جلسته المعتادة حتى غلبه النعاس.

استيقظ فى صباح اليوم التالى على أثر يد (عبد الله) التى وكزته فنهض سريعا كأنه الرائى لحلم ما فسأله صديقه:

-أهو نفس الحلم؟

أومأ برأه وعيناه تلمعان قبل أن يقول:

-نعم...ما زالت أمى تحذرنى من صراع هذين الطائرين الذيى لا أعرفهما.

-لا عليك يا صديقى...ليست الا أضغاث أحلام

-لا أظن ذلك يا (عبد الله)...فوالله ان تكرار هذا الحلم لا يكون الا لأمر ما...وان كنت أتمناها أضغاثا على أية حال

انقضت الأيام المتبقية ل(وحيد) سريعافى السجن حتى جاء يوم الخروج وحانت لحظة الوداع التى جمعته بصديقه الأسوانى الذى جاوره عشرة أعوامكانت من أحلك أعوام عمره ان لم تكن أحلكها بالفعل...لم يهون من عناءها الا ذلك الصديق الذى كان نعم الأخ الناصح ونعم الصديق المزيل لهموم من صادق...لم تكن علاقة (وحيد) ب(عبد الله) من ذلك النوع من العلاقات الشبيه بالصداقة فقط...فالاصدقاء يفترقون حينا ويتقابلون آخر...يختلفون حينا ويتفقون آخر...يتباعدون حينا وتجمعهم جلسات سمرهم حينا آخر...لكن علاقة هذين الرفيقين جمعت التقابل دون الفراق...جمعت الاتفاق دون الاختلاف...جمعت الاجتماع دون البعد...فأخذت من الصداقة أجمل ما فيها...ل(وحيد) كان الفضل على (عبد الله) فى اخراجه من عزلته واندماجه مع مجتمع يقضى فيه الكثير من أيام عمره...ول(عبد الله) كان الفضل على (وحيد) فى اخراجه من شعوره بالكآبة طيلة فترة هى الأصعب بين سنوات حياته بكل المقاييس...هو تكافؤ العلاقة اذن القائم على مصلحة أو نفع...انما كان قوامه الاخلاص وعماده الوفاء بين شخصين صارعا الحياة فى ميادين عدة فكانا نعم المجاهدين.

أمسك (وحيد) بذراعى (عبد الله) من فوق كوعه بقليل ناظرا اليه بعينين أقرب للبكاء منه الى الصمود قائلا:

-سأنتظرك يا صديقى...سأنتظرك خير الرفيق خارج تلك الأسوار كما كنت دوما داخلها

-سأعد أيامى الباقية على أحرّ من الجمر يا أخى...لا أعلم كيف لى باحتمال استيقاظى فلا أجدك مجاورا لى فى السرير المقابل كما كان حالنا طوال ما مضى من السنوات...لكنها فرحتى بكل تأكيد بحريتك التى نلتها أخيرا بعد سنوات من الظلم يا عزيزى

لم يملك (وحيد) كلاما آخر وقد منعته دموعه من نطق المزيد فعانق صديقه بشدة لدقائق استرجعا خلالها ذكريات عقد كامل حاو لكل أنواع الذكريات المفرح منها والداعى للبكاء...قبل أن يودّع باقى السجناء ومنهم (سامى)الذى قال له:

-سأنتظرك كما اتفقنا يا (وحيد)...اهتم بالأمر يا عزيزى

-ان شاء الله يا (سامى)...اراك على خير

غادر (وحيد) السجن لأول مرة منذ عشرة أعوام...شمس اشتاق لاشراقها كثيرا...طرق كأنه بها يراها لأول مرة...سماء مضى على آخر رؤية لتتابع شروقها وغروبها سنوات...هو انن ذلك الرابط من نوع مختلف بين (وحيد) وأصدقائه من الطبيعة...طالما وجد فيهم الاخلاص الذى لم يجده فى بعض من صادق من أمثال (جمال)...لم يفارقوه يوما كما كان حال البعض من أمثال (حسام) و (أحمد)...خفق معهم انن المعادلة الأصعب الجامعة بين الاخلاص والبقاء...

اتجه (وحيد) الى عدد من الورش الصغيرة عله يجد عملا يكفل له الحياة حتى يخرج (سامى) بعد شهر ليلتحق بالعمل معه كما وعده...نجح بالفعل فى ايجاد عمل بسيط ظنّ به حتى علم بخروج (سامى) فذهب الى حيث العنوان المذكور فى تلك الورقة التى أعطاها له فى السجن...وجد عالما آخر غير ذلك الذى توقعه...عدد لا يحصى من الموظفين...عدد لا يعد من طوابق اكتظت بالمكاتب والأوراق...وبين هذا وذاك لا يقال اسم (سامى) الا متبوعا بلقب بك...لم يكن يكذب عليه انن...هو بالفعل كما قال...نجح فى لقائه أخيرا بعد عدد من التوقفات على مكاتب السكرتارية...قابله (سامى) بحفاوة بالغة قبل أن يقول:

-أنت انن تملك الى جانب كل تلك الصفات صفة الانضباط فى المواعيد يا (وحيد)...أهلا بك يا صديقى

-هى عادة قديمة لا أغفل عنها

-تفضل يا عزيزى بالجلوس فأمامنا حديث طويل وعمل أطول

لبّى (وحيد) طلب صديقه بالجلوس فاستطرد ذلك الأخير قائلا:

-استمع الى كلامى جيدا يا (وحيد)...قبل أى شئ أريد اعطاءك نصيحة ما

-نصيحة؟...تفضل

-الحياة ليست الا بحرا واسعا يا عزيزى...لن تشعر ابدا بمتعة الوجود بها الا اذا سبحت ضد التيار

-نصيحة أفهم الجزء الأول بها...لكنى لا أفطن للمقصود من جزئها الثانى...ماذا تقصد بالسباحة ضد التيار؟

-لا زلت تثبت لى أنك ذا حكمة كافية تؤهلك للعمل معى يا (وحيد)...أعنى أن تصادق الصعاب وترافق المخاطر...حينها فقط ستشعر بقيمة ما تحققه من نجاحات.

-وماذا علىَّ أن أفعل برأيك؟

-فقط اسبح ضد التيار

-ألا ترى أنه كفانا ألغازا؟...منذ بدأ حديثنا وأنا لا أرى كلمة واحدة خاصة بعمل أو ما شابه

-أتفهم بالتجارة يا (وحيد)؟

-الى حد ضئيل فى حقيقة الأمر...مارستها عدة سنوات قبل دخولى الى السجن

-لا بأس...فتجارتنا لا تعرف الخسارة على أية حال

-هل هناك تجارة لا تخسر؟...من أى أنواع التجارات تلك تلك التجارة الخارقة لقوانين العمل؟

أطرق (سامى) رأسه للأسفل واضعا يده المقبوضة تلك التى تزينها ساعته الذهبية تحت ذقنه وقد أطلق ضحكة من ذلك النوع من الضحكات الذى لا تفترق فيه الشفتان...ضحكة مكتومة لفم مغلق لا تحمل الا سخرية من مطلقهاباتجاه من يخاطب قائلا:

-ظننتك أذكى من هذا يا عزيزى

-لم أقل قط أنى أتمتع بالذكاء...قلتها أنت وصدقتها

-تريد الاجابة اذن دون تفكير؟

ان فعلت أكن ممتنا لك بالطبع...أطوق كثيرا لمعرفة ذلك النوع من التجارات.

-المخدرات!!

-ماذا؟...أنت تاجر مخدرات؟

-كانت سببا فى سجنى كل ما مضى من السنوات...وقد حان الوقت لأعوض خسارتى...أتاجر بها مستترا خلف تلك المجموعة التجارية التى أنت داخل احداها الآن

-هل لى أن أعرف لماذا وقع اختيارك علىَّ أنا بالذات؟

-كان لى مساعد لا أظننى اعوضه الا بمثلك...قُتل فى آخر عملياتنا التى قُبِضَ علىَّ بها...كان شجاعا...ذكيا...و...لا يلين بسهولة...وهو ما أراك تتمتع به...بل وأكثر

fb.com/Book.juice

-أشكرك يا عزيزى على مدحك هذا ولكن يسعدنى يا سيد (سامى) أن ابلغك اسفى عن الخوض فى مثل ذلك العمل المشبوه...آسف...لن أكون للسموم تاجرا

ترجّل (سامى) من على كرسيه ينظر الى الأرض مبتسما كأن شيئا لم يكن يضرب احدى يديه المقبوضة بالأخرى المبسوطة قبل أن يستند بكلتيهما على ظهر الكرسى الجالس عليه (وحيد) وقد انحنى يقترب من حتى بات فمه لا يفصله عن أذن (وحيد) إلاّ حد صغير حتى أنهما كاذا يتلامسان قائلا:

-لا بأس يا صديقى العزيز...لا بأس...لكنى على أى حال لا أنصحك بإفشاء سر كهذا فقد تعرض حياتك للخطر

قالها وابتعد عنه قليلا بعد قولها مستطردا:

-تستطيع الانصراف الآن ان شئت...فقد انتهى وقت زيارتك...همّ (وحيد) بالمغادرة وما ان اقترب من الباب حتى سمع صوت (سامى) من جديد قائلا:

-سأنتظر عودتك يا (وحيد)

الا أن (وحيد) لم يلتفت له وكأنه لم يسمع ما قاله وانصرف وكأن هذا الحوار لم يتم...غادر (وحيد) وقد أيقن أنه الآن ضائع بكل ما تحمله الكلمة من معنى...لا يجد عملا وهو المسجون عشر سنوات وبتهمة تهريب مخدرات مما يزيد من صعوبة التحاقه بعمل يكفل له حياة حلم بها الى جوار (سامى) الذى صُدِمَ فيه...انهار الحائط الوحيد الذى عقد عليه الأمل الآن...ظل يطوف الشوارع باحثا عن عمل بلا جدوى حتى استقر به المقام سائرا على رصيف أحد الشوارع بلا هدى ليصادف كشكا صغيرا للجرائد وقف عنده يتأمل أخبار الكون علّه يزيح عن نفسه بعض الهم أو يضيع فى اطلاعه بعض الوقت...ظلت عيناه تجوبان صفحات الصحف الا أن استوقفها ذلك الخبر فى صدر احدى الصحف عن مشروع جديد يفتتحه رجل الأعمال الشهير (جمال) وزوجته (منى)...خبر مصحوب بصورة تجمعهما وبينهما فتى قارب على الثانية عشر...خبر استشاط له (وحيد) غضبا فجُنَّ له جنونه حتى كاد يدمر كشك الجرائد تدميرا غير أن المارة منعوه وأبعدوه بلا أدنية له ظنا منهم أنه مجنون أو شئ كهذا...هى الحقيقة المؤلمة التى تتجسد أمام عينيه الآن...تزوج (جمال) من (منى) بعدما طلقها هو وبات أبا كافلا لابنه الذى لا يظنه ما زال يذكر أباه الحقيقى...سرق حياته برمتها اذن...أصبح (وحيد) على ثقة من أنه لن يستطيع الآن مواجهة (جمال) أو النيل منه وهو فى حالته تلك...هو الآن أشبه بقط أراد الايقاع بأسد أو عصفور أراد اصطياد صقر...لابد له اذن من مصدر يستمد منه قوته...سند يستند الى صلابته لنيل ثأره المنتظر...لكن من تراه يكون هذا المصدر؟...لم يعد يعرف أحدا فى هذه الدنيا على استعداد لمساعدته فى انتقامه واسترداد ماله من الحقوق وعلى رأسها ولده الذى فقد الأمل فى رجوعه الى أحضانه من جديد استنادا لذلك الوعد القديم بينه وبين حماه حين طالبه بطلاق ابنته...بات اتفاقا وهميا الآن بموت ثانى طرفيه وهو مالم يأخذه (وحيد) بعين الاعتبار...حدثه شيطانه أن مهلا...ما زال هناك شخص على أتم الاستعداد لمد يد العون له وبقوة...مازال (سامى) موجودا ينتظر موافقته على العمل معه...لكن هل يضرب (وحيد) بمبادئه التى تمسك بها منذ ولادته عرض الحائط لأجل رغبة فى الانتقام؟...هل يكون ذراعا

للفساد لأجل دافع شخصى بالثأر؟...هل يهجر حياة المثالية لأجل ثأر قديم هو فى أخذه آمل؟...كانت الاجابة نعم بكل أسف...بررت له نفسه الأمارة بالسوء ذلك الفعل بأنه عاش فى عالم المُثل والقيم سنوات لم يلقَ فيها الا التشرد والسجن...لا بأس اذن بتغيير المنهاج لعله يجد من الحياة نصفها المشرق الذى ما زال يبحث عنه منذ وعت عيناه أيام دنياه تلك.

لجأ ل(سامى) من جديد...ذلك الذى استقبله بحفاوة أعظم من المرة السابقة قائلا:

-ألم أقل لك أنى سأنتظرك يا (وحيد)؟...توقعت عودتك يا عزيزى...لكنك عدت بأسرع مما توقعت.

-لم تقدنى قدماى الى هنا الا بحثا عن من يساندنى فى انتقام أرغب به من عدو قديم

-(جمال)؟

اتسعت عينا (وحيد) متعجبا من معرفة (سامى) ذلك السر الذى لم يفصح عنه للكثير قائلا:

-كيف عرفت؟

ضحك (سامى) ضحكة قصيرة من سذاجة (وحيد) قائلا:

يبدو أنك بحاجة للكثير من الخبرة يا (وحيد)...نسيت أن أخبرك أننى لا أسمح لأحد بالعمل معى قبل أن أحصل على ملف عن تاريخه بالكامل...ومن هنا جاءت ثقتى فى لجونك الىّ بحثا عن من يعاونك فى انتقامك الذى تريد!

-أنت أكثر دهاء مما توقعت بكثير

ضحك (سامى) ضحكته المعتادة قبل أن يستطرد قائلا:

-لابد للممتهن عملنا ذاك أن يكون داهية يا عزيزى...دعنا الآن نتحدث فيما هو أهم...اسمع يا (وحيد)...سأوفر لك كل ما تحتاجه للأخذ بثأرك...وفى المقابل يكون عملك معى فيما أطلبه منك...اتفقنا؟

-اتفقنا...لكن هناك أمر أخر أريد محادثتك فيه

-بالطبع...تفضل

-سيخرج (عبد الله) من السجن بعد عامين أو يزيد قليلا...أريد الاستعانة به فى عملى التجارى ...لكنى لا أريد له أن يعرف أنى أعمل معك من الأساس

-لك ذلك يا عزيزى...كما قلت لك...لا علاقة لى بما سوف تفعله أو كيف ستفعله...فأنا على ثقة فى مقدار ذكاءك...كل ما يهمنى هو اتمام عملى على أكمل وجه.

يقولون أن بين الرغبة فى استرداد سلمى للحق وانتقام مدمر مِن مَن سلبه شعرة...تلك الشعرة التى أحرقتها نيران الغضب داخل (وحيد)...فاختلطت الرغبتان داخل بوتقة واحدة وهو ما أدى

fb.com/Book.juice

فى النهاية الى طغيان رغبة التدمير على نظيرتها فى الاسترداد السلمى فطالت نيرانها (وحيد) نفسه ليكون لأولى المرات رمزا للفساد وعنوانا للطلاح!!

بدأ (وحيد) العمل بالفعل...كان يعمل على جانبين...أولهما معاونة (سامى) بكل ما أوتى من قوة...وقد نجح بالفعل فى انجاز أكثر من عملية تهريب للمخدرات من الخارج الى داخل البلاد...وثانيهما جمع المعلومات الدقيقة عن (جمال) وعمله حتى يتسنى له رد طعنته...كان يؤمن بمقولة سمعها قديما تنص على انك ان أردت أن تهزم خصما فازرع الفتنة بين أعوانه...نجح بالفعل فى الحاق عدد غير قليل من أتباعه بالعمل مع (جمال) وظل على حاله هذا من العمل حتى خروج (عبد الله) من السجن...لم يبعدا عن بعضهما كثيرا طوال الفترة الماضية...لم يغفل (وحيد) عن زيارة صديقه المتكررة فى سجنه وعلى ذلك فلم يحمل لقائهما عقب خروج (عبد الله) من السجن الكثير من شوق المتباعدين أو لوعة الملتقين بعد غياب...فقط تهنئة صادقة من (وحيد) لصديقه الذى خرج للحياة أخيرا بعد عدة وعشرين عاما قضاها فى ظلمات السجون...صحبه (وحيد) بعد ذلك الى مكتبه فى مقر الشركة التى يعمل بها مع (سامى)...حالة شديدة من الانبهار طغت على (عبد الله) وهو يتأمل حال صديقه وما وصل اليه من النجاح والثراء فى فترة يكاد يكون حجم نجاحها قياسا بما كان قبلها اعجازا حتى أنه قال له:

-والله لولا ثقتى بك يا (وحيد) لشككت فى ممارستك عملا غير قانونى...ما شاء الله...لقد ابتسمت لك دنياك أخيرا يا صديقى

قالها وأتبعها بضحكة صغيرة يمزح مع صديقه الذى كان وقع تلك الكلمات عليه كسهام قاتلة اخترقت سمعه وفؤاده...لم يجد ردا سوى الابتسامة قانلا فى نفسه وكلمات صديقه تؤلمه:

-والله انى لا أستحق تلك الثقة يا صديقى...لكنها رغبتى فى استرداد حقى من قادتنى لذلك.

لم يكن (عبد الله) على علم بالطبع بما دار فى خلد صديقه فاستطرد قانلا:

-لكن من تُراه ساعدك للوصول لمثل ذلك يا (وحيد)؟

-انه صديق قديم لم يتخلّ عنى فى محنتى فأبى الا أن يساعدنى بعدما لجأت اليه

-لابد وأن تعرفنى به

-بالطبع يا عزيزى...فى أقرب وقت ان شاء الله...دعنا الآن نتحدث فى المهم...اليك بهذا واقرأه جيدا

قالها وهو يسلمه ملفا ضخما من الأوراق عهد (عبد الله) الى تصفحه متسائلا:

-ما هذا يا (وحيد)؟

-انها كل ما نجحت فى جمعه من معلومات عن (جمال) وعمله طوال المدة السابقة...كنت أنتظر خروجك لتنفيذ ما أريد

fb.com/Book.juice

-خروجى أنا؟...لماذا؟

-أريدك أن تكون الساتر الذى أختفى خلفه...لا أريد أن ينتبه (جمال) لوجودى حتى لا يأخذ حذره...كل ما سأقوم به من أعمال وتجارة ستكون باسمك...حتى يكبر اسمك فى سوق العمل..وحينها سننجح من دون شك فى استدراجه للعمل معك...حينئذ نضرب ضربتنا التى نريدها

ما زال (عبد الله) يتصفح ذلك الملف الضخم وهو يستمع الى كلمات صديقه الذى انتهى من كلامه ليقول له

-هل لى بابداء رأى؟

-بالطبع يا (عبد الله)...هات ما عندك

-تنص تلك الأوراق على أن زوجته (منى) تدير شركة لاستيراد قطع غيار السيارات...كما أنى أرى أنها على خلاف مع زوجها وغريمك (جمال)...قد يساعدنا ذلك وبشدة...

-كيف ذلك؟...الىَ بما ترمى اليه.

-بداية سنركز نشاطنا فى الحصول على توكيل قطع الغيار التى تستوردها شركتها...سننافسها بضراوة...حتى اذا ما قويت شوكتنا بعد ذلك نكون قد نجحنا فى اصابة تجارتها كليا بالشلل التام...وأظنها لن تتردد حينها فى اللجوء الينا لمحاولة اقامة تعاون مشترك بيننا أو شئ من هذا القبيل...حينها تظهر أنت ويكون حديثك معها كما تريد.

-ولماذا على الانتظار؟...لماذا لا أحادثها الآن مادام الخلاف بينها وبين (جمال) موجودا بالفعل؟

-لأنها بكل بساطة ليست بحاجة لسماعك الآن يا عزيزى...لست فى موضع قوة يسمح لك بالمناورة أو المساومة.

-تبدو محقا الى حد كبير...دعنا نبدأ العمل اذن

انصرف (عبد الله) الى شقة وفرها له (وحيد) وبدأ من الوهلة الأوليىرس ذلك الملف الذى أعطاه له صديقه يكتشف الثغرات ويضع يده على الخبايا...وفى المقابل كان (سامى) يبذل قصارى جهده لعقد اتفاق يقضى بتوقيع العقود الخاصة بالحصول على ذلك التوكيل بعدما قدم بكل تأكيد مزايا أكبر خاصة بطرق التوزيع والسداد وما الى ذلك من أمور التجارة التى يتقن فنونها بعدما طلب منه (وحيد) ذلك.

لم تكن معلومات (وحيد) بالحاملة للأخطاء...لم يكن ليسمح بذلك وهو الذى جعل همه الأوحد الايقاع بغريمه وسخَر كل مجهوداته ومجهودات تابعيه لذلك...وعليه فقد صدقت بياناته بوجود حالة من عدم الاستقرار بين (جمال) وزوجته (منى)...ذلك الخلاف الذى انعكس فى حالة من

الجفاء تمثلت فى ذلك الحوار بينهما...زوج هادئ غير عابئ بما تكبدته زوجته من خسائر وزوجة على خلاف شاكلته كادت تنهار بعدما فقدت تجارتها تقريبا

-لا أراك تهتم بما حدث

أجابها ذلك المستمتع بسيجارته على كرسيه الهزاز فى برود شديد:

-ليست خسارتى لأهتم لها

-لا زلت تتفنن فى استفزازى كعادتك

-أعتقد أنه من الأفضل يا عزيزتى أن تحكمى لسانك أكثر من هذا...قد يكلفك كثيرا أنت فى غنى عنه

-أفضل لى الانصراف...فلا أحسبنى أقوى على الدخول فى شجار آخر...يكفينى ما أنا فيه

-قرار حكيم...هذا أفضل كثيرا على أية حال

قامت (منى) والغيظ يكاد يقتلها قبل أن يستوقفها من جديد صوت زوجها المستفز:

-أرى أن تذهبى الى (عبد الله رمضان) هذا...قد تتوصلين الى اتفاق معه يقضى بتعاون بينكما أو شئ ما يمنع المزيد من خسائرك

اقتنعت (منى) بكلام زوجها وعزمت على تنفيذه بالفعل غير أنها سئمت احتقاره لها فكان ردها:

-أرى أن تحتفظ بنصائحك لنفسك...ما زلت قادرة على تدبير أمورى بنفسى دون مساعدات

-وانا ما زلت أكرر نصيحتى بالسيطرة على لسانك يا عزيزى...قد يسبب لك المتاعب فى المستقبل.

قالها وأنفه على حالها من اخراج ذلك الدخان الكثيف لما اعتاد على احراقه من سجائره وهو لا يزال على جلسته الروتينية على كرسيه الهزاز...هيئة مستفزة لشخص أكثر استفزازا جعلت زوجته تنصرف مبدية حنقها ولا تعبر عنه بلسانها خوفا من تجدد لشجار لن تقوى عليه وهى فى ظروفها تلك...فهى فى غنى عن المزيد من المتاعب...اكتشفت أخيرا الفارق بين (وحيد) و (جمال)...بين من اتقى الله فيه ومن لم يفعل...بين من عاملها كشريكة نجاح ومن عاملها كسلم أراد الصعود عليه للوصول للنجاح منفردا...شتان بين الواضح والمتلون...شتان بين مخلص للأمانات وخائن لحملها...ما رأته من (جمال) طيلة السنوات السابقة لم يكن ذلك الذى عاهد عليه أباها قبل موته وزواجها...قدرة كبيرة على مخالفة الوعود ونقض العهود...مهارة فائقة على التلون والتصنع...باتت على ثقة الآن أنها لولا امتلاكها لبعض من أملاك أبيها لم يستول عليها ذلك المذموم لكانت الآن مشردة وابنها فى الشوارع لا تجد عائلا...لكنه عطف الأقدار بها الذى أبى أن يضيعهما.

على عكس ذلك التوتر فقد عمّت الفرحة المعسكر الآخر بعد نجاح أولى الخطوات التى خططها (عبد الله) ونفذها (سامى) بحنكة...تلك الفرحة التى جسدها حديث (عبد الله) ل(وحيد) قائلا:

-البشرى لك يا صديقى

-خيرا يا (عبد الله)؟

-(منى) تطلب لقاء معى بصفتى صاحب التوكيل الجديد

انتفض (وحيد) من مكانه تكاد فرحته تذهب بعقله قائلا:

-ماذا؟...أجاد أنت فيما تقول؟

-بالطبع...وقد حددنا الميعاد ليكون غدا ان شاء الله...فلتجهز نفسك وكلماتك للقاء انتظرته طويلا يا عزيزى

-من دون شك يا (عبد الله)...من دون شك

كم هى دوارة تلك الأيام...ها قد حان اللقاء الذى انتظره (وحيد) أكثر من اثنى عشر عاما...عاش خلالهم عيشة الراغب فى الانتقام الغير قادر عليه...تصور فى فترة من الفترات أن مناله من (جمال) وزوجته بات دربا من دروب الخيال...خاصة فى أعقاب أحداث ذلك اليوم الذى رأى فيه صورتهما فى الجريدة وأيقن أنهما من كبار الشخصيات التجارية فى المجتمع...أمر ذلك اللقاء بالنسبة له كان أشبه بوصوله لمنتصف الطريق الذى يخطوه ليصل فى نهايته للقضاء على عدوه الأوحد...لقاء بزوجته القديمة التى لم يرها طوال تلك المدة...لا زال يذكر آخر لقاءتهما حين حُكم عليه بالسجن وأتاه أبوها ساعتها لانما...لم تكلف نفسها حتى عناء المواساة ولو بكلمات متكلفة تساعد بها زوجها الذى دُمرت حياته...اكتفت بمتابعة حديثه وحديث أبيها بعينين دامعتين لا جدال فى كونها دموع الحزن على نفسها وعلى والدها المصدوم...ها قد انقضت السنون سريعا وانقلبت الآية وبات فى الوضع الأكثر قوة كما قال له صديقه الأسوانى...الأن فقط يستطيع الوصول الى ما أراده وأكثر... ان حظى ببعض التخطيط والصبر...

fb.com/Book.juice

انقضى اليوم سريعا وحان وقت اللقاء الذى جاءته (منى) حسب الموعد السابق تحديده مع (عبد الله)...دخلت المكتب لتجد ذلك الكرسى الذى أعطى الجالس عليه ظهره للباب فلا يرى الداخل وجهه...لم يلبث ذلك الجالس المذكور أن استدار فجأة بعدما أحس بجلوس ضيفته على كرسى مقابل قائلا:

-مرحبا بك مجددا يا سيدة (منى)...انتظرت لقائك من جديد طويلا وها قد جاء ما انتظرته

رداء من الذهول التام كسى (منى) حتى كاد لسانها يصاب بالشلل فقالت بصوت مبحوح كادت المفاجأة تخرسه:

-و...و...وحيد؟

-هو بعينه يا عزيزتى...من الجيد أنك لم تنسِ اسمى أوهينتى...أهنئك على ذلك القدر الذى لازلتى تحتفظين به من الوفاء

استطردت (منى) بنفس النبرة المرتبكة:

-ما...ما الذى أتى بك الى هنا؟

ضحك (وحيد) ضحكة خفيفة من سذاجة زوجته السابقة قائلا:

-حسبتك ما زلتى على عهدى بك من الذكاء المفرط...تركتك وأنت تحظين بنصيب كبير منه...يبدو أنك فقدت جزءا كبيرا منه مؤخرا...أنا المالك الفعلى لتوكيل قطع الغيار الذى كان ملكك يا عزيزتى

-هل أنت (عبد الله)؟...هل غيرت اسمك؟

-لا زلتى تهزين...لم أتوقع أن تكون المفاجأة صارخة الى هذا الحد.

-(وحيد)...لا ذنب لى بكل ما أصابك...أقسم أنى لم أكن طرفا فى أى مكيدة حيكت ضدك من أى نوع...أنا وأبى ضحيتان مثلك تماما ليس أكثر

-تعلمين أنى ضحية اذن...لماذا كان اذن هذا السكوت السافر وهذا التخلى المخزى عن حقوق زوجك؟...بل انك طلبت الانفصال عنه.

-أقسم أن ذلك لم يحدث...لأم تخرج من فمى كلمة واحدة تفيد برغبتى فى الانفصال عنك!

-أبوك من قال ذلك...أم تراك تكذبينه؟

-بالطبع لا...أنا وأبى ضحيتان ل(جمال) كما سبق وقلت لك...نجح باقتدار فى السيطرة تماما على لُب أبى...أقنعه بطمعك وطموحك الزائد و....

قاطعها (وحيد) بهدوء قائلا:

-ألا ترين أنك تتخلين عن زوجك بسهولة زائدة نوعا ما؟...أم تُراكى اعتدتى على ذلك؟

-لم ترَ منه ولو جزءا ضئيلا مما رأيت يا (وحيد)...أعيش فى جحيم منذ ذلك اليوم المشئوم الذى تزوجت منه فيه

-لم أرَ جزءا مما رأيته؟...أتعقلين ما تقولين يا عزيزتى؟...ذلك المذكور تسبب فى قضائى عشرة أعوام من أجمل أيام عمرى فى مكان لا أستحق حتى المرور من أمام أسواره...اضافة الى تشويه سمعتى وحرمانى من زوجتى وولدى وعملى...أى مقارنة ظالمة تلك التى تعقدينها؟

-لا شأن لى بما بينكما يا (وحيد)...فلم أكن يوما صاحبة رأى أو اختيار

-رغم عدم اقتناعى بما تقولين...الا أن انتقامى لن يشملك بأى حال من الأحوال...ليس لأجل دموعك التى تذرفينها الآن...فما تساوى عندى ساعة واحدة قضيتها فى ظلمات سجنى

fb.com/Book.juice

ظلما...انما لأجل ولدى الذى تكفلينه...لا أريد له أن يُصدم فى أمه أو أن يفقدها...فمعنى اليتم لا يقدره الا أمثالى من ذاقى مرارته.

هالت (منى) كلمة اليتم تلك...فما قيلت الا لتعبر عن نية (وحيد) فى انتقام يصل حد القتل...فكان ردها الحامل للخوف بين كلماته:

-أنا آسفة بحق يا (وحيد)...آسفة بشأن كل شئ!

ضحك (وحيد) ساخرا:

-آسفة؟...يا لها من كلمة...ترينها تعادل عشر سنوات من مصاحبة المجرمين...ترينها تعادل النوم بعين غافلة وأخرى على أقصى درجات اليقظة خوفا من غدر أحدهم...ترينها تعادل اقتصار النظر على جدران أشبه بالقبور واقتصار السمع على كلمات أشبه بكلمات الشياطين؟... ان كنت ترينها كذلك فلا أملك الا أن أقبلها بالطبع بكل صدر رحب.

صمتت (منى) تلك المنهارة نفسيا لا تجد ردا يلائم ما قاله (وحيد) بعدما أسكتت كلماته حججها الواهية...فطن لذلك فاستطرد قائلا:

-على كل حال تستطيعين اثبات حسن نيتك وتفعيل أسفك هذا فعلا لا قولا

-ماذا تقصد؟

-اعلمى انى الآن غريم قوى يستطيع الفتك بك وبزوجك فى أى وقت حين يريد...قد جربتى ذلك بنفسك فى توكيل قطع الغيار...لا أنصحك برفض التعاون معى خاصة وأنك على خلاف مع هذا التافه منذ وقت ليس بالقصير...حتى انه...قد تزوج بالفعل

انتفضت (منى) واقفة وقد جُنَّ جنونها قائلة:

-ماذا تقول؟

-اهدئى يا عزيزتى...لم تعد له زوجة غيرك الآن...فلقد طلق مؤخرا زوجته الثانية تلك...لكن بعدما نجح فى الاستيلاء على كل ما تملك

-من أين لك بهذه المعلومات؟

-ليست الا حقائق...أتودين رؤيتها ليطمأن قلبك الى صدق ما أقول؟

صمتت (منى) مذهولة مما تسمع وقد تعلقت عيناها بذلك الباب الجانبى الذى أشار له (وحيد) فخرجت منه تلك المرأة التى قال لها:

-تفضلى يا سيدة (مروة) بالجلوس...هذه هى السيدة (منى) زوجة (جمال) زوجك السابق

-هذا المخادع اللعين...نجح فى خداعى باحترافية شديدة الى ان استولى على كل ما املك

تدخلت (منى) فى الحوار قائلة:

-متى كان ذلك الزواج يا سيدتى؟

-منذ ما يقرب من عامين...تعرفت عليه فى ايطاليا حيث كنت أجرى بعض الأعمال...حينها طلب الزواج منى ووافقت على ذلك

صمتت (منى) فى هيئة المصدومة مما تسمع...فبالفعل كان (جمال) فى ايطاليا منذ عامين...لا يبدو على هذه السيدة أنها تختلق قصصا واهية على أية حال...يبدو كلامها وسردها تلقائيا مصحوبا بنبرة التى جنى عليها شخص ما ليس الا زوجها المدان...قطعت (مروة) تلك اللحظات من تفكيرها قائلة:

-على الرغم من أنه لا يبدو عليكى عدم تصديقى الا أننى سأقدم لك ما يقضى على آخر بذور الشك داخلك مما أقول...هذا هو عقد زواجنا...أنا لست طالبة مصلحة يا عزيزتى...لا أريدك الا أن تأخذى حذرك فقط...هذا كل ما فى الأمر...فلا يبدو على مثلك أنك أهل للتشرد أو الضياع

أخذت (منى) عقد الزواج فى حذر ناظرة الى مخاطبتها بوجه ما زال الذهول مسيطرا عليه وأخذت تتأمله بمنتهى الحرص...بدا حقيقيا لا ريب فيه...هو بالفعل توقيع زوجها الذى تحفظه عن ظهر قلب...اكتملت الآن الصورة الكاملة لمخطط زوجها الذى أوقع به زوجة سابقة وعلى وشك الايقاع بزوجته الحالية ان لم تأخذ حذرها كما أوصتها تلك المرأة.

استمر الحديث بين المرأتين طويلا وسط نظرات خبيثة من (وحيد) ترافقها ابتسامة أخبث...فها هى الأمور تسير بأفضل مما توقع وخطط...آثر انتهاء الحديث بينهما عند هذا الحد ليكمل الجزء الثانى من خطته قائلا:

-يكفى هذا يا سيدة (مروة)...يكفى السيدة (منى) ما سمعته...ليست بحاجة لسماع المزيد

-هو كذلك يا سيد (وحيد)

قالتها والتفتت الى (منى) بالكلام قائلة:

-حظ موفق يا عزيزتى...أتمنى أن تكونى أسعد نصيبا منى بعدم وقوعك فريسة لهذا الثعبان...قد لا تجدين من ينتشلك من أمواج الضياع مثلما كان حالى ان نجح فى ذلك...فلولا السيد (وحيد) وفَّر لى عملا عنده لكنت الآن أقف تحت أحد الكبارى أتسول ثمن معيشتى

قاطعها (وحيد) قائلا :

-لا داعى لذلك يا سيدتى...لا داعى لذلك...لقد ذقت الهوان والذل كثيرا وما كنت لأحتمل رؤية آخر يتجرع مرارتهما

-هو فقط اعطاء الحق لأصحابه يا سيدى...لن أنسى فضلك ما حييت...استأذن بالانصراف

انصرفت تتابعها عينا (وحيد) و (منى) حتى غادرت المكان قبل أن يستأنف (وحيد) كلامه قائلا:

-أظنك الآن أيقنتى صدق كل كلمة لفظها لسانى اليك قبل قليل...لا أملك كلاما أضيفه الى ما كان...أريد فقط سماع ردك عن امكانية التعاون بيننا.

ردت (منى) بتلك النبرة لزوجة ملأها الغيظ واستوطنتها الكراهية فرغبت فى الانتقام:

-سل ما تريد يا (وحيد)...أقسم أنى لن أكون فريسة أخرى يضيفها ذلك الخائن الى قائمة فرائسه.

ابتسم (وحيد) ابتسامة عريضة حملت الرضا بين جنباتها قائلا:

-الآن فقط نستطيع الحديث فى هدوء

امتد بهما وبحديثهما الوقت مدة ليست بالقصيرة...علم (وحيد) خلالها أن (جمال) قام بأكثر من عمل غير قانونى طيلة السنوات الماضية من تجارة للسلاح والمخدرات وهو ما ساهم فى تنامى رأس ماله أضعافا مضاعفة...لابد اذن من وجود مستندات وأوراق تنص على ذلك...وبالتأكيد يخفيها (جمال) فى مكان ما لا يعرفه سواه...وربما زوجته...تلك التى وعدت (وحيد) بالبحث عنها بكل ما أوتيت من طاقة وامكانات مع وعد من (وحيد) بحمايتها ان كُشف أمرها...لم تكن (منى) فى الواقع بحاجة الى حافز أو مكافأة فما زرعه (وحيد) بداخلها من الحنق والرغبة فى تدمير زوجها كاف لاتمام المهمة على أكمل وجه...فاقتصرت مطالبها فقط على الحماية وهو المطلب الذى كان وعد (وحيد) بالتكفل به...انصرفت من فورها الى حيث تبدأ عملها الذى نص عليه اتفاقها مع زوجها السابق...يدفعها لذلك أمران...أولهما ذلك الزواج الذى لم تعلم بأمره وخوفها الشديد من أن تلقى نفس المصير...وثانيهما خشيتها من انتقام (وحيد) الذى أيقنت مدى قوته الآن...بدا من كلامه أنه عازم على القضاء على زوجها بأى ثمن سواء ساعدته أو لم تفعل...فآثرت أن تكون فى صفوف الفريق الأقرب للفوز من خصمه...ليست الا نظرية البقاء للأقوى اذن التى رأتها سائدة فى حياة الغابة تلك...أطاح (جمال) ب(وحيد) حين استطاع ذلك...وها هو الآخر عائد لرد صفعته بأعنف منها...وعليه فقد كان عليها الاستتار بسطوة الأقوى لتضمن البقاء فى ظل هذه الصراعات.

لم يكن (وحيد) بالطبع يعبأ بكل تلك التخمينات والنظريات المتأرجحة فى رأس زوجته السابقة...تنوع شعوره بين نشوة بالنجاح فى أول خطواته وترقب لما سيسفر عنه نجاح تلك الخطوة...جلس على كرسى مكتبه يملأه ذلك الشعور بين النشوة والترقب...يستند بظهره الى ظهر كرسيه واضعا احدى قدميه فوق قرينتها يقلب قلمهبين يديه وقد تثبت نظره باتجاه واحد يركز فيما كان وما سيكون...لم يخرجه من حالة صمته وتركيزه تلك الا صوت صديقه (عبد الله) القائل:

-أهنيك بنجاح أول الخطط يا صديقى

-لم تكن لتتم لولاك يا (عبد الله)...قصة (مروة) تلك كان لها مفعول السحر...كانت حجر الزاوية فى موافقتها على التعاون المشترك بيننا

-لم تكن فكرتى على أية حال...يعود الفضل فى هذا لك أيها الداهية

-ويعود الفضل فى تنفيذها لك...نجحت فى اختيار ممثلة بارعة قاربت أنا نفسى على تصديق قصة زواجها الوهمية تلك من (جمال)...ذلك العقد المزور أيضا اضافة الى اختيار توقيت كان فيه متواجدا فى ايطاليا أضافا صبغة من الواقعية على الأحداث

تبادل الصديقان الضحكات حينا قبل أن يعود الجد الى حديثهما من جديد

-لكن هل ترى (منى) قادرة على تأدية ما طلبت منها بالنتيجة التى تود الحصول عليها؟

-أنا على ثقة من هذا يا (عبد الله)...غيظها من (جمال) وشعورها بالخطر من ناحيته تارة...ومن ناحيتى تارة أخرى سيدفعانها بكل تأكيد لاتمام حتى مالا تستطيع اتمامه فى الظروف العادية.

-دعنا اذن لا نسبق الأحداث وننتظر ما ستسفر عنه تحركات (منى) ضد عدوك اللدود

استمر الحوار قانما بين الصديقين حينا...فى الآن الذى كانت فيه (منى) تبذل قصارى ما لديها للعثور على أدلة لادانة زوجها كما نصَّ اتفاقها مع (وحيد)...مما أضفى على تصرفاتها شيئا من الغموض رغم جهدها الشديد فى عدم اظهار أى نوع من أنواع التغيير على ردود أفعالها تجاه (جمال)...ذلك الذى لم ينل ذلك الغموض من تفكيره كثيرا بعدما ظنه اعتياديا فى ظل حالة الجفاء التى تمر بها علاقتهما...فلم يخطر بباله قط أن فى بيته جاسوس يعمل لصالح ألد أعدائه...بل انه ربما حتى يكون قد نسى أن هناك شخصا يسمى (وحيد) ألقاه فى سجنه قديما ذات يوم...فأكثر من عشرة أعوام ليست بالمدة الكافية التى تسمح لأمثاله بأن يظل ذاكرا لمن ظلم وخان.

فترة قاربت على الشهر لم تنقطع فيها الاتصالات السرية بين (وحيد) و (منى) بلا جديد يهتم له (وحيد)...حتى كانت تلك المكالمة التى أثلجت صدره أخيرا...بدا متأهبا لسماع شئ جديد كعادته...خاب أمله فى سابق المرات وآن له ألا يخيب تلك المرة...نجحت (منى) فى العثور على بعض ملفات تدين (جمال) فى عمليتين أخيرتين لتجارة السلاح...لم يسعفه وقته كثيرا لاخفائها الى جوار أخواتها فى مخبأه الذى لا يعرفه غيره...لعل ذلك من حظ (وحيد) السعيد لحصوله أخيرا على شئ يدين غريمه...أو بالأحرى من حظ (منى) تلك التى ضمنت الأمان من (وحيد) بعدما لبت له ما أراد...لم يمض وقت طويل حتى كانت الملفات فى حوزة (وحيد)...بات يمتلك لليل ادانة راوده الحلم بامتلاكه سنوات...قام من فوره بتصوير نسخة منها وبعثها الى (جمال) مع ورقة فى المقدمة كتب فيها:

-ان أردت الحصول على أصل تلك الملفات التى كانت بحوزتك عليك فقط بالذهاب الى العنوان المدرج بالأسفل غدا فى تمام السادسة...لا أريد أن أرى أحدا بصحبتك...تعال وحدك ولا أنصحك بمخالفة ذلك...فلا أظنك تحب أن ترى الشرطة تلك الملفات

لم يكد (جمال) يرى تلك الملفات حتى جُنَّ جنونه...قام من فوره الى حيث كان يخفيها فلم يجد لها أثرا...سمة من تسلل وسرق تلك الملفات اذن...أو...أو قد تضم جدران بيته خائنا باعه الى خصم ما...لن يتعجل الحكم الآن...آثر الانتظار لما سيسفر عنه لقاءه مع ذلك العدو المجهول قبل اتخاذ أى خطوات ليست فى محلها...ليس عليه الآن الا اكتشاف ماهية ذلك

الخصم قبل فوات الآوان...لم يعد أمامه الا الالتزام بذلك الميعاد الآن...علّه شخص أراد مالا أو شيئا كهذا...انقضى اليوم سريعا...قضاه (جمال) مسرفا فى سجائره وخموره...أتعبه التفكير بشدة فى ذلك اليوم...لكنه مع تفكيره لم يصل لنتائج تزيل عنه ابهام ما يحدث...

ساعات وكان (جمال) متواجدا بمكتب (وحيد)...ذلك الذى قابله بنفس الطريقة التى قابل بها زوجته...استدار بكرسيه قائلا:

-أراك التزمت بميعادك على أكمل وجه...أتراها عادتك أم...لأنه شئ يتعلق بذهابك لزنزانة لن تقوى على احتمال حياتها؟

قام (جمال) متثاقلا من على كرسيه وقد اتسعت مقلتاه قائلا:

-أنت؟!

-لماذا الفزع يا...صديقى؟...أتعلم؟...لا أظن صديقى تلك تلائمك كثيرا...ما رأيك ب...وغد...أو ...حقير...أو شئ كهذا؟...أظنها ألقاب تلائمك أكثر...أليس كذلك؟

-توقف عن لفظ الاهانات يا هذا

علا صوت (وحيد) وضرب بيده سطح مكتبه قائما يقول فى غضب:

-لم يأت وقت الاهانات بعد يا صغيرى...ليست الا البداية فقط...ولا أظننى أصفك الا بما أنت أهل له

قالها وترجل من مكانه بعض خطوات مستطردا:

-أظنك الآن أيقنت أن خطابى اليك قبل أكثر من عشرة أعوام لم يكن عبثا

-كم تريد؟...ليس لدى وقت أضيعه

-بل ماذا أريد...لست بحاجة للمال كما ترى

-هل قال لك أحدهم قبل ذلك أنك فاشل بالمراوغة؟

-لا أظن أن احدا تجرأ وقالها...وان خانه لسانه وقالها تكن نهايته على كل حال...الموضوع أبسط من أن أرهق ذهنى بتفكير فيه

-أهو تهديد؟

نظر (وحيد) حينا الى السماء كأنه المفكر فى شئ ما قبل أن يعود بنظراته الى (جمال) قائلا بنفس النبرة الهادئة فى برود:

-لنعتبره كذلك ان شئت...ان كنت تراه تهديدا فلا بأس...أنا أهددك يا عزيزى

fb.com/Book.juice

-لم أعد أتحمل هذا الهراء

قالها وقد علت نبرة صوته قبل أن يستطرد قائلا:

-سأكررها لآخر المرات...كم تريد لقاء هذه الأوراق؟

-أولا دعنى أنصحك بعدم الخروج عن شعورك...قد يكلفك هذا كثيرا ان عاودت تكراره معى مرة أخرى...اما ثانيا...فدعنى أهنئك...لا زلت تحتفظ بنفس القدر من الغباء...لم تنجح أموالك الحرام فى اكسابك بعضا من ذكاء طالما افتقدته وبحثت عنه

-التزم حدود الأدب يا هذا...كن على وعى بهوية من تخاطب

-أنا على وعى كامل...لا تقلق بشأن هذا فلست اتعاطى المخدرات أو أتناول الخمور مثلما تفعل...احتفظ بنصيحتك الجوفاء لنفسك...أما عن حدود الأدب تلك فأظنك أول من تخطاها قديما...

اقترب منه مستطردا بصوت خافت هدأت نبرته كثيرا:

-لماذا فعلت ما فعلت؟

أعطاه (جمال) ظهره قائلا:

-لا أعرف عما تتحدث

-لجأت للمراوغة وقد كنت تخذرنى منها قبل قليل

صمت (جمال) حينا وكأنه لا يسمع ما يقال له فاقترب منه (وحيد) أكثر قائلا:

-حسنا دعنا نتحدث باللغة التى تفهمها ويفهمها أمثالك...لنعقد بيننا صفقة صغيرة قد ترضى جميع الأطراف...ان أعطيتنى سببا واحدا مقنعا لخيانتك القديمة تلك فلك أوراقك بلا مقابل

عاد (جمال) لمواجهة (وحيد) قائلا:

-وماذا يضمن لى صدق ما تقول؟

-هذه هى النسخة الأصلية من الأوراق...لا توجد نسخة منها غير تلك التى أرسلتها اليك...لقد كنت بجانبى سنوات وتعلم انى ان أعطيت وعدا لأحد لا أنكره

صمت حينا قبل أن يكون رده:

-حسنا...لا بأس...سنرى على أية حال فلن أخسر شيئا من مجرد السرد

-كلى آذان صاغية.

---

fb.com/Book.juice

مازال نظر ذلك الفتى فى أواسط ثانى عقود عمره متعلقا بأمه التى لم يرها على تلك الحالة من الارتباك قبل الآن...رآها تسرع وبشدة فى جمع متعلقاتها ومتعلقاته فى حقائب لم يعتد ظهورها الى فى سفر كافله (جمال)...تصرفات دعته الى الاستفسار قائلا:

-ماذا تفعلين يا أمى؟

-كما ترى يا (حسين)...أجمع كل ما يخصنا فى ذلك البيت...

-لماذا؟

-سنغادر الى مكان آخر...علينا الابتعاد عن هنا بعض الوقت

-أين هذا المكان يا أمى؟...بل لماذا سنغادر من الأساس؟

-كفاك أسئلة يا بنى...أريد أن أنهى ما أفعله فى أسرع وقت...لا وقت لدينا للمناقشات...كن مطيعا وكف عن الاستفسارات

-بل لا أصمت يا أمى...أريد أن أعرف الى أين سنذهب ولماذا سنذهب

أيقنت (منى) أن ولدها لن يكون حليف السكوت قبل أن يعلم ما يريد أن يعلمه فكان سؤالها الذى باغت الفتى:

-ألا تريد أن ترى أباك يا (حسين)؟

تعجب الابن بشدة من سؤال أمه المفاجئ فكان رده التلقائى:

-أنا بالفعل بين أحضانه يا أمى...

-لا أقصد (جمال) يا (حسين)...أنسيت أن اسمك (حسين وحيد)؟

-تقصدين أننا سنذهب لرؤية (وحيد) هذا؟

-هو كذلك بالفعل يا عزيزى...ألا تتركنى الآن أنجز ما أريد انجازه؟

-لكنى أحب أبى (جمال) كثيرا يا أمى ولا أريد رؤية ذلك ال(وحيد)...لا حاجة لى به...لا أريد أن ابتعد عن أبى (جمال) فأنا على ثقة أنى لن أجد له بديلا مهما كان

التفتت الأم الى ابنها من جديد وقد أمسكت بذراعيه وبات لا يفصل وجهها عن وجهه الكثير قائلة:

-(حسين)...هناك من أمور الكبار ما لا تعلمه يا حبيبى...لا أريدك أن تشغل نفسك بالتفكير فيها فسوف ترهق ذهنك الصغير...كل ما أريدك أن تكون على ثقة تامة منه أنك لن تجد من الأحياء من هو أحن عليك ولا أحرص على مصلحتك من أمك التى تخاطبك الآن...وعلى هذا الأساس فكن على يقين أنها لن تتخذ أى خطوة قد تشك ولو للحظة أنها لن تجد فيها سعادتك

قاطعها الابن الثائر بحدة قائلا:

-لا شأن لى بأمور الكبار ومشاكلهم...كل ما أنا علم به أنى لا أريد الابتعاد عن ذلك البيت بأى حال من الأحوال...(جمال) أبى ولا أريد أبا غيره...طوال عمرى لم أرَ (وحيد) هذا ولا أريد أن أراه...فحياتى تسير بدونه على أفضل ما يكون

-يبدو أن الجدال لا يصلح لاقناع الأطفال...حسنا...لن تسير الأمور الا كما أرى وأحدد...جهز نفسك لما تريده أمك وكفانا نقاشا لن يأتى بجديد النتائج.

انتهى الحوار عند هذا الحد وسلّم الفتى برغبة أمه على مضض وهو الذى لا يملك خيارا آخر...وبالفعل لم يمضِ وقت طويل حتى كانت (منى) وولدها يغادران الى منزل (وحيد) حيث كان بانتظارهما (عبد الله) كما كانت توصيات (وحيد له)...غادرا خوفا من بطش (جمال) حين يكتشف المؤامرة التى حيكت ضده بمنتهى الاتقان...فهو لن يعبأ بمزيد من الضحايا ان شعر أنه على وشك السقوط...حينها ستطال ناره الكثير...وأولهم زوجته وابنها.

ها هى اللحظة التى انتظرها (وحيد) سنوات...لحظة حل اللغز الذى طالما أرّق لياليه وشاب أيامه...ما زال ينتظر سرد (جمال) الذى لن يضيره بشئ على حد قوله...كانت بداية مبهمة الى حد كبير حين سأله:

-هل لك أن تخبرنى باسمى؟

-ماذا؟

-كما سمعت...أخبرنى باسمى

-عدنا للمراوغة من جديد

-ليست مراوغة...انما هو لب الموضوع...فى ذلك الاسم يكمن حل اللغز.

-حسنا...حسب ما أملك من معلومات...فأظن اسمك (جمال).

-ألا تكمله؟

-(جمال سيد) على ما أظن أو شيئا كهذا...لا أذكر تحديدا فلم تكن بى حاجة للاحتفاظ به

-اليك الاسم بالتفصيل اذن يا عزيزى...جمال...سيد...عبد الرحمن...الساعى!!

-ماذا؟...أقلت الساعى؟؟

-نعم...أو كما هو الاسم المعتاد (جمال سيد الساعى)

هالت الكلمات (وحيد) فكادت تذهب بحركة لسانه غير أنه تماسك رغبة فى سماع القادم من الكلمات متسائلا:

-أنت...أنت ابن (سيد الساعى)؟؟

fb.com/Book.juice

-أكبر أبناءه...ذلك الابن الذى شرده ابن خالك قديما بالايقاع بأبيه وضياعه يتنقل بين هذا وذاك باحثا عن عمل يوفر له قوت يومه وهو لا يزال ابن الرابعة عشر...كان أبى متزوجا بامرأتين...أمى فى البداية ثم أم (على) صديقك الشهيد...ماتت أمى وتركتنى صغيرا دون العاشرة...لم أجد فى الحياة حاضنا الا أبى...لم أنعم بالعطف الا فى كنفه...كان أرحم من رأيت وأطيب من عايشت...ورغم شدته على عماله وغلظته فى عمله الا أنه كان نعم الأب الرحيم...وحين دخل السجن شقّ عليه ذلك ومات فى سجنه منهارا مما حدث...اتجهت أم (على) الى أهلها وعاشت فى كنفهم...اما أنا...فكان التشرد مصيرى بعدما تمت مصادرة أموال أبى...عزمت بعدها على الانتقام من هؤلاء الذين تسببوا فى تدمير حياتى...لم يبق منهم أمامى الاك بعد وفاة ابنى خالك وأمهم...راقبتك بكل دقة أتحين الفرصة المناسبة للانقضاض عليك...وحين تطوعت بالجيش وقضت الأقدار بوجود (على)الى جوارك...بعثت اليه العديد من الخطابات أحثه على قتلك فى أى عملية من تلك التى تقومون بها...حاولت اقناعه جاهدا بأن أمره لن ينكشف...يتم اعتبارك شهيد ولن يشك أحد فى الأمر...لن يخطر ببال أحد أن متطوعا قتل زميله لأى سبب كان...كان آخر خطاباتى له ذلك الذى وصله ليلة الحرب...ذكرته فيه بذكرى أبيه الراحل وحنانه بنا الذى وأده من يحيا الى جواره بأمتار وهو لا يستطيع أخذ ثأره...كم كان ضعيفا أخى الشهيد...لم يعبأ بكل ذلك...رفض الفكرة تماما وسماها خيانة...رحل شهيدا وبقيت أنا فقط من أسرة (سيد الساعى) أحمل هم الانتقام...حتى اتممته قبل أكثر من عشر سنوات...هذا كل ما فى الأمر باختصار.

-الآن فقط اتضح حل اللغز بالفعل...هذا يفسر اعتذار (على) الغير مفهوم لى ليلة الحرب...أتعلم يا (جمال)؟...أنت وأخاك تذكراننى بأبى وعمى...كان أبى كأخيك لا يحمل حقدا أو كراهية لأحد...طالما آذاه عمى وآذانا معه ولم تتغير طيبته أو يصدأ معدنه الأصيل مثلما كان حال أخيه...وعلى النقيض تماما كان عمى حاملا تلك الصفات التى أراك تشترك معه فى كثير منها الآن...عن أى انتقام تتحدث؟...ألم يكفك ما فعله بنا أبوك...لماذا نظرت للموضوع من جانب واحد...ما فعله ابن خالى لم يكن الا ردا للفعل بأقل منه بمراحل عدة...لم يرتق لبشاعة ما اقترفه والدك بحق أسرة لم تفكر يوما فى ايذاء غريب...لا علاقة لى بحنانه بك أو عطفه على أخيك...فلم ينلنا من هذا الحنان وذلك العطف شئ لنذكره به بخير...(سيد الساعى) لم يكن الا قاتلا ومعتديا على حقوق الغير...رفضت أمى الزواج منه فكان جزاءه باحراق محلها التى لا تملك من حطام الدنيا سواه...ولولا وجود خالى بجانبا لكنا الآن من سكان الشوارع نمتهن التسول...انظر جيدا لتلك العلامة فى وجهى...خطها أبوك بسكينه قديما ضاحكا ورجاله وسط صرخاتى حين حاولت استرداد حق أمى الذى سلبه هو مفتريا على أرملة لا تملك جزءا من جزء من قوته...لا ذنب لها الا أنها رفضت الزواج منه لتتفرغ لتربية ابنها الوحيد...حاول خالى بعدها الوقوف فى وجه ذلك الطغيان المتدفق على رؤوس الجميع فكان مصيره القتل غدرا كأبشع ما يكون...أى انتقام ذلك الذى تتحدث عنه؟...هل ترانى أستحق عشر سنوات من عمرى أقضيها سجينا بعد كل ما فعله بنا أبوك؟...وليتك اكتفيت بهذا...بل عمدت الى تشويه صورتى واثارة حماى لأطلق ابنته...

صمت حينا ينظر اليه وقد أوشك أن يفتك به غير أنه تمالك نفسه فاقترب منه مستطردا:

-والله لتجدن منى مالا يسرك...وسنوات سجنى تلك أعدك أنك ستقضى أحلك منها عما قريب

-أراك تثق بنفسك أكثر من اللازم...لا زلت (جمال سيد) رجل الأعمال الشهير...خلفى يرابط جيش من المحامين القادرين على انتشالى مما تود ادانتى به بأسرع مما تتوقع

ضحك (وحيد) ضحكة استهزاء قبل أن يقول:

-لو كنت تثق بهذا ما دخلت معى فى نقاش من الأساس...بل لم تكن قدماك اتخطو هذا المكان...لا زلت لا تقدر مقدار قوة خصمك...أريد فقط أن أضيف لمعلوماتك معلومة أخرى...فى شركاتك الآن من يعمل لحسابى...بل ان منهم من شاركك فى بعض عملياتك الغير قانونية...لا مفر من عقابى يا عزيزى

لم يجد (جمال) ردا بالطبع...نالت منه تلك الكلمات كثيرا...يبدو بالفعل أنه لم يقدر حجم (وحيد)...ذلك الذى اعد جيدا للحظة كهذه...استمرت كلمات (وحيد) تنهيها عبارته:

-انتهت مقابلتك الآن...أنصحك بالاعداد جيدا لما ستواجه من التهم...فمهمتك أصعب مما توقعت

قام (جمال) منصرفا يكاد خيفه وغيظه يهلكانه حتى كاد يُجن قبل أن تستوقفه كلمات (وحيد):

-بالمناسبة...كدت أنسى اخبارك بأمر ما...لن تجد زوجتك (منى) وابنى (حسين) بمنزلك بعد الآن...عاد ولدى لأحضانى أخيرا...أما أمه فلا أراها مازالت تطمع فى البقاء الى جوارك بعدما باعتك لى مقابل حمايتها

ابتسم (جمال) ابتسامة لا تنم الا عن خبث جم وكأنه وجد ذراعا ل(وحيد) يمكن امساكه منه لمنعه مما ينتوى فعله...تلك الابتسامة التى لم يرها (وحيد) بعد أن انصرف وكأنه لم يسمع ما قيل له.

أحس (وحيد) بقدر كبير من الراحة النفسية بعد انكشاف ذلك اللغز الذى ظل محجوبا عنه لسنوات...لم يتخيل يوما أن يكون الأمر كذلك...فكانت ابتسامته الطويلة التى اتبعها حديثه لنفسه قائلا:

-يا لها من قصة!

انقضت أيام عدة كل طرف يعمل على دعم موقفه بكل ما أوتى من قوة...ظل (وحيد) فى فيلته تلك التى انضم اليه فيها زوجته السابقة وولده الذى لم يره منذ ثلاثة عشر عاما بعدما أعد لهما جناحا بها للاقامة...فوجئ بصديقه (عبد الله) يدخل عليه فى تلك الليلة التى أعقبت حديثه ب(جمال) بعدة أيام وقد أمسك فى يده ورقة...لم يتبين (وحيد) معالمها جيدا...بدت كخطاب أو شئ كهذا...هينة لم يعتد (وحيد) عليها من صديقه...لكنه تغاضى عن تلك الغرابة فى صورة (عبد الله) مرحبا به كما اعتاد الاثنان...رد (عبد الله) قائلا:

-لم تكن بحاجة لتعاون من هذا النوع يا (وحيد)

fb.com/Book.juice

قام (وحيد) من مكانه مترجلا باتجاه صديقه وعلى وجهه تلك العلامات لمتعجب مما يقال غير فاهم لمقصده قائلا:

-لا أفهم عما تتحدث

-ربما تفهمك هذه الورقة انن

قالها وقد رفع الورقة لتكون فى مواجهة زميله الذى التقطها فى حذر وكأنه أصبح على علم بما تحتويه...تمعن فيها قليلا قبل أن يطبقها مرة أخرى ويعطى ظهره لصاحبه خجلا منه قائلا:

-لم أكن أملك من الحلول غير هذا

تحرك (عبد الله) من مكانه خلف صديقه حتى بات فى مواجهته قائلا بنبرة جمعت اللوم والغضب فى آن واحد:

-أخفيت عنى كل هذا...لولا تلك الورقة الناصة على خطاب من (سامى) لك والتى يبدو أنك نسيتها بالخطأ بين ملفاتك لظللت على جهل بما يحدث لأجل لا يعلمه الا الله...لم تكن بحاجة لتعاون مشبوه يا (وحيد)...ما بمثل هذا تسترد الحقوق...

قاطعه (وحيد) بنبرة كاد يشوبها البكاء:

-بل بمثل هذا...بمثل هذا يا صديقى...لقد سرت فى طريق الاستقامة عقودا لم ألق من استقامتى الا رميا فى زنازين لا زالت كوابيس لياليها السوداء رفيقتى حتى اليوم...ويوم كُتب لى الخروج منها لم أجد عملا الا ذلك النوع الحقير من الأعمال الذى لا يكفل لى حتى قوت يومى...انظر لحالى اليوم وقد سرت فى طريق (سامى)...أنا الآن رجل أعمال أستطيع بأموالى فتح أى باب أوصدته دنياى من قبل فى وجهى...أوشكت على أخذ ثأرى من ذلك الخائن الذى حلمت بالقضاء عليه أعواما...أتذكر حديثك الأول بيننا ليلة تعارفنا فى تلك الزنزانة اللعينة؟...ساعتها قلت لى لا تطمع فى استرداد حقك الا وأنت فى موضع قوة...وها أنا فى ذلك الموضع الآن أحقق كل ما لم يكن يتعد كونه حلما يراودنى...أعلى مثل هذا أسخط الآن؟...ألمثل هذا أرفض؟...والله لا أكون الا مختلا لا يستحق الحياة فى رغد...

أنهى كلامه وقد زاد انفعاله كثيرا مما أضاف لصوته علوا ملحوظا...لم يجد (عبد الله) ردا رآه يصلح لاقناع صديقه الذى أعماه الانتقام بخطأ موقفه...كان رده رد ذلك المتحسر على ماضى قريب:

-أتعلم يا (وحيد)...حين قضت الأقدار بدخولى السجن...لم أجد لى صديقا ساعتها الا الهم ولا رفيقا سوى الأحزان...ضقت ذرعا بكل من وجدته هناك من النزلاء...انعزلت عنهم...رأيتهم كلهم مذنبون من محترفى الجرائم لا يضمون بينهم من أطمأن لصداقته وآخذه رفيقا لسنوات سجنى...شخص واحد غير من فكرتى اليائسة تلك...وجدته نقيا فى زمن شائب...أمينا فى دنيا خائنة...بل وذو عزيمة فى حياة رحل فيها أصحاب العزائم...جمع صفات لا أراها تتواجد فى شخص واحد...حكمة مصحوبة بقوة...تروى مزان بشجاعة...وفطنة توجها ذلك الشعور النادر بالثقة بالنفس...صفات لا تجتمع الا فى شخص أراده القدر لأمر لا يكون له الا أكرم

الرجال...جاء الىّ ذات ليلة فى سجنى راغبا فى حمل بعض همومى ليضيفها الى أحماله من الهموم...أيقنت ساعتها أنى أمام شخص جدير بحمل مسئوليات طال بحثى عنه بين تلك الجدران التى لا تضم الا أرباب الجرائم والانحراف...حدثتنى نفسى برغبة صادقة فى اتخاذه كصديق...أيقنت من كلامى معه أن كان تلميذا لمعلم على نفس شاكلته من الحكمة...صدق حدثى وأخبرنى بما كان من كفاح أمه لأجله...لأجل أن تراه سائرا مثلها ومثل بيه فى درب الكفاح...كان نعم التلميذ لنعم الاستاذ...حمل أمانة هو أهل لها...أمانة اكمال مشوار تمنى وتمنت أمه اكماله لنهايته...أراه تخلى عن أمانته مؤخرا...مات صديقى (وحيد) الآن...حزنت لفراقه كما لم أحزن لفراق أحد...كان مجاهدا بحق...ورغم أنه لم يحقق كل ما أراد الا أن ذكرى جهاده العطرة لا زالت تعطر أنفى وتثير ذاكرتى حتى الآن...لا أملك الآن الا ترحما عليه وأمنية بلحاقى به باكرا قبل أن يقتلنى شوقى اليه والى أيامه...استأذن الآن بالانصراف...لأم يعد لبقائى أهمية بعد رحيل صديقى الأوحد...سأعود لذلك المرسم القديم الذى فارقته قبل ما يقرب من ثلاثة عقود...لا يهمنى كيف سأعيش أو من أين سأعيش...يكفينى السير على درب صديقى القديم...علّى أنجح يوما فى الوصول الى ما تمنته منه أمه ولم يحالفه النجاح فى انجازه كاملا.

كلام كاد يقصم ظهر (وحيد)...ورغم معرفته التامة به الا أن سماعه من غيره كان له وقع مختلف وكأنه يسمعه لأول المرات...أمسك بذراع صديقه الذى هم بالانصراف ملاحقا اياه برجاء أغرقته لمسات الندم حتى كادت دموعه ترافق رجاءه:

-ماذا ان علمت أن صديقك ما زال بحاجة اليك؟

التفت اليه (عبد الله) ورده جاهز كأنه توقع سؤالا كهذا:

-رحل صديقى كما قلت لك قبل قليل...أما عنك فأراك عثرت على أصدقاء آخرين وجدت فى كنفهم حياة الرغد التى بحثت عنها كما تقول...أأذن لى بالانصراف.

خطى بعد الخطوات لاتجاه الباب قبل أن يفتحه ناظرا مرة أخرى لصديقه نظرات ظنها الاثنان نظرات الوداع فدمعت عينا كليهما...لكنها تلك الصرخات الطالبة للنجدة القادمة من الطابق العلوى...أسرع (وحيد) الى مصدر الصوت يتبعه (عبد الله)...الصرخات تتتابع من غرفة ولده (حسين)...كان صوت الخادمة...تلك التى سألها (وحيد) فى فزع:

-ماذا حدث؟

لم تجبه...بل أشارت منهارة الى الأرض ودموعها تكاد تذهب بنور عينيها...نظر (وحيد) و (عبد الله) الى حيث تشير فاذا ب(منى) ملقاة على الأرض وسط بركة من دمائها...منظر أبشع من ن تتحمله عينا انسان...ميتة هى الأعنف ونهاية هى الأبشع...ذبحها أحدهم وفر هاربا...أمسك (وحيد) بالخادمة بعنف يسألها بصوت اعتراه الجنون بشدة:

-أين ولدى؟...أجيبى قبل أن الحقك بسيدتك

أبعده (عبد الله) عنها واتجه بشواله الى تلك المنهارة قائلا:

-ماذا حدث بالتفصيل؟

أجابت بصوت أبهمت دموعه الكثير مما حمل من الكلمات قائلة:

-لا أدرى يا سيدى...لقد سمعت استغاثة مكتومة قادمة من هنا...وحين أتيت وجدت الحال كما هو الآن...يبدو أن أحدهم قد قتل سيدتى (منى) حين حاولت المقاومة بعدما اختطف سيدى (حسين)

أجاب (عبد الله) بصوت سبقه زفير حمل بين أنفاسه حزنا اعتاد على مثله صاحبه قائلا:

-حسنا...

قبل ان يلتفت الى (وحيد) قائلا:

-لم يبتعد القتلة والخاطفون كثيرا عن هنا...لا يوجد طريق من هنا الا طريق واحد يؤدى الى الطريق الرئيسى...من المؤكد أنهم لا زالوا به...أبلغ انت الشرطة سريعا وسألحق أنا بهم مع أحد مسؤولى الأمن...أسرع لا وقت لدينا

رد (وحيد) بصوت تتأرجح نبرته بين الانهيار والغضب:

-الأمن؟...لأقتلنهم جميعا هؤلاء الأوغاد

-قلت أسرع...لا وقت لذلك الآن المختطفون يبتعدون بابنك!

قالها ثم تركه ذاهبا لتنفيذ ما اتفقا عليه...غادر (عبد الله) وتبعه (وحيد) كما نص كلام (عبد الله) قبل قليل

وعلى ذلك الطريق المهجور نوعا ما كانت المطاردة بين الفريقين...سيارتان تتعقبان بعضهما فى مشهد هو الأشبه بذلك المعتاد فى أفلام الاثارة...تظله تلك الأصوات المعتادة للمطاردات من احتكاك لاطارات السيارات بسطح الطريق...

وعلى جانب آخر كان (وحيد) بصحبة الشرطة لا يجدون هدفا...يبحثون عن خيط يتبعونه على ذلك الطريق الذى ما زالوا فى بدايته...حتى اخترقت آذان الجميع أخيرا ذلك الصوت المفزع لتبادل اطلاق رصاص...اتجهوا بدورهم الى مصدر الصوت...صادر من مكان أشبه بفيلا مهجورة...لم تجد الشرطة بدا من اقتحامها بطبيعة الحال وبعد حين من تبادل اطلاق النار تم القبض بالفعل على كل من فيها واسترجاع ذلك الفتى ابن الخامسة عشر وعودته من جديد لأحضان أبيه الذى هرول اليه يحتضنه فى ذلك الشوق المعتاد من أب لابنه الذى كاد يفقده...دقائق مرت على هذا الوضع قبل أن يفطن (وحيد) الى غياب صديقه (عبد الله)...سأل عنه أحد رجاله فقيل له أنه أصيب بطلق نارى وبانتظار الاسعاف لانقاذه...هرع اليه (وحيد) فوجده غارقا فى دمائه فى تلك اللحظات بين الحياة والموت...كانت المرة الثانية التى يشهد فيها احتضار أحد محبيه بعدما شهدها سابقا ليلة رحيل أمه...أحس به (عبد الله) فأمسك بملابسه قائلا والابتسامة لا تفارقه:

-ألم أقل لك أن أمنيتى الوحيدة باتت فى لحاقى بصديقى الراحل؟...يبدو أن أمنيتى قد تحققت بأسرع مما توقعت...

قاطعه (وحيد) بصوت خنقته الدموع:

-لا زال فى العمر بقية يا صديقى...الاسعاف على وشك الوصول و...

قاطعه ذلك الغارق فى دمائه قائلا:

-هى لحظات الاحتضار يا عزيزى...والله انى لأسعد الناس بخاتمة كتلك...ميتة المدافع عن حقوق صاحبه امضحى بنفسه كى لا يفقد صديقه ولده كما كان حاله هو...لكم أتمنى أن يعود احبى هذا الى سابق عهده من طهارة اليد وصفاء الفؤاد...أتراها أمنية صعبة يا (وحيد)؟

أشاح (وحيد) بوجهه يعصر عينيه التى تدر المزيد من الدموع وهو لا يجد ردا على كلمات صديقه الذى يخطو آخر خطواته فى سبيل الحياة الطويل

رآه (عبد الله) بطرف عينه فكان رده:

-حسنا يا عزيزى...يبدو أنها أصعب مما توقعت...أتعلم يا (وحيد)...لعل أبرز ما انتظره الآن هو مقابلة تلك السيدة التى حدثتنى عنها قديما...كم أتمنى لو أقبّل يدها...أتذكر السيدة (أمينة) يا (وحيد)؟...لا أظنك لازلت على عهدك بتذكارها...ألهتك الحياة بشؤون أهم من ذكرى والدتك الراحلة...لا جدوى من ذلك الآن...بقيت رغبة واحدة بداخلى يا صديقى...تذكرنى بخير...تذكر أنك صادقت ذات مرة رجلا أسوانيا فى تلك الزنزانة المظلمة قديما...كن على يقين أنه أحبك أكثر من أى شئ...فقط لأنه رأى فيك بذرة للخير تنبت بين صحارى من الشرور عهدها من دنياه...ماتت تلك البذرة أو لا زالت تواصل انباتها...لا أدرى مصيرها ولا أظننى أراه...يكفينى فقط أنى عهدت وجودها فى أحد سكان الحياة قبل أن أغادرها...الوداع يا (وحيد)...الوداع يا صديقى الأوحد.

قالها ولفظ آخر أنفاسه راحلا الى عالم آخر ضم الكثير من أحباب (وحيد)...لم يكن رحيلا عاديا كسابقيه...رحل حزينا على صديقه الذى قدمه انتقامه فريسة سهلة لجرائمه...رحل غاضبا من تمسكه بموقف هو على علم بنهايته السوداء...وما بين الحزن والغضب ظل آملا حتى آخر لحظاته فى عودة صديقه لأحضان بيئته النقية من جديد.

كان شعورا جديرا بالتسجيل ذلك الذى انتاب (وحيد)...شعور تاه بين الندم والحزن والتسليم بعدم عودته مما هو منغمس فيه...ها قد رحل آخر أحبائه...الوحيد الذى عوضه عن (حسام) ابن عمه...علامتان بارزتان قابلهما فى طريقه الشائك...سراجان مضيئان أنارا له الكثير من خطواته...طريقان ممهدان ارتسما له فى دنياه الغرورة التى طالما تفننت فى تعذيبه...محى الموت أول علاماته ومحت أطماعه ثانيهما...أطفأ الموت أول الأسرجة وأطفأ غروره ثانيهما...أغلق الموت أول الطرق وأغلق انتقامه ثانيهما...محو للعلامات واطفاء للأسرجة واغلاق للطرق...ولا زال بطل الحكاية يجابه دنياه بأقصى ما يستطيع...لا يحسبه أحد قادرا على اكمال مسيرة بتلك الصعوبة...هى قدرات بشرية متعارف عليها لا تحمل القدرة على

عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

هذا الكتاب حصرى على جروب عصير الكتب

انضم الينا لتحصل على كل ماهو جديد

follow me : facebook.com/OmaR.1.Bs

الصمود بعد كل ما كان...لكنها الدنيا التى ضنّت عليه بكل ما تمنى حتى الموت...وكأنها تتلذذ برؤيته صديقا لدموعه رفيقا لأحزانه التى لم تملأ صحيفته كلها بعد.

أيام مرت على (وحيد) بعد ذلك بالكاد خرج فيها من حجرته...لم يعبئ حتى بالقبض على (جمال) واعتراف الخاطف والقاتل أنهما من رجاله...يبدو أن موت (عبد الله) أنساه حتى انتقامه الذى قضى سنوات يخطط لتنفيذه...وسنوات أخرى لتنفيذ ما خططه...بات متخبطا بين عدد من أفكاره...بين بعض ربانى يطالبه بالرجوع عن طريق الضلال الذى يسير فيه...وبعض شيطانى يلح عليه بالاستمرار...وهو حائر بين الربانى والشيطانى لا يعلم أيهما المختار.

ذهب من فوره الى صديقه (سامى) فى شركته...استقبله بترحاب شديد وصل حد احتضانه قبل أن يمسكه من ذراعيه قائلا:

-لا أعلم ما يجب على فعله...أتعاذى أقدمها على مقتل (عبد الله) أم تهانى أشوقها للقبض على (جمال)

-قدم ما تشاء وسق ما تريد يا عزيزى...الحمد لله على كل شئ...جئت فقط لهدف محدد وأريدك أن تسمعه وتلبيه يا (سامى) بحكم ما بيننا من صداقة

-هدف محدد؟...لا تروق لى تلك النبرة البوليسية التى جئت بها يا (وحيد)...لا بأس...تفضل يا صديقى أنا أنصت بكل اهتمام

-تفضل يا (سامى)

قالها مادًا اليه يده وسط نظرات دهشة من صاحبه الى ما قدمه...ذلك الذى استفسر بعينين ضاقتا فى دهشة:

-ما هذا؟

-كما ترى...انها مفاتيح المكتب والفيلا والسيارة اضافة لتنازل عن جميع الأعمال التى أديرها

قام (سامى) من مكانه فى هدوء مطأطأ الرأس يفرك بسبابته تلك المنطقة الصغيرة بين شفته السفلى وذقنه قبل أن يرفع رأسه ويجلس على الكرسى المقابل ل(وحيد) قائلا:

-توقعت ذلك بالفعل...لكن يؤسفنى يا صديقى ن ابلغك بشئ ما...لا تستطيع فعل ذلك...الأمر ليس بهذه البساطة التى تظنها...أنت شريك فى كل ما تم...انسحابك من الميدان لا يضمن لى ولانك بعد الآن...قد نخسر بعضنا يوما

-ماذا تقول؟...أتهديد هو؟...تعرف تمام المعرفة أنى لست بخائن...لم تعهد منى ذلك قط

-ليس تهديدا بالطبع يا صديقى...هى فقط قوانين عالمنا اللاشرعى الذى نعيش فيه...يقولون فى الأمثال خالف تُعرف...أما نحن فنقول...خالف تُقتل...ما أعرفه عنك شئ واحد يا (وحيد)...لم تكن يوما صاحب كلمتين...أليس كذلك؟

لم يجب (وحيد) وهو الذى لم يحضر نفسه لسؤال كهذا...لحظه (سامى) فقام مرة أخرى عائدا لكرسيه قائلا:

-دعنا نتحدث كأصدقاء كما تعودنا يا عزيزى...ثمة اتفاق قديم بيننا...أتذكره أم...أذكرك به؟

استمر صمت (وحيد) ذلك الذى لم يجد ردودالأسئلة مخاطبه والتى بدت منطقية الى حد كبير...عاد (سامى) لحديثه من جديد قائلا:

-يبدو من صمتك أنك نسيته بالفعل بكل أسف...لا بأس سأذكرك بمحتواه على أية حال...قبل سنوات من الآن عقدنا اتفاقا تشهد عليه تلك الجدران...بل...تشهد عليه رجولتك التى لم أعهد منك غيرها...وعدتنى بمساعدتى فى أى عمل أقوم به أيا كان على أن أساعدك فى الايقاع بذلك المدعو (جمال)...أما وقد نفذت ما كان علىّ من العهد فانى بانتظار تنفيذك ما وعدت به على أكمل وجه

-فعلت ذلك بالفعل...كل ما مضى من السنوات كنت بجانبك على خير ما يكون.

-لا أنكر عليك ذلك بالطبع...لكن اعلم يا صديقى أن طريقنا هذا لا ينهيه الا شئ واحد...الموت...وأظنك نلت من الخبرة ما يجعلك تعلم ذلك مسبقا

قال كلمته الأخيرة تلكوقد اقترب بوجهه الذى جحظت عيناه من (وحيد) كنوع من الارهاب النفسى قبل أن يعود لسابق هيئته مبتعدا ليستطرد قائلا:

-دعنا نتناقش بهدوء الكبار يا عزيزى...لقد قاربت على بلوغ الخمسين الآن...ان أنت تركت ذلك العمل هل من أحد يقبل عاملا أو موظفا بهذه السن وله تاريخ من السجن لمدة عشرة سنوات لتورطه فى قضية تهريب مخدرات؟...الموضوع ليس بهذه السهولة التى تظنها يا (وحيد)...عد الى رشدك وانظر الى ما فيه صالحك...اعلم أن موت صديقك الأسوانى هذا قد نال منك كثيرا...لكنها الحياة يا صديقى...لا تجعل بعض كلمات قالها أحد محبيك من باب العاطفة تقلب حياتك رأسا على عقب وتدفعك الى مصير لا تعلمه...ليست الحياة تلك اللعبة التى تؤرجح مصائرها بعض العبارات....

أتم كلماته ثم عهد الى مظروف على سطح مكتبه تناوله وأعطاه ل(وحيد) قائلا:

-اليك بهذا يا (وحيد)

-ما هذا؟

-تذكرتان سفر الى أوروبا واحدة لك وأخرى لابنك (حسين)...أنت بحاجة لمكان تستعيد فيه قوتك الذهنية كاملة

لم يجد (وحيد) ردا على كلام صاحبه ذاك...كلام ليس الا واقعا فى جميع الأحوال لا مفر منه...انه ان ترك العمل وهو فى تلك السن فما من عمل يكفل له عيشة كتلك التى اعتاد عليها فى آخر أعوامه واعتاد عليها فتاه صاحب الخامسة عشر...والأهم من ذلك تهديد صديقه غير المباشر بقتله ان هو فعل ذلك...هى اذن تلك المتاهة ذات الباب الواحد...باب للدخول دون

fb.com/Book.juice

الخروج...دخلها (وحيد) قديما وها هو يبحث عن باب للخروج دون جدوى...كان آخر لقاء له بمبادئه يوم خروجه من السجن...بل وان صدق القول يوم جاءه (سامى) فى زنزانته...ودَّع تلك المبادئ حينها على امل بلقاء آخر يوم ما...لكنه اللقاء الذى انتظرته مبادئه وجحده هو...قد بات لقاء وهميا الآن...يبدو أن الانتظار مستمر سيطول الى أبد لا يعلمه الا خالقه...

غادر (وحيد) مكتب (سامى) لا يدرى شعوره بالتحديد...احساس غير مطوم الهوية غير معروف المعالم...شعور متأرجح بين الاقتناع واللارضى...اقتناع بكلام صديقه المستند الى واقع ملموس...ولا رضا يكمن فى خيبة أمله بالعودة الى رياض الاستقامة من جديد بعد اكتشافه أن الأمر أصعب كثيرا مما اعتقده.

لم تكن علاقة (وحيد) ب(سامى) تلك المتعارف عليها بين رئيس ومرؤوسه...كانت صداقة من نوع خاص...لم يشعر (وحيد) يوما بغدر متوقع من صديقه كما كان حاله مع (جمال)...كان على ثقة تامة أن (سامى) ليس من ذلك النوع الغادر من الرجال...لعل تحفظه الوحيد عليه كان ذلك الشعور بالفردية الى حد بعيد...لكنه ومع ذلك لم يتخل عنه فى كل ما مضى من الأحداث...تبقى العلاقة القائمة على منفعة متبادلة هى حجر الأساس لتلك الصداقة التى توطدت أركانها بشدة بعد ذلك...وعليه فقد كان شعور (وحيد) بالاطمئنان الدائم لوجوده الى جواره...لعلها خبرته التى تفوق خبرته فى أكثر من ميدان من ميادين الحياة...لعها قوة النفوذ المستند الى مال لا طائل له...لم يعبئ (وحيد) بذلك كثيرا...كان فى انشغال فيما هو أهم من تفكير فى سبب اقتناعه بشعور الصداقة من ذلك النوع الغريب الذى جمعه ب(سامى)...لكنه رغم قناعته بانحراف افعاله ظل دوما على اعترافه بفضل انتشاله من هوية ضياع ما بعد سنوات السجن وتلك الموازرة المتواصلة حتى نجاحه فى استرداد ما أراد استرداده...على كل حال ان أراد لوما لأحد...فلا يلومن الا نفسه!

استمرت الأيام فى انقضائها بذلك الاسلوب الروتينى...(وحيد) مستمر فى أعماله المشبوهة الى جوار (سامى)...لا يجد بعض السلوى الا فى وجود ولده الذى لم يكن يبادله شعورا بنفس القوة...كان (حسين) ينظر الى (وحيد) تلك النظرة الغريبة بالذى كان السبب فى تغيير نمط حياته الهادئ فى أحضان أمه وكنف زوجها...ذلك الزوج الذى رغم قسوته الا أنه لم يعهد من قسوته تلك شيئا...كان (وحيد) بالنسبة له اذن ذلك الغريب الذى أطاح بذلك النمط المستقر لحياة طفل قُتلت أمه أمام عينيه وسُجن عائله الذى لم يعتد منه الا كفالة الرحماء...لم يكن (وحيد) بمعزل عن تفكير ولده بالطبع...كان دوما فطنا الى ما يدور بذهنه وان لم يفصح الابن صراحة عن شعوره نحو أبيه...حاول الأب مرارا احتواء ابنه والتودد اليه بكافة ما يملك من السبل...لم يسأله يوما أين ذهب أو أين كان أو فيم أنفقت مالك أو مع من كنت؟...أو أى من تلك الاسئلة المعتادة من أب لأبيه...وهو ما ساهم بشدة فى بناء طبيعة ذلك الابن المتغطرسة الرافضة لأى تساؤل خاص بجانب من جوانب حياته الشخصية حتى وان كان أبيه...لم يكن الاثم فى ذلك راجعا ل(وحيد) فقط...وانما كانت تصرفات (وحيد) تجاهه استمرارا لما كان من تدليل أمه وزوجها...أتى أباه ذات صباح سائلا عن مزيد من الأموال...أيقظه فاستيقظ فى فزع قائلا:

-ماذا هناك؟

-هل أفزعتك يا أبى؟

تنهد (وحيد) قليلا يفرك عينيه وكأنه الرائى لحلم ما أفاق لتوه منه قبل أن يرفع وجهه الى ولده قائلا:

-لا...لا يا عزيزى...انه فقط حلم يتكرر علىَ منذ فترة...

-هل لى أن أعرفه؟...قد أجد لك تفسيرا

ابتسم (وحيد) فرحا بذلك الحديث غير المعتاد من ابنه قائلا:

-هو حلم مخيف الى حد كبير يا (حسين)...أرى كأنى أملك طائرا بين يدى...واذا بطائر آخر قادم من بعيد كأنه تائه يبحث عنى...أظننى أملكه أيضا...فاذا بالطائر الذى بين يدى ينطلق يناطحه حتى يجهز عليه وينطلق بعدها هاربا قبل أن تصطاده سهام مجهولة لا أعرف لها مصدرا فيسقط قتيلا الى جوار صاحبه...وينتهى الأمر بى حزينا على فقدان الطائرين

-حلم عجيب بالفعل

-يذكرنى ذلك بحلم قديم كانت جدتك رحمها الله تحذرنى فيه من من ذلك الصراع بين هذين الطائرين مجهولى الهوية

-لا عليك يا أبى...ليست الا أضغاث أحلام

-لا بأس يا عزيزى...لننتظر تفسير الأيام لتلك الأحلام

قالها قبل أن يستطرد باسما:

-ايه يا (حسين)...ما أسرع تتابع السنوات...ها قد قاربت على الخامسة والعشرين وشاب شعر أبيك يا فتى...

-لا زلت شابا يا أبى...أطال الله عمرك...

استمر الحديث بين الأب وابنه بلا جديد حتى انتهى بحصول الابن على ما يريده من الأموال كما هى عادته وعادة أبيه

وعلى جهة أخرى غير بعيدة كان ذلك الحوار من نوع آخر دائرا بين رئيس ومرؤوسه...ضابط يقلب أوراق من ذلك النوع من الأوراق الخاص بتحريات الشرطة التى اعتاد على مثلها قارئها...جلسة معتادة لضابط رفع أكمام قميصه الى ما فوق مرفقه وقد مدَّ قدميه واضعا احداها فوق الأخرى جالسا على كرسيه الذى جعل وجهته الى الحائط وجانبه فى وجه مكتبه...واضعا قلمه بين شفتيه فى تلك الوضعية المعتادة لشخص أرهقه التركيز بشدة فيما يطالعه...جاءه صوت تابعه قاطعا لتلك الحالة من التركيز قائلا:

fb.com/Book.juice

-ألا زال ذلك الموضوع يشغلك يا سيدى؟

أفاق من عمق تفكيره فأدار كرسيه ليصبح فى مواجهة مخاطبه قائلا:

-أكاد أُجن يا (زكى)..

قالها قبل أن يتناول سجائره المجاورة يشعل منها واحدة قائلا:

-أكاد أُجن...كل تلك التحريات تصب فى مصب واحد...أصبحت أشعر أنى من أبطال فيلم خيالى القصة...قل لى...ما آخر ما وصلت اليه تحرياتك؟...هل من جديد؟

-أجل يا سيدى...لأجل هذا جئت...أسفرت مراقبتنا لذلك الشاب (حسين) أنه توسع فى تجارته المحدودة للمخدرات...لكن المثير للدهشة أنه يبدو أنه يعمل بمعزل عن والده...من تحرياتنا ثبت لنا أن علاقته بأبيه ليست تلك التى تسمح بشراكة بينهما...بل على الأرجح أن ذلك الرجل (وحيد) ليس على علم من الأساس بنشاط ولده

صمت الضابط حينا يفكر فيما يسمع باهتمام بلا رد حتى آتاه تكملة الحديث من معاونه قائلا:

-ولكن هناك الأهم الذى جئت لأجله يا حضرة الضابط

-الىّ به

-فى البارحة عاد (حسين) الى فيلا أبيه فى سيارة يقودها غيره...حملا سويا حقيبة صغيرة اجتهدا فى اخفائها حتى دخولهما المنزل.

-وماذا برأيك تحمله هذه الحقيبة؟

-لا شك فى احتوائها على مواد مخدرة...جئت آخذ الاذن فقط بالتفتيش...فنحن ننتظر لليلا كهذا منذ حين...وأنا لا أراه قد أسعفه وقته للتصرف فيها فلم تمر سوى ساعات على جلبه لتلك الممنوعات لمنزل أبيه.

قام ذلك الضابط من مكانه وما زال ممسكا بقلمه ثائلا:

-حسنا يا (زكى)...أتفق معك أن الفرصة قد حانت...لكنه هذه المرة لن يكون هجوما معتادا...

عقد (زكى) حاجبيه متعجبا قبل أن يتساءل:

-لا أفهم يا سيدى...ماذا تقصد؟

-سأذهب وحدى لتلك الفيلا كزائر عادى يا عزيزى

-وحدك؟...كيف؟

-لم أنهِ كلامى بعد يا مساعدى العزيز...كم من مرة حذرتك من ذلك التسرع؟...قد يضرك ذلك كثيرا يا صديقى.

fb.com/Bookjuice

-عذرا يا سيدى...هى فقط الدهشة من ذلك الهجوم الفردى الغريب...فلست بالمعتاد على ذلك...يبدو شيئا غريبا بعض الشئ أن تذهب وحدك.

-لن أكون وحدى

-أنا الآن لا أفهم أى شئ...اختلطت على جميع الأمور.

قالها وقد عقد حاجبيه ليجد ضحكة من صديقه الضابط الذى كان رده:

-سأذهب فى البداية لاستيضاح حقيقة ما رأيته فى تلك التحقيقات من معلومات تهمنى...لا أحتاج أكثر من ساعة...تستطيعون بعدها الاقتحام الرسمى المعتاد...أفهمت الآن ما أرمى اليه؟

-نعم يا سيدى...اتضح الأمر الآن تماما

-حسنا يا مساعدى العجول...علىَّ الآن بالانصراف لأعد العدة لتلك الزيارة غير الاعتيادية...أعد أنت لما أوصيتك به.

قالها قبل أن يلتقط معطفه من كرسيه منصرفا تستمع أذناه الى كلمات مساعده الموحية بالايجاب قائلا:

-فى الحال يا حضرة الضابط.

انقضت ساعات النهار فى الاعداد الطويل وأتى الليل على (وحيد) وولده مجتمعين بذلك الزائر غير العادى قائلا:

-قيل لى أنك تريد مقابلتى وابنى يا حضرة الضابط

-الأمر كما قيل لك يا سيد (وحيد)...صدقك من أخبرك

-هل لى بمعرفة سبب تلك الزيارة المفاجئة؟

-يبدو أنك غير مستعد للزيارات يا سيدى...على أية حال لن أطيل عليك كثيرا

-كلى آذان صاغية يا سيدى

-دعنا نتحدث بعيدا عن العلاقات الرسمية يا سيد (وحيد)...أظنه سيكون حوارا مثمرا أكثر ان اتخذنا ذلك المنهج...أتمانع بذلك؟

-طالت مقدماتك يا حضرة الضابط ولم تدخل بعد الى لُبّ الموضوع الذى جئت لأجله وعقدت بسببه تلك المقابلة

-عذرا يا سيدى...فما زلت أبحث عن المدخل المناسب لحديث لا أظنه سيروق لك كثيرا

fb.com/Book.juice

-دعنا نستمع اذن ونترك الحكم فى النهاية لما سيكون من حديثنا

-وهو كذلك يا سيدى...أصبت...دعنى أقص عليك القصة باختصار يا سيد (وحيد)...قبل ثلاثة عقود أو أقل قليلا كنت تعيش فى بيت بالأسكندرية غادرته طفلا وعدت اليه كرب أسرة تعيش الى جوار زوجتك وحماتك وطفلك الرضيع...اضافة لابن عمتك وأسرته...ظللت على تلك الحالة وقتا ليس بالطويل قبل اندلاع أكتوبر...تلك الحرب التى كان خيارك بالمشاركة فيها كما كانت وصية أمك السيدة (أمينة) قبل موتها بين يديك...وحين طالت غيبتك وعلم الجميع بخبر استشهادك الوهمى تكفل (حسام) بالأسرتين عدة سنوات...وقبل موته لم ينس وهو أعز أصدقائك أن يوصى ابنك (عمر) بالحفاظ على ذكرى والده الشهيد والسير على دربه العطر...ظل الابن على عهد عمه أعواما يتبع المضئ من خطوات أبيه ويهتدى بالساطع من أنوار جدته...قد يأخذك تفكيرك يا سيد (وحيد) للسؤال عن ذلك الخبر الكاذب باستشهادك الذى تناولته وسلمت به واقتنعت له أسرتك...الأمر على كل حال ليس بحاجة لسرد طويل...فما مر بك من أحداث قد يأتيك بالحقيقة الكاملة بقليل من التفكير...بعد اصابتك ودخولك المستشفى جاءك شقيق صديقك الشهيد (على)...ذلك المسمى (جمال)...أقنعك تماما أن عائلتك قد ماتت فى حادث سيارة...لم يكن صعبا عليه أن يرشى صاحب المحل المجاور للمنزل لتأكيد ما قاله لك...وحين أردت الذهاب للمستشفى للتأكد رفض أن تذهبا فى نفس اليوم متعللا باجهادك ومرضك ليذهب هو منفردا ليلتها الى المستشفى ليفعل مع موظف الاستقبال ما فعله مع صاحب المحل...وحين ذهبت معه فى اليوم التالى كان له ما أراد وأقنعك تماما بصدق كلامه بعدما نجح فى خداعك بشهادات الوفاة التى زورها لجميع أفراد أسرتك...مالا تعرفه يا سيد (وحيد) أن ذلك الرجل (جمال) ذهب الى اسرتك قبلك ونقل لهم خبر استشهادك الكاذب...تردد عليهم بعدها أكثر من مرة عارضا على ابن عمك (حسام) شراء المنزل بأضعاف ثمنه الحقيقى...تردد الرجل فى بداية الأمر غير أنه وافق بعد ذلك على البيع...وبثمن البيع نجح فى شراء منزل آخر فى القاهرة وتمكن بالباقى من المال الذى حصل عليه اضافة للمال الذى حصل عليه من تصفية تجارته فى الأسكندرية من بدء تجارة أخرى أكبر فى القاهرة...وبذلك نجح (جمال) تماما فى ابعاد الطرفين عن بعضهما ليسهل له الانقضاض عليك فيما بعد وكان له ما أراد.

كلمات كاد لها (وحيد) يُغشى عليه ان لم تقتله تلك المفاجآت المتتالية التى لا ينقصها الا معرفة ماهية ذلك الشخص غريب الأطوار الذى يسرد أحداثا كأنه عايشها جميعا...لم تعد قدماه تقوى على حمله أكثر من ذلك فسقط جالسا على كرسيه وما زال لسانه قادرا على الحديث فكان سؤاله الى ذلك الضابط قائلا:

-من أنت أيها الغريب؟

ما زال (زكى) متأهبا لانقضاء الساعة التى اتفق عليها مع سيده الضابط ليقتحم ذلك المنزل الذى أعدّ العدة للهجوم عليه والقبض على ذلك المذنب الشاب وأبيه بانعى المخدرات...رابط بقوته على مسافة غير بعيدة من منزل (وحيد) ينظر الى ساعته آملا فى سريان سريع لعقاربها وانقضاء أسرع لدقائقها حتى جاءه أحد عسكره سائلا فى فضول:

-سيدى...هل تسمح لى باستفسار بسيط؟

انتبه له (زكى) ذلك الشارد فى لقاء صديقه الضابط مع هذين المجرمين فكان رده الطبيعى فى هدوء:

-تفضل يا (حسن)...سل ما تريد

-لماذا الانتظار يا سيدى وبامكاننا الذهاب واقتحام ذلك المنزل الآن؟...مرور الوقت ليس فى صالحنا بكل تأكيد...قد ينجحون فى تهريبها أو التخلص منها الى مكان آخر ان علموا بنيتنا فى مهاجمتهم فلابد من وجود عيون لهم فى مكان قريب قد ينقلون اليهم مرابطتنا هنا للايقاع بهم

-أنت على حق فى كل ما تقول يا (حسن)...لكنها الأوامر التى لا نملك الا تنفيذها

-ألا نخالفها لأجل المصلحة يا سيدى؟

-لا يندرج بند مخالفة القوانين هذا تحت عملنا يا عزيزى...هى مسؤليات يحمل نتائجها من فوقنا...ولا أرانا نتحمل العواقب الناتجة عن فشل احداها

-اعذرنى يا سيدى...لا أقتنع تماما بما تقول

ابتسم (زكى) من الجرأة المبالغة لذلك العسكرى النبيه فكان رده الباسم:

-تعجبنى جرأتك الى حد بعيد يا (حسن)...غير أنها قد تؤدى بك الى كثير من المتاعب...عملنا ذاك يحتاج الى التروى والصبر بشكل كبير

لم يجد ذلك الشاب ردا مناسبا لكلام سيده الباسم غير قول روتينى يقال فى مثل تلك المواقف:

-لم أقصد الا المصلحة فقط يا سيدى...ولا شئ غيرها

-أنا علم تام بذلك يا فتى...ولولا ذلك ما امتد حديثى بك كما هو الآن...أريدك فقط أن تنصاع الى أوامر قياداتك وان كنت على يقين بخطئها...فما يروه هم لا تراه أنت...وما لديهم من المعلومات لا يقارن بضآلة معلوماتك عن أى عملية نقوم بها...وعليه فالأقرب للصواب يكون غالبا فى تفكيرهم لا تفكيرك.

-آسف يا سيدى ان كنت قد تطاولت فى الحديث...لكنى.....

رفع (زكى) يده فى وجه الشاب باسما مشيرا له أن كفى وقد صحبت يده كلماته قائلا:

-لا عليك يا عزيزى...لا عليك...لابد من مثل تلك المواقف لتتعلم طبيعة العمل الذى تؤديه لكى تتمه على أكمل الوجوه.

بادل العسكرى سيده بذات الابتسامة قائلا:

-الحق ما تقول يا سيدى...هو تسرعى الذى دائما ما يوقعنى فى المشاكل...أستأذن بالانصراف يا سيدى ان لم تمانع

-تفضل يا عزيزى...وانتظر وزملائك اشارة البدء

-أمرك يا سيدى...نحن على أتم استعداد

لم يلتفت ذلك الضابط كثيرا الى سؤال (وحيد) وكأنه لا يسمعه...لا زال سانرا فى ذلك السبيل من الغموض الذى تاه فيه بشدة (وحيد) وولده...لم يملكا غير الاستماع وهما الراغبان فى كشف هوية ذلك الرجل الغريب الذى استطرد قائلا:

-ما أجمل ذلك الخاتم الذى ترتديه...يدل على رفعة ذوق صاحبه

-أشكر لك مجاملتك تلك...لكن يبدو أنك لم تسمع سؤالى المستفسر عن هويتك

استمر الضابط فى كلامه وقد قصد الاطالة وعدم الرد على ذلك السؤال الذى احتار له (وحيد) بشدة قائلا:

-أملك شبيها له بالمناسبة

أيقن (وحيد) أنه لن يفصح عن اجابة ذلك السؤال الا حين يريد هو فآثر السير معه حتى النهاية فى حديثه علّه يظفر باجابة طاق لسماعها:

-قد يختلط عليك الأمر...لا أظن أن لذلك الخاتم شبيها...أملكه منذ عقود ولا أظن أن أحدا يملك مثله...هو أثمن ممتلكاتى على كل حال

-ربما تغير رأيك ان رأيته

قالها وقد أخرج شبيها لخاتم (وحيد) من جيبه كأنهما صنعا معا وأعطاه له...انتفض (وحيد) من مكانه من جديد وقد هزت رؤية ذلك الخاتم أركانه بعنف فانتشله من يده يتأمله بدقة قبل أن يلتفت اليه بعينين تسبب الذهول فى جحوظ ملحوظ لهما اضافة الى صوت بحّته المفاجأة قائلا:

-من أين لك بهذا الخاتم؟

-آه يا سيد (وحيد)...عذرا...فلذلك الخاتم أيضا قصة نسيت اخبارك بها

-أرجوك يا بنى...قل لى من أنت وماذا تريد...لم أعد أتحمل المزيد من الغموض

-حسنا يا سيدى...دعنى أولا أقص عليك قصة ذلك الخاتم...حين انتقلت أسرتك وأسرة ابن عمك الى القاهرة تكفل بهما (حسام) كما قلت لك مسبقا...ضم ولدك الى ولده يعاملهما كابنين له...وقبل وفاته أعطى خاتمه الشبيه بخاتمك لابنك (عمر) موصيا اياه بعدم التفريط فيه وتوريثه الى ابناءه لتظل قصة الشهيد ابن الشهيد خالدة بخلود الأيام...ظل الابن على عهد عمه أعواما حتى تخرج فى كلية الشرطة ووقع تحت يديه ما يثبت تورط أبيه الذى ظنه

استشهد وأخيه الذى لا يعرف عنه شيئا فى تجارة المخدرات...فآثر أن يأتى لمواجهتهما بالسلم قبل أى اجراء رسمى...وها هو الآن بين يديك يا...أبى!

عجز لسان (وحيد) عن أى رد...فما سمعه قبل قليل ليس الا سردا لأحداث لا يعلمها الا شخص كان حاضرا للقصة بكل فصولها...أنفتح فمه دهشة وجحظت عيناه تعجبا وبهت لونه مفاجأة...قصة لا تصلح الا للتدوين فى كتب الأساطير...سرد طويل حقيقى لذلك الضابط العائد من جديد الى أحضان أبيه فى واقعة هى الأغرب فى حياة كليهما...ظل (وحيد) على سكونه فترة غير قصيرة قبل أن ينطلق لسانه بصوت خافت متردد:

-كيف...كيف لى أن أصدقك؟...ماذا ان كنت كاذبا؟

-لست بحاجة للكذب يا سيد (وحيد)...لا أظن هناك من الرغبات ما يدفعنى للانتساب الى تاجر مخدرات يوشك على دخول سجنه من جديد وأنا الضابط الذى لم تلوث ثوب سمعته الناصع نقطة واحدة سوداء...كما أنه من السهل الاطلاع على بياناتى ان شئت وبها اسمى كاملا وتاريخ ميلادى...أم أنك نسيته يا...أبى؟

-كيف...كيف علمت بكل ما كان بينى وبين (جمال)؟

-يبدو أنك نسيت أنى ضابط مباحث يا والدى العزيز...اسمح لى أن أقول والدى تلك ولو مرات قليلة فقد طال اشتياقى لها...منذ فترة وحين بحثى فى ملفات قديمة وجدت جريمتا قتل لامرأة واختطاف لابنها من فيلا رجل يدعى (وحيد محمد) قام بهما شخص يُدعى (جمال سيد)...لم يكن ذلك الاسم الثانى بالغريب على مسامعى...قررت البحث خلفه وبالفعل بالبحث والتنقيب وجدته ذلك الشخص الذى جاءنا قديما يخبرنا باستشهادك...فقررت زيارته فى السجن بصفة غير رسمية...وخلال تلك الزيارة اتضح لى كل ما سردته لك قبل قليل

أصبح (وحيد) فى حالة يرثى لها بعد كل ما سمعه من ابنه العائد بعد عقود وهو لا يملك ردا يجيب به على كل ما قيل من كلام منطقى هو على علم تام بصحته...استطرد (عمر) فى كلامه قائلا:

-أتعلم يا سيد (وحيد)...كثيرا ما حدثنى عمى عنك...تكونت فى مخيلتى تلك الفكرة عن بطل سار على درب أبيه الشهيد...بت أتخيل بطولاتك الاسطورية فى ساحة المعركة...أسير بين أصدقائى أكاد أخرق الأرض تيها فأنا ابن البطل الذى حرر بلادهم بعد طول انتظار...ورغم تلك الذكريات القصيرة التى عشتها فى كنفك والتى انحصرت فى جلسة منزلية أو...نزهة عائلية...الا أن حبك بداخلى كان يتزايد بمرور الأيام بطريقة لا ارادية...بل انه والله لتزايد بمرور اللحظات...ورغم تلك الامنية القاتلة برؤيتك والارتماء فى أحضانك ولو لدقائق...الا أن سيرة كفاحك وجهادك العطرة كانت دوما سلواى لتحمل مرارة الفراق...قد يذكرك هذا الشعور بشعور مماثل يوم علمت باستشهاد أبيك...حينها حملت جدتى (أمينة) على عاتقها تربية ذلك الطفل ابن الرابعة ليكون بطلا كأبيه...كم يؤسفنى أنها فشلت فى ذلك رغم عناءها الطويل وتضحيتها العظيمة...فرق واحد كان بين الشعورين...ظللت أنت حتى هذه اللحظة مشتاقا لحضن أبيك الراحل...أما أنا فلا أرانى الا زاهدا وبشدة فى مثل هذا العناق بكل أسف...فشتان بين أب باع نفسه بالنفيس لوطنه وآخر باعها بالرخيص لانتقامه...ربح أولهما البيع فكانت

شهادته...أما الآخر فوا حزناه على خسارته التى لم يكن ليتوقعها أو يتوقعها محبوه...تلك الخسارة التى انتهت به فى نهاية المطاف...تاجر مخدرات!!

كلمات تقع على سمع (وحيد) كأنها السهام السامة...لا يملك الا دمعا كاد يذهب بدموع عينيه وتأوه كاد يذهب بانتظام تنفسه ليخرج من وسط تلك الدموع والآهات رجاء بالكاد استطاع صاحبه النطق به:

-ارحم شيبة أبيك يا بنى...ارحم عجوزا لاقى من دنياه ما يكفيه

قاطعه (عمر) قائلا بصوت بدأت دموع ناطقه تتساقط:

-لم يرحمها صاحبها...لم ترحمها أنت يا أبى...بعت نفسك بالرخيص...زهدت ما قضت جدتى فى تعليمك اياه سنوات كاد فيها كفاحها يهلكها...نسيت انك ابن لشهيد...نسيت جهادك الذى كاد يلحقك بمنيتك فى أى لحظة نزيلا فى فردوس الشهداء...بعت وزهدت ونسيت كل ذلك يا أبى...أنت من بخلت على شيبتك بالرحمة لا أنا أيها العجوز...

لم يكد يتم كلمته تلك نظر الاثنان الى حيث كان (حسين) فلم يجداه...فاستطرد (عمر) بنبرة المتفاجئ:

-أين ذهب؟...لا شك أنه هرب أثناء اندماجنا فى الحديث

-هرب؟...لماذا يهرب يا بنى؟...(حسين) لا علاقة له بما أفعل...لا تأخذ أخاك البرئ بذنب أبيكما...لا طاقة لى باحتمال المزيد من المصائب

-هذا ما تظنه يا أبى...ابنك تاجر مخدرات كأبيه...بل أنه يخفى منها فى منزلك هذا

-ماذا؟...لا أصدق...لابد أنك مخطئ

-لم أعد أعبئ بتصديقك يا سيدى...ليست الا الحقيقة فقط

قالها قبل أن يهرول شاهرا سلاحه ليلحق بأخيه الهارب وسط توسلات (وحيد) بالتوقف...لكنه لم يهتم لتلك التوسلات بأى حال من الأحوال...فى تلك الأثناء كان انقضاض الشرطة لتفتيش المنزل...حينها سمع الجميع تبادلا لاطلاق النار...وحين سأل ذلك الأب الذى أعياه مطاردة ولديه لبعضهما عن السبب كان الجواب الذى أسقطه فاقدا للوعى فى لحظات...

قتل (حسين) أخاه (عمر) ثم لم يلبس هو الآخر أن أصيب بطلق نارى من الشرطة أرداه قتيلا الى جوار أخيه!!

أيام قضاها (وحيد) فى المستشفى غائبا عن الوعى...حتى كانت تلك الليلة التى شهدت رؤياه لحلم كان استكمالا لسلسلة أحلامه المتعاقبة عبر سنوات...رأى نفسه جالسا على الأرض فى حديقة فيللته...على يمنى قدميه يرقد ولده (عمر) غارقا فى دمائه قتيلا...وعلى يسراها كان رقود (حسين) على شاكلة أخيه...وعلى صدر كل منهما جثة لطائر من الطائرين الذين طالما

رآهما (وحيد) فى منامه...أما بين رأسى ولديه فكانت تلك الحزم من الأموال بلا نهاية اضافة الى صورة كبيرة لخصمه القديم (جمال)...ووسط كل ذلك كان بكاء (وحيد) ونحيبه أعظم من أن تصفه ألسن أو تخطه أقلام...انتبه من بكاءه ونحيبه على ذلك الصوت القادم من بعيد قائلا له:

-هنيئا لك بانتقامك من غريمك يا (وحيد)...عمل عظيم يا عزيزى.

صوت ليس بالغريب على مسامعه أو الغير معتاد على آذانه...طالما كان له غطاءه فى برد خوفه...ملجأه فى تشرد يأسه...بل ونوره فى ظلام حزنه...رفع رأسه وقد هدأت دموعه هونا ما قائلا:

-أمى؟

-ألا زلت تذكرنى يا (وحيد)؟

-كيف لى بالنسيان يا أمى؟

-لا تبدو صادقا تلك المرة يا بنى وأنا الغير معتادة منك الا على صدق الكلام...من يذكر شخصا يذكر كل ما يتعلق به...يظل يراه كأنه بين يديه...يظل يسمعه كأنه يجالسه...وما أراك الا جحدت رؤيتى وتناسيت كلماتى...لا تتظاهر بالتذكر اذن يا عزيزى...أراض أنت الآن عن نفسك يا بنى وقد فقدت المال والجاه والولد؟؟...أتذكر وعدك القديم لى حين جنتك فى منامك وانت فى سجنك وأخذت عليك الوعد بنسيان الانتقام؟...لم أشك ساعتها ولو للحظة بأن ذلك الذى ربيته على الوفاء بالوعود سيضرب بوعد أمه عرض الحائط...لكنك فعلتها بكل أسف أيها الباحث عن انتقام أجوف

-أغوانى شيطانى يا أمى...أغوانى شيطانى

-حذرتك منه قبل رحيلى يا بنى...عد الى تلك الليلة التى احتضرت فيها بين يديك...عدت الى تلك الأخرى التى ذرتك فيها فى منامك سجينا...قلت لك أن الندم على فعل خير لمن لا يستحق خير من الندم على التمادى فى انتقام قد تكون خسارتك منه أعظم من خسارة من تنتقم منه...لماذا يا (وحيد)؟...هل رأيت منى ما أساءك لترينى منك ما يسيئنى يا بنى؟...والله لقد رحلت وأنا على أتم الرضا عنك...أما وقد أنكرت تربيتى لك طيلة أعوام فما أفدح خسارتى بفشلى فى تقويم من أنفقت شبابى لأجل ألاَ يصل الى ما وصل اليه...

كلمات يتمزق لها قلب (وحيد) تمزيقا...لا يملك من العبارات ما يجيب به على لوم أمه...تلك التى استطردت قائلة:

-أتعلم يا (وحيد)...كنت أخالك أذكى من ذلك بكثير...لكن يبدو أنك فقدت من ذكاءك كما فقدت غيره الكثير مما تعلمت وأنعمت به عليك أقدارك.

أجاب باكيا:

-لماذا؟...لماذا يا أمى؟

-حذرتك مما أنت فيه مرارا يا ولدى...أتذكر حين جئتك ليلة الحرب فى رؤياك يا (وحيد)؟...قلت لك حينها أن طائرك تائه لا مذبوح...قصدت ساعتها أن ابنك (عمر) لم يمت بعد...هو فقط تائه عن أحضانك فابحث عنه...ثم لم ألبس أن زرتك أكثر من مرة أحذرك من صراع طائريك...لم يكن هذين الطائرين الا ابنيك القتيلين فى كنفك...لكنك وبكل أسف لم تفطن لما حذرتك منه طوال أعوام

-لم يخطر ببالى ما تقولين يا أمى....

-لو كنت تعلم الغيب لاستكثرت من الخير يا بنى...صدقت اذن حين صرحت بفقدانك ذكاءك...ليست الرؤى الا اشارات لذوى الألباب...يفطن لها العامرة قلوبهم بالخير...ويتخبط فى ابهامها أصحاب القلوب السوداء...عهدتك من أول الأنواع وأبيت الا أن تكون من ثانيها...لا أرى جدوى من لوم أمثالك الآن...أظننى أرضيت ربى وأكملت رسالتى على أكمل وجه...لا أرانى يسألنى ربى عن فشلك فى تطبيق الرسالة وجحود وصاياها...لا أظنك ترانى بعد الآن يا (وحيد)...لم يعد لوجودى بجانبك أهمية يا بنى...فلا أراك بحاجة لمن لا تعبئ بوصاياها بعد الآن...لعل سنوات سجنك القادمة تكفر عنك بعض ذنوبك يا ولدى...رحمة الله واسعة فلا تكن من القانطين...لا أملك الآن الا وداعا غير مرهون بعودة...الوداع يا (وحيد)...الوداع يا بنى.

اختفت عن ناظريه تطاردها توسلاته ببقائها وعودتها اليه فى قادم الأيام بلا جدوى...ظل على حالة من البكاء المتواصل الذى كاد يذهب بعقله حتى سمع صوتا عن يمينه قائلا:

-اشتقت كثيرا لابن عمى ذى النفس الصافية والقلب السمح يا (عبد الله)

فجاءه ذلك الصوت عن يساره يرد على ذلك الذى عن يمينه قائلا:

-والله ان شوقك لحبة رمال من صحراء تجسد اشتياقى لصديقى الوفى يا (حسام).

ثم كان ذلك الصوت الثالث من بينهما:

-آه لها من أمنيات أيها الرفقاء...شوقى ل(وحيد) لا يقل عن أحدكما بأى حال من الأحوال

لحظات عاش فيها (وحيد) فى ذهول قبل أن ينطلق صوته المغطى بدموعه من بينهما:

-ابن عمى (حسام)؟...ابن خالى (أحمد)؟...صديقى (عبد الله)؟...أتعرفون بعضكم؟

استمروا فى حديثهم كأنهم لا يسمعوه أو يروه...فاستطرد (عبد الله):

-لكم تمنيت أن تكون لى عائلة مثل عائلته تلك يا أصدقائى...لا أظننى ان ملكتها كنت سأخطو خطوة واحدة الى شئ أندم عليه...لكنها تقسيمات القدر التى قضت بذلك ورضيت لها على أية حال...أتعلم...لقد حكى لى كثيرا عن علاقته بكليكما الأعمق من أن أسميها صداقة وأدق من أن أطلق عليها أخوة

-صدقك فى حكيه وأصبت فى وصفك يا (عبد الله)...لطالما نظرت ل(وحيد) على أنه جزء منى...ولم أشك لحظة أن نظراته لى كانت على نفس الشاكلة...لكم أرغب الآن فى احتضانه والجلوس بين يديه كما اعتاد منى واعتدت منه

-لله در أمانيك يا (حسام)...لامست برغبتك تلك رجاء لقلبى مماثلا لأمانيك...لا زلت باحثا عنه منذ سنوات ولم أجده...

-أنا أيضا أرهقنى بحثى منذ دهر لكنى لم أجد ضالتى بعد يا (أحمد)...سأظل باحثا عنه على أية حال...فشوقى ل(وحيد) كاف لأتحمل أضعاف ما عانيت

-صدقت والله يا صديقى...صدقت.

كل ذلك تحت سمع (وحيد) المجروح وتحت بصره الدامع...لم يتحمل أكثر من ذلك فقاطعها قائلا:

-أنا هنا يا أصدقائى...أنا (وحيد) الذى تبحثون عنه...ألا ترياني؟...الا ترانى يا (حسام)؟...ألا ترانى يا (عبد الله)؟...ألا ترانى يا (أحمد)؟

انتبه له (حسام) فكان رده بوجه غاضب عابس:

-من أنت يا رجل؟...نحن نبحث عن صديق لنا...ابتعد عنا بالله عليك...لا شأن لنا بك ولا شأن لك بنا...كفانا ما نعانيه من مرارة البحث ولوعة الاشتياق لصديقنا المفقود.

-أنا من تبحث عنه يا صديقى...أنا (وحيد)...تفرس فى وجهى جيدا...هذا أنا ابن عمك يا عزيزى

-كفاك كذبا وافتراء يا هذا...شتان بينك وبينه...كان ذا وجه باسم مشرق ترتسم على ملامحه علامات الصفاء المستمد من نفس لا تعرف الا الخير ولا تعمل الا به...لا وجها قاتما دامعا أرهقته ذنوبه كوجهك...لا تعاود مثل هذا الادعاء أمامى أبدا...لست من أبحث عنه ولن تكون...

fb.com/Book.juice

قالها ثم التفت الى (عبد الله) قائلا:

-هيا بنا نواصل بحثنا عن صديقنا يا (عبد الله)...لعلّ الله يسعدنا بلقاءه فى قادم أيامنا.

تركه (وحيد) وانطلق يمسك بصديقه الأسوانى راجيا:

-قل له يا (عبد الله)...قل له أنى (وحيد)...ستصدقنى أنت أليس كذلك؟...ستصدق أخاك (وحيد) بالتأكيد...انه فى حاجة اليك الآن يا صديقى

أجابه (عبد الله) بفتور دون أن يحرك ساكنا:

-الحق ما قال صديقى (حسام) ولا حق غيره...لست (وحيد) ذا القلب النابض بالطيبة الذى اعتدناه...اغرب عن وجهى يا هذا...

لم يعد أمام (وحيد) الا اللجوء الى آخر أمل له المتمثل فى ابن خاله الذى قضى الى جواره أزهى أيام حياته:

-(أحمد)...الا تذكرنى يا صديقى؟...ألا تذكر تلك العلامة المشتركة بيننا فى جبهة كلينا؟...ألا تذكر يوم خطها (سيد الساعى) بسكينه ضاحكا؟

-اليك عنى أيها الكاذب...والله لا أرى شيئا مما تذكر...كفاك ادعاء كاذبا.

قالها ثم التفت الى (حسام) و (عبد الله) قائلا:

-لنواصل بحثنا يا أصدقائى...(وحيد) بانتظارنا وانتظار لقاء طال اشتياق ثلاثتنا له.

ثم انطلقوا لا يعبئون بتوسلات صديقهم ببقائهم قائلا:

-عودوا الى هنا ...أرجوكما...أنا (وحيد) صديقكم يا أحبائى...عودوا بالله عليكم فصديقكم بحاجة لعطفكم عليه...عودوا...عودوا...عودوا

ظل يكررها بصوت كتمته دموعه فبحَّته حتى امتنع عن الخروج...وظل على حاله تلك حتى أفاق وما زال مرددا لتلك الكلمات ليجد نفسه على سرير أبيض كذلك المعتاد عليه فى المستشفيات وبجانبه حديث انتبه لأحد طرفيه يقول:

-هو الآن فى حالة مستقرة تسمح لكم باقتياده الى حيث ترغبون يا حضرة الضابط...يومان فقط على أقصى تقدير للاطمئنان على استقرار حالته ليس أكثر.

-وهو كذلك يا سيادة الطبيب...نشكر لك مجهودك الوافر.

-هو واجبى ليس أكثر...

انقضى اليومان ب(وحيد) وهو غير قادر حتى على تجفيف دموعه...الآن فقط أصبح على وعى كامل بمعنى الندم...ما أقساه من شعور ذلك الذى يحسه المرء بأن تكون أمنيته الوحيده عودة سابق الأيام ليمتنع عما فعل...انتقام من شخص كلفه أشخاص...ثأر من فرد كبَّده أفراد...هى نيران الغضب اللامحسوب العاقبة اذن التى أيقن أخيرا استحالة السيطرة عليها حين تندلع...تبت يد الغضب وخسأت عقلية الانتقام...تلك اليد التى بطشت به فألقته أسيرا لوحدته قبل أسر سجنه...تلك العقلية التى قادته الى صحارى الندم عديمة المأوى ضالة الدروب...

كان أول أيامه فى سجنه مشهودا...ما أشبه الليلة بالبارحة...قبل أكثر من عقدين كان يجلس جلسته لأولى فى زنزانة مماثلة لتلك التى هو من نزلائها الآن...ساعتها دمعت عيناه دموع الاحساس المهين بالظلم...أما الآن فها هما نفس العينان تدمعان دموع الاحساس اللائم بالندم...شتان بين الدمعتين...شتان بين السجنين...شتان بين الاحساسين...هو نفس الشخص على كل حال الذى تناقضت دموعه واختلفت سجونه وتباعدت أحاسيسه...هل لنفس

الانسان ان تتلاعب به دنياه هكذا؟...هل لذات الشخص ان تغيره أيامه هكذا؟...ما أضعفه من كائن انن اذ أصبح لتلاعب دنياه فريسة وما أحقره من مخلوق اذ بات لتغير أيامه هدف...وما بين الضعف والحقارة كان الشعور القاتل بالذنب هو الطاغى على ذلك العائد لسجنه بعد عشرين عاما...ظل متحبطا بين أفكاره وذكرياته بلا جديد من هذه أو تلك...حتى انتبه الى ذلك الصوت القادم من جانبه قائلا بنبرة لا تحمل الا السخرية ولا تضم الا الشماتة:

-ها نحن نلتقى مجددا بعدي حين يا عزيزى.

التفت (وحيد) متعجبا من ذلك الصوت الذى لا يعنى الا معرفة أحد به فى هذا المكان الغريب...وما ان رآه حتى عقد حاجبيه قائلا فى استغراب:

-أنت؟

-من الجيد أنك ما زلت تذكرنى...ما زلت تذكر (جمال) بعد كل تلك السنوات

-من الأفضل لك أن تصمت ولا تشعرنى حتى بوجودك البتة...فاحتمالية قتلك لم تعد بالبعيدة الآن.

أطلق (جمال) ضحكة ساخرة قبل أن يقول:

-لا زلت تحتفظ بنفس القدر من الغرور الوهمى يا صديقى...لكنك ومع احتفاظك به لم تعد مهابا أو مخيفا كسابق عهدك يا ذا الشعر الأبيض...لست أعبئ بتحذيراتك المبنية على لا أساس الآن...احتفظ بها لنفسك.

صمت (وحيد) يحاول التستر برداء الصبر قبل أن يسبقه غضبه وهو الذى ذاق مرارة ذلك من قبل...فاستمر (جمال) فى استفزازه قائلا:

-الآن فقط اقتنعت بالمقولة القائلة من يضحك أخيرا يضحك كثيرا...لكن أتعلم؟...رغم سعادتى بنجاح مخططاتى بالايقاع بك فى نهاية المطاف الا أن حزنى على ولدى (حسين) يكاد يذهب بعقلى...نجح بكفاءة فيما خططته له.

قالها يقصد بها اثارة (وحيد) ذلك الذى انتبه لآخر الكلمات تلك فكان سؤاله:

-ماذا تقصد؟

-ألم...تطالبنى بالصمت قبل قليل؟

-صمتك عند هذا الحد يعنى افتراضى شيئا قد يؤدى بحياتك

-لا زلت عند رأيى أنك لم تعد مخيفا كالسابق...لا أرى داعيا لثقتك بنفسك الى هذا الحد...سأخبرك على كل حال...ليس خوفا من ذلك التهديد الأجوف بالطبع...بل لأرى على ملامحك تلك العلامات التى انتظرت سنوات لأراها...اعلم يا عزيزى أن ابنك (حسين) كان على اتصال بى طوال السنوات الماضية...أنا من أخبرته بنشاطك المحذور...وأنا من أرسلته لمن

fb.com/Book.juice

يساعده فى بدء هذا النشاط حتى جلب الممنوعات الى بيتك...أخبرنى بذلك قبلها بأيام لينتقم من ذلك الذى حرمه حياته الهادئة وأمه الحنون...والذى كان أنت بطبيعة الحال كما قلت أنا له.

انهار (وحيد) لما يسمع...لم تعد أذناه قادرتان على تحمل المزيد...انهار وقد شارف على فقدان الوعى غير قادر على الرد أو الاجابة...تمنى لو كان كذبا...لكنه لا يبدو كذلك على أية حال...دقائق مرت عليه من الشلل التام وسط عدم اهتمام من (جكال) الذى أدار له ظهره غير عابئ بالتالى من الأحداث بعدما قال كلماته...يكفيه ما رأى من ملامح غريمه من دلائل توحى بنجاح حديثه فيما طمح اليه.

فى تلك الأثناء كانت الزنزانة تستعد لاستقبال زائر جديد...كان فى الواقع نزيلا متوقعا...نجحت الشرطة فى القبض على (سامى) أخيرا...ها قد اجتمع مع (وحيد) شخص آخر على علم بما قاساه ويقاسيه هذا المسكين...لم يكن (وحيد) ذلك الشخص الذى اعتاد (سامى) على قوته وصموده...ضعف بالغ تجسد فى شروده الى عالم الأموات...يأس رهيب تجسد فى غرقه بين أمواج الماضى البعيد...اقترب من فراشه الذى يجلس عليه وقد طأطأ رأسه للأسفل قائلا:

-علمت بوجودك هنا فى هذه الزنزانة يا (وحيد)

لم يجب (وحيد) ذلك الذى جلس جلسة أشبه بتلة...مال ظهره بطريقة زائدة...تتبعه رأسه بمسل أشد من أن يُلحظ أكثر من ظهره وقد ثنى احدى قدميه على فراشه والأخرى تكاد تلامس الأرض بعدما أرسلها خارج سريره...أما يداه فانعقدت بشدة حتى احمرتا من فرط ثباتهما فى وضع واحد...الأرجح أنه لم يسمع مخاطبه ذلك...تاه فى عالم لا يعرفه غيره...لم يعد بحاجة لذلك العالم الذى لم يعد له به أحباب الآن...انخرط فى عالمه الوهمى...فى ذلك المكان يداعب ولديه صغيرين...وفى آخر يجالس أصدقائه الراحلين...أما فى ذلك الركن البعيد فكانت جلساته بين يدى أمه...تخيلات تزيل عنه بعض ما يعانى رغم كونها أقرب للجنون...لكنها أكثر راحة لذلك المنكوب بواقع السجون وحقيقة الوحدة.

اقترب منه (سامى) أكثر حتى جلس على فراشه يتمنى ردا ولو كلمة واحدة من صديقه الذى يكاد شعوره نحوه بالذنب يفتك به:

-(وحيد)...أعلم أن تعاذىً واعتذاراتى لن تعيد اليك شيئا مما مضى...لكنه يا صديقى.....

قاطعه (وحيد) وهو على نفس الهيئة الا من تغير طفيف تمثل فى رفع كفه فى وجه (سامى) فى اشارة للتوقف عن الكلام قائلا:

-لست الواجب عليه الاعتذار يا عزيزى...انا من أخطأت فى حق نفسى لا أنت...أنا من سلمت نفسى لقمة سائغة لأطماعى لا أنت...لا أستطيع لومك على احتضانى وأنا المشرد...لا أستطيع معاداتك على مساعدتى وأنا المحتاج...لا أستطيع يا صديقى...كفى بالله عليك...كفانى ما انا فيه...لا طاقة لى باسترجاع ما أحفظه عن ظهر قلب...استحلفك بالله...أستحلفك بالله ان تصمت.

fb.com/Book.juice

-بل لا أصمت يا (وحيد)...يكاد شعورى بالذنب يقتلنى...قد أكون محتضنك فى تشردك أو مساعدك فى احتياجك كما تقول...لكنى من جرفتك الى بحر أنت فى غنى عن تلاطم أمواجه...لن أنسى ذلك اليوم الذى جئتنى فيه تطلب الانسحاب...يومها لم أكن الا تجسيدا للأنانية فى أقبح صورها ومثالا للقهر فى أبشع هيئاته...لا أملك الآن ما أقدمه لك الا اعتذارى يا صديقى...هل تقبله؟...هل تقبله يا (وحيد)؟

قالها وقد بدأت دموعه فى التساقط منتظرا لرد صديقه بقبول الاعتذار...ذلك القبول الذى بات أثمن أمانيه الآن...بل وان حق القول...أمنيته الوحيدة!

فوجئ بضحكة متقطعة من (وحيد) وكأنه قد أصابه الجنون بالفعل وهو لا يزال على هيئته من النظر الى الأرض قبل أن يرفع رأسه قائلا:

اعتذار؟...يا لها من كلمة يلجأ لها بنو آدم مع كل خطأ يعجزون عن تقديم الحلول له...أتعلم يا (سامى)؟...قبل عقود من الآن...حين كنت فى أول سنوات عمرى علمتنى أمى ألا أخجل أبدا من الاعتذار طالما كنت مخطئا فهى شيمة الكبار...انحسرت أخطائى حينها فى شئ أكسره أو ساعة أتأخرها خارج البيت...هذا ما علمتنى الاعتذار بشأنه...لكنها وبكل أسف...لم تخبرنى أبدا عن طريقة الاعتذار ان تسببت فى قتل أخوين لبعضهما تحت سمع أبيهما وبصره...عن طريقة الاعتذار ان تسببت فى قضاء ذلك الأب سنوات عمره الباقية فى سجنه بين أحزانه المتزايدة يوما بعد يوم...لم تخبرنى بشأن ذلك يا عزيزى...لم تخبرنى.

لم يكد يتم كلمته تلك حتى منعته دموعه من الاستمرار...أشفق على نفسه كثيرا...طالما توقع من الدنيا اذلالا...لكنه أبدا لم يتوقع أن يصل الأمر لهذا الحد...صمت يجفف دموعه ثليلا قبل أن يستطرد قائلا:

-فات أوان الاعتذار يا صديقى...فات الآوان...كن على ثقة أنى لم أعد أنتمى لذلك النوع من الآدميين الذى يحمل ضغينة لأحد...يكفينى ما عانيت اذ حملت...يكفينى يا (سامى)...اتركنى بالله عليك لأحزانى...اتركنى أنتظر موتى الذى بات الهدية الوحيدة التى أنتظرها من أقدارى الآن...اتركنى يا صديقى رحمة بشيخ لا تعهد السجون كثيرا من هم فى مثل سنه...اتركنى.

قالها وقد فرش جسده على سريره راقدا على جنبه واضعا كفيه تحت رأسه وقد أوشكت دموعه على اغراق وسادته...وبدوره قام (سامى) تلبية لرغبة صديقه بالبقاء وحيدا ولدموعه هو الآخر تكاد تذهب بعينيه ذهاب السيول بالسهول...

أيام مضت على ذلك الموقف و(وحيد) لا يتغير البتة...لا تغير فى أشجانه الا من زيادة ولا تبديل فى أشجانه الا من اتساع...و(سامى) يبذل قصارى جهده لاعادة بعض البسمات ولو متكلفة الى وجه صديقه...حتى تلك الليلة التى جالس فيها (وحيد) على فراشه كعادته كل ليلة على امل استماع بعض من كلماته بلا جدوى...فوجئ بصوته يخترق آذانه بتبرة هى أقرب للانتقام منها الى الرجاء قائلا:

-هل ترغب فى مساعدتى حقا يا (سامى)؟

تراقص قلب (سامى) فرحا وهو الطواق لسماع مثل تلك الكلمة منذ أيام:

-بالطبع...بالطبع يا (وحيد)...سل ما تريد

-أيا كان سؤالى؟

-أيا كان سؤالك...والله لا أتراجع أبدا

-لا تقسم قبل أن تعلم ما أريد...لعلك...تتراجع عنه.

-بل أقسم يا عزيزى...سل ما شئت!

-أريد قتل ذلك الرجل هناك!

قالها وقد أشار الى (جمال) المنخرط فى حديث ضاحك مع غيره من المساجين.

-ماذا؟...تقتله؟...لماذا يا (وحيد)؟...لا أظنك بلغت المرحلة التى تفقد بها رشدك رغم كل ما كان

-ان علمت من هو فسوف تلتمس لى الأعذار.

-من؟...من هو؟

-ذلك الرجل هناك هو قاتل ولدىّ ومدمر حياتى والملقى بى فى السجن عشر سنوات وحارمى من أسرتى قديما الى الأبد.

-ماذا؟...أهذا هو (جمال)؟

-ولهذا أريد قتله

-اهدأ يا (وحيد)...اهدأ يا عزيزى...رأيت الام أوصلك انتقامك فى السابق...لا تكن للأخطاء مكررا يا صديقى.

-أراك تتنصل من قسمك وقد أكدت أنك لن تفعل قبل قليل

-ليس تنصلا...انما فقط.....

قاطعه (وحيد) قائلا:

-هل تذكر ذلك اليوم الذى جئت اليك فيه قبل سنوات؟...يومها قلت لى انك لم تعهدنى صاحب كلمتين...انا الآن أكررها لك يا (سامى)...لم أعهدك صاحب كلمتين

صمت (سامى) حينا قبل أن يقول:

-حسنا يا (وحيد)...لا بأس...أترك الأمر لى...أنا على كل حال أحمل من الجرائم ما يكفى لقضاء ما تبقى لى من عمرى هنا...لا بأس باضافة جريمة أخرى

-ما لمثل هذا حادثتك...لن يقتله غيرى...لا أريد منك الا مساعدة هامشية فقط

-ماذا؟...إن كُشف امرك فلا مفر من اعدامك!

-وكذلك الخال بالنسبة لك...لن يأخذ ثأرى غيرى.

-لكن عقوبتك ليست كعقوبتى يا صديقى...من المحتمل ان ترى حياة ما خارج السجن فى مقبل أيامك...أما أنا...فلا أرانى يسعفنى عمرى لذلك...لا أرانى الا ميتا بين تلك الجدران

-كفانا حديثا فيما لا يهم...كما قلت لك...ثأرى لن يأخذه غيرى...دعنا نخطط الآن فيما سنفعل...سنقتله الليلة فى فراشه.

استمر الحديث بين الصديقين حينا قبل أن يفترقا ليلجأ (وحيد) الى قيلولة صغيرة يحاول بها قتل الوقت حتى مجئ الليل...ها قد حانت لحظة التنفيذ واطمأن الصديقان لخلود الجميع للنوم...قام (وحيد) و (سامى) الى حيث خططا أثناء النهار...جلس (سامى) فوق صدرهممسكا بيديه محبطا أى محاولة للمقاومة فى حين قام (وحيد) بشنقه بمنتهى العنف والغل حتى اطمأن تماما لموته...لم يبد القتيل أى مقاومة من الأساس...لكنه على كل حال بات فى عداد الأموات الآن.

حمل الصباح التالى ما توقعه الصديقان...مسائلات وتحريات لجميع المساجين...مع وعد بتحريات أخرى بعد تقرير الطبيب الشرعى..مضت عدة أيام أجهد فيها الصديقين الترقب والقلق...حتى تم استدعاء (سامى) لدوره فى التحريات...بقى (وحيد) فى زنزانته ينتظر دوره...الا أن استدعاءه تأخر كثيرا...ظل على فراشه منتظرا وعيناه متعلقتان بباب زنزانته حتى سمع حديثا جانبيا بين اثنين من المساجين:

-هل سمعت ما سمعت؟...يقولون أن (سامى) هو القاتل...كل الدلائل ضده...هناك أيضا من يقول أنه اعترف على نفسه.

هم (وحيد) فزعا قاطعا حديثهما مخاطبا المتحدث:

-من أين لك بهذا الكلام؟...أرع لا وقت لدى أضيعه

-سمعته من السجان يحادث به زميله

انطلق (وحيد) الى باب زنزانته كالمجنون وسط دهشة الجميع ممسكا بقضبان الزنزانة يكاد يقتلعها صائحا:

-أيها السجان...أحمل معلومات هامة عن قضية القتل...أيها السجان...أيها السجان

fb.com/Book.juice

انتبه له السجان فأرسل يخبر رئيسه...ذلك الذى سمح له (وحيد) بمقابلته...دقائق وكان (وحيد) يدخل حجرة الضابط..وجد (سامى) واقفا لكنه تغاضى عن حديثه الا من بعض نظرات...باغته الضابط متسائلا:

-قلت أن عندك معلومات...هات ما عندك سريعا فلا وقت لدينا

-أنا...أنا من قتلت (جمال)

قام اليه الضابط فى فتور متسائلا:

-وكيف قمت سيادتك بقتله؟

-شنقته بيدى هاتين

-لكن دعنى أخبرك بشئ بسيط قد تغير بسببه رأيك...(جمال) لم يُقتل مشنوقا...

-ماذا؟...كيف ذلك؟

-قتله صديقك هذا بالسم...اثبت ذلك تقرير الطبيب الشرعى...اضافة الى شهادة أحد المساجين بأن آخر كوب احتساه (جمال) كان مقدما اليه من (سامى)...وبفحص الكوب تبين وجود آثار السم به...هل لديك شيئا آخر تضيفه؟

كلمات أذهلت (وحيد) فتبادل النظرات الحائرة مع صديقه تارة ومع الضابط أخرى...ظل محادثا نفسه للحظات قائلا:

-الآن فقط حصحص الحق...هذا يفسر عدم مقاومة (جمال) لى أو ل(سامى)...كان...كان ميتا من الأساس.

لكنه تغلب على ارتباكه قائلا:

-مهلا يا سيدى...مهلا...لابد أن هناك خطأ ما

قاطعه الضابط بحدة قائلا:

-لا وقت لدى لهذا الهراء...اعترف هذا القاتل وانتهى الأمر...وسينتقل الآن الى زنزانة منفردة قد تصل حد الاعدام...انتهى كل شئ ولا أريد المزيد من الجدالات

قاطعه (سامى) بنبرة هادئة يرجوه بقوله:

-سيدى...هل لى بحديث صغير على انفراد مع صديقى قبل انتقالى للحبس الانفرادى؟

صمت الضابط حينا يفكر بالأمر حتى استطرد (سامى) قائلا:

-قد لا ألقاه ثانية يا حضرة الضابط...أرجوك...هذه آخر أمنياتى!

-حسنا لكن لا تتأخرا...ورائى عمل يجب أن أنجزه.

fb.com/Book.juice

-أمرك يا سيدى...اطمأن لن أطيل الحديث.

خضع الضابط لرغبة الصديقين وغادر المكتب تتبعه عيون (وحيد) و (سامى) حتى خرج...بعدها تبادلا النظرات قليلا قبل أن يبادر (سامى) قائلا:

-أظننى الآن جدير بنيل عفوك يا صديقى.

أجابه (وحيد) ذلك العائد لصوته الدامع من جديد:

لماذا يا (سامى)؟...لماذا فعلت ما فعلت؟...أترانى قادرا على تحمل المزيد من الندم؟...رفقا بصاحبك يا صديقى...رفقا بصاحبك

قالها وقد بدأ صوته فى الاختفاء من جراء ما يذرفه من عبرات قبل أن يستوقفه رد (سامى) الذى أمسك بذراعيه بقوة قائلا:

-بل رفقا أنت بنفسك يا (وحيد)...رفقا أنت بنفسك...أقسم أنك على وشك الموت ان ظللت على حالتك تلك...لن تغير الماضى يا عزيزى...ما فات قد فات ولن يعود...التفكير فيما مضى قد يكون اضطراريا...الندم على ما حدث قد يكون لا ارديا...لكنى على ثقة أنك لا زلت تملك بعضا من ارادة كفيل باستمرارك قويا حتى نهاية السباق...لم أعهدك الا قويا يا رجل...بل لم أستعن بك الا لذلك.

-كان ذلك قديما يا صديقى...حين كنت (وحيد) بطل أكتوبر...حين كانت تظللنى بعض نسمات القدرة على الكفاح...أيام لا أرانى عائد اليها فى الباقى من قادم أيامى

قاطعه (سامى) قائلا:

-بل تعود...بل تعود يا صديقى...اعلم يا (وحيد) أنى لم أفعل ما فعلت الا لعودتك التى أحثك عليها الآن...التقت رغبتك فى التخلص من ذلك الذى دمر قوائم حياتك ورغبتى فى جلاء ما أشعر به من ذنب تجاهك...فكانت نتيجة اللقاء تلك التضحية التى أراك جديرا بأعظم منها...لا أعلم ان كنت مخطئا أم لا...لكنه الشئ الوحيد الذى امتلكته بين يدى أستطيع بها تحقيق رغبة أردتها أنت...أنت من منبت طيب يا (وحيد)...كن دوما ذاكرا لتلك الحقيقة...هذا يُعجِّل بعودتك...كن على ثقة ان الحياة لم تنته بعد...ما زالت تنتظر منك جهادا اعتادت عليه منك يا صديقى...اعمل على احياء ذكرى والديك المكافحين...لا زالت أراحهما تتابعك...لا زالا يأملان فى (وحيد) ذلك الذى أنجباه قديما وكان لهما نعم السائر على خطى والديه...رحل من رحل أو بقى من بقى فهو أمر واقع يا صديقى...تعايش مع حاضرك حتى لا يُفقدك ماضيك مستقبلك...لا أظننا نلتقى بعد الآن يا (وحيد)...أعلم أن فى حياتك من الراحلين من هم أحق منى بالتذكر يا صديقى...لكنى وان كنت مشرفا على الموت فلا زلت على أمل بسيط يعنى لى الكثير...ان قضت الظروف بأن تذكرنى يا (وحيد) فاذكرنى بخير...اذكر ذلك الذى تعلم منك ومن مشوارك الكثير...ورغم ان الوقت لم يسعفه للاستفادة مما تعلم...الا انى أشعر بالفخر من وداعى للحياة وأنا حامل لبعض قيمها...تذكر ذلك الذى باتت آخر أمانيه فى آخر أيامه أن ينال

عفو أنقى من عرف وأصفى من قابل...تلك الأمنية التى قضت بقتلى من آدّى به الى حيث لا يستحق...الوداع يا صديقى الوفى...الوداع يا صديقى!!

قالها وقد دخل الضابط آمرا باقتياد (سامى) الى حبسه الانفرادى و(وحيد) يردد باكيا بحرقة:

-قتلتنى ولم تقتله يا صديقى...قتلتنى ولم تقتله...ظل يرددها حتى جثى على ركبتيه يتعلق بأقدام صديقه ومن يقودونهالى سجنه يكاد بكاءه يقتله وأقصى أمله البقاء مع صديقه المزيد من اللحظات...لكنه كان الأمل الذى لم يجد طريقا لتحقيقه فى ظل ابعاده عن من أراد البقاء الى جانبه حتى اقتادوه هو الآخر الى سجنه.

ها قد رحل آخر الأصدقاء...رحل آخر العالمين بقصته الباكية المبكية...ودعه الجميع الآن...محسنهم ومسيئهم...مصيبهم ومخطئهم...بارُّهم وعاقُّهم...وبين المحسن والمسئ ظل هذا المحطم يجالس أحزانه بلا جليس آدمى...بين المصيب والمخطئ ظل ذلك التعيس يرافق آلامه بلا رفيق انسانى...بين البار والعاق ظل ذلك النادم يصادق مصائبه بلا صديق بشرى...اصبح تجسيدا بينا للوحدة الآن...لأول المرات يشعر أن له من اسمه نصيبا عظيما...كم هو مؤلم ذلك الشعور...ان تفتقد يدا تمسح السائل من عبراتك خلف ستائر ليل حزين...أن تفتقد حضنا يضم الجريح من آهاتك بين أمواج غروب شجين...افتقدهما ذلك الذى باتت دموعه جزءا أساسيا من ملامحه بين مقلتيه وفكيه...كم هى قاسية تلك الأيام...كان يظن أن ليس للضعيف فيها مكان...لكنها لفظته حتى فى أوج قوته...يبدو ان الخطأ لم يكن فى منهجه...انما كان فى شخصه الفاقد لمقومات النجاح حسب ما أغواه به شيطانه الذى بات الوحيد المرافق له...لم تعد به حاجة لأصدقاء جدد الآن...يكفيه ما عانى من لقاء الأصدقاء وفراقهم...حسبه ما لاقى من وداع الأحبة ووداعهم...حسبه الوداع ويكفيه الفراق...استعاض عن صداقة البشريين بأحبار لأقلام عكفت على التدوين...استعاض عن محبة الأناسى بسطور لصفحات عكفت على استقبال تلك التدوينات...جعل همه الأوحد تدوين مذكراته منذ ولائته...انعزل عن الجميع وبات صديق أقلامه وأوراقه...اتهمه الكثير بالجنون...لعل ذلك كان لأجل صمته المتواصل...لعله لأجل تصرفاته الغير معتادة لسجين...لكنه الاتهام الذى لم يعبأ به (وحيد) كثيرا وهو الذى لم يعد يعبئ بأى شئ من الأساس.

fb.com/Book Juice

انقضت به سنوات سجنه بطيئة كعادة سنوات السجون...لم يهتم لبطئها كثيرا بطبيعة الحال...فهو ان خرج فلسجن أكبر لا يعلم كيف تغيرت معالمه...ظنها الكثير حرية ولم ينظر لها أبدا كذلك...فما كان ليعتبر وجوده وحيدا بلا رفقاء ولا أصدقاء ولا أحبة حرية أو حياة...له نظراته وللناس ظنونهم على كل حال...لا يهتمون لنظراته ولا يهتم لظنونهم.

لجأ من جديد لبيته القديم الذى احتضنه فيه خاله بين جدرانه قبل عقود...تذكر يوم جاءه ابن عمه ليأخذه وعائلته للأسكندرية...حينها اقترحت عليه زوجته (أمل) بيع المنزل...رفض علّهم يستفيدون منه فى قادم الأيام...هاقد حان وقت الاستفادة الآن...لم يكن يخطر بباله ساعتها أن استفادته ستكون بلجوءه اليه منفردا بعد سنوات سجن طويل...لكنها الأيام التى عهد منها مالا يتوقعه...

ظل به ما يقرب من عامين قبل أن يطرق بابه ذات يوم شاب جاوز الثلاثين ...ملامح كأنه عهدها قبل سنوات طوال...تفرس فى وجهه حينا طويلا قبل أن يقول:

-هل لى أن أخدمك يا بنى؟

أجابه الشاب بابتسامة عريضة قائلا:

-علمت انك تعرض شقة فى الطابق الثانى لهذا المنزل للايجار يا سيدى أليس كذلك؟

-أنت محق يا عزيزى...تفضل بالدخول

لبى الشاب الدعوة وفى غضون دقائق كان يجالس (وحيد) لمعرفة شروطه...غير أن (وحيد) كان يفكر فى شئ آخر بخلاف موضوع الايجار ذاك...كان على شعور قوى أنه سبق وقابل هذا الشاب أو رأى له شبيها...فمازال على ثقة بذاكرته رغم سنها الكبيرة:

-هل سبق أن التقينا قبل ذلك يا بنى؟

-التقينا؟...لا أظن يا سيدى...فأنا قضيت طفولتى وجزءا من شبابى فى الأسكندرية...ثم سافرت الى عمان منذ فترة طويلة.

-الأسكندرية؟...أى منطقة فى الأسكندرية؟

-أبى قير...هل من مشكلة يا سيدى؟...أراك كثير السؤال عن تفاصيل لا علاقة لها بموضوعنا...

-لا يا بنى...ليس هناك مشكلة بالطبع...أرجنى اذا سمحت باجابتك فلن أطيل عليك كثيرا

-تفضل

-قلت لى ان اسمك (على)...هلا تكرمت بابلاغى به كاملا؟

-رغم أنى لا أفهم سببا لكل ذلك الا أنى سأبلغك على أية حال...اسمى (على حسام.....

قاطعه (وحيد) قائلا:

-(عباس)...(على حسام عباس)...أليس كذلك؟

تعجب الشاب لدرجة بلغت حد الذهول قائلا:

-أنت...انت محق أيها العجوز...كيف علمت؟

تهللت أسارير (وحيد) وتساقطت دموعه فرحا قبل أن يقول بصوت تراقصت نبراته غبطة:

-والله لقد صدق حدثى أخيرا...ألا تعرفنى يا (على)؟...ألا تعرف عمك (وحيد)؟

-ماذا؟...ماذا تقول يا رجل؟...لا أعرف الا شخصا واحدا بهذا الاسم وقد رحل شهيدا منذ زمن بعيد!

fb.com/Book.juice

-بل لم يمت يا عزيزى...هو حى يرزق يخاطبك الآن...

استمر الحديث ساعات بين (وحيد) ذلك العجوز الفرح بانتهاء وحدته أخيرا و(على) ذلك الشاب الذى اقتنع تماما بصدق عمه بعد اثباتات عدة هو على علم تماما أنه لا يعلمها الاه وأن كاد عقله يذهب من تلك المفاجأة التى لا يعهدها العاقلون كثيرا فى دنياهم.

-حدثنى عن أيام أبيك الأخيرة يا (على)...كم أشتاق الآن لأخى الوفى...قد أجد راحتى فى بعض كلمات عنه

-ايه يا عمى (وحيد)...كم كان أبى يحبك...لم يكد يجلس فى جلسة الا كانت سيرتك الصافية تتخلل حديثه فيها...كان يوم رحيله من أصعب أيام حياتى ان لم يكن أصعبها على الاطلاق...الجميع من حوله يبكون وهو باسم...الكل من حوله حزانى وهو فرح بالذهاب الى العالم الآخر...كانت آخر كلماته لى وصايا تُكتب بماء الذهب لا زلت أسير على خطاها حتى اليوم...قال لى:

-أعلم أنها النهاية يا بنى...لست خائفا من الموت كما ترى...لم أرتكب من الجرائم أو أقترف من الذنوب مما يجعلنى قلقا من سؤال القبر...عليك بالصيام يا (على)...حفاظك عليه سيقودك للحفاظ على صلاتك...وحفاظك على صلاتك لا يقودك الا لكل خير أراده الله من عباده الأبرار...لا تحمل للدنيا هموما تتسبب فى اسالة ولو عبرة واحدة من عبراتك...الحياة أقصر من أن تضيع فى مثل هذه الأمور...اجعل وقت سعادتك طويلا ووقت أحزانك لا يتعدى الدقائق...لست بحاجة لأوصيك على أمك يا ولدى العزيز...وانى وان كنت لم أترك لك من الكنوز ما يريحك ومن العطايا ما يبهجك...فيكفيك من كنوز الدنيا دعائها وحسبك من عطايا الأيام رضاها الدائم عنك...لا أملك لك غير هذا يا (على)...ترحّم على والدك دوما وكن له من الداعين.

-آه لها من كلمات يا (على)...لا أراها غريبة فى ظل معرفتى بوالدك رحمه الله.

أقام (على) مع (وحيد) فى نفس المنزل يقوم على خدمته كأفضل ما يكون...ها قد أنعم عليه القدر أخيرا بمن يجعله يغادر الدنيا يرشف بعضا من كؤوس سعادتها وهو الذى نسى طعم السعادة من زمن بعيد...استمرت حياته على ذلك المنوال الهادئ حتة غادره (على) من جديد الى عمان ينهى بعض أعماله هناك على وعد بالعودة السريعة ليكون الى جوار عمه الوحيد...

بات ينتظر عودته على أحر من الجمر وهو الذى لم يعد له فى دوامة الأيام من سند سواه...حتى تلك الليلة التى كان فيها غارقا بين صوره وكتاباته...داعبته خيوط الصباح فى شرفته فاستيقظ متكاسلا يفكر فى ذلك الحلم الذى مر فى ذهنه كفيلم سينمائى طويل...استعاد شريط حياته من الألف الى الياء...بل انه ذكّره بتفاصيل كاد ينساها عزم على تدوينها فى ذكرياته...أين هو الآن من أبويه وزوجتيه وولديه وأصدقائه؟...انحسرت ذكراهم جميعا على بعض أوراق وضعها فى ذلك المظروف على منضدته بجوار كوبه الفارغ وصوره المتناثرة قبل خلوده للنوم على كرسيه المقابل قبل ساعات...لم يفكر كثيرا فيما رأى...هو على علم تام

به...يكفيه التفكير طيلة أعوام مضت...ضجت الحركة من جديد فى الشارع الذى كان يتابع سكونه قبل خلوده للنوم...تغير طبيعى نمطى فى ذلك التباين المعتاد بين حياة الليل وحياة النهار...ظل متابعا تلك الضجة الآخذة فى التزايد حينا قبل أن يعاود كتابة آخر فصول قصته...ها قد وصل أخيرا لآخر الأحداث...لم تعد به حاجة لتدوين آخر أيامه تلك...لم تحمل جديدا يستحق الذكر...ليس من المنطقى اقران السابق من أحداث تأججت بالسخونة والتلاحق بتلك الحالية من أحداث معتادة لشيخ فى أواسط السبعينات...رتب أوراقه فى ترتيب مألوف ووضعها على طاولته...حدثته نفسه بزيارة لم يقم بها منذ سنوات...لعل الوقت قد حان أخيرا للقيام بها...أعد نفسه للذهاب...وقت طويل بعض الشئ استغرقه للوصول الى تلك المقابر التى هجر زيارتها منذ حين...كان يحفظ طريقه فيها رغم غيابه الطويل...خطوات وئيدة بمساعدة عكازه كانت السبيل الى ذلك القبر الذى توسط باقى القبور...

هنا ترقد فى سلام المغفور لها باذن الله السيدة (أمينة محمد)...هكذا كان نص الكلمات المنقوشة على القبر الذى قصد زيارته...آه لها من دنيا قصيرة...صدق القائل (كفى بالموت واعظا)...حقا لله در سكون الأموات...ذلك المذكر بحياة أبدية غفل عنها وتناساها كثير من سكان دنيا خبيرة فى اغواء سكانها...جلس جلسته تلك التى اعتاد عليها قبل سنوات طوال...يستند بذقنه الى كفه المستند بدوره الى عكازه...ظل ما جاوز الساعتين يداعب ما مضى من الذكريات وتداعبه...يغازل ما مضى من الأحداث وتغازله...أحس أخيرا بارهاق فرضته عليه سنه الكبيرة فهم بالنهوض قبل أن ينحنى على قبر أمه يقبّله...ظل فى تقبيله حينا كبيرا مغمض العينين راغبا فى رؤية أمه فى خياله قبل أن يفارقها

-أراك تذكرت أمك بعد سنوات يا (وحيد)

-أمى؟...والله لم أكن لأنساكى أبدا يا أماه...كان فقط الخجل مما كان منى الذى منعنى من زيارتك طيلة ما مضى من الأعوام...ثم الشوق العارم لمرآك الذى قادنى اليك من جديد

-يكفينى منك خجلك يا بنى...يكفينى منك خجلك...هو انعكاس لنفس لوّامة غيرها شيطانها لتلك الأمارة بالسوء قبل أن تعود من جديد الى نقاءها...أما عن الشوق...فلا أظن ذلك جديدا على صغيرى الذى بات عجوزا الآن...كانت هذه سمته دوما حتى فى وجودى بجانبه.

-كادت آخر زياراتك لى تقتلنى كمدا يا أمى...حينها شعرت بجرم ما كان منى...كان رحيلك وأنت تنوين عدم العودة أكثر ايلاما من جمرات يفترش عليها جسدى الواهن النادم على ما فعل

-هو الندم اذن يا عزيزى الذى أعادنى اليك...كان ذلك جزءا من تربيتى لك وان لم أكن بجانبك...اتذكر يا (وحيد)؟...أتذكر حين كنت طفلا؟...كنت ذلك دوما اسلوبى فى اعادتك لصوابك فى مرات خطأك...حينها كنت انتظر مجيئك للاعتذار فلا ألبث أن أسامحك...قد نجحت هذه المرة أيضا وان طال تأخيرك بعض الشئ...

-أأنت راضية عنى اذن يا أمى؟

ابتسمت الأم ذات الرداء الأبيض ابتسامة الرضا عن قول ابنها قبل أن يكون ردها:

-كيف لا أرضى عن من عفى عنه ربه يا (وحيد)؟...أظنك نلت بتوبتك عفو الله يا بنى...كان ندمك صادقا...احسست به نابعا من قلب ناو على التغيير...الصدق يا عزيزى...الصدق من أنجاك ولا غيره...صدق النية وصدق التوبة...وطوبى للصدقين من شخص عازم على العودة لطريق الصواب.

-آه يا أمى كم أثلج كلامك هذا صدرى...أشعر بالراحة اخيرا بعد سنوات من غيابها عنى...كم أشتاق لاحتضانك وتقبيل يديك يا عزيزتى.

-عما قريب...عما قريب ستفعل ان شاء الله يا بنى...جلساتنا فى العالم الآخر لا ينقصها سواك...أبوك يقرأك السلام يا (وحيد)...تباينت مشاعره تجاهك طيلة ما مرَّ من الأعوام تباين ما مرَّ بك من الأحداث...بين شفقة وغضب...بين رحمة وحنق...لكنه دوما لم يتخلَّ عن محبته لك رغم كل ما كان من غضبه وحنقه.

-هل نجحت فى نيل صفحه عنى كما نجحت فى نيل صفحك يا أمى؟

-لولا نيلك هذا الصفح ما أقرنك السلام يا صغيرى العجوز...حان وقت رحيلى الأن يا بنى...سأرحل على أمل بلقاء قريب يجمعك بأحبابك االذين اشتاقوا لك كاشتياقك لهم بل يزيد.

-سأحيا على نفس الأمل يا أمى...أنا بانتظار ذلك اللقاء يا عزيزتى...الوداع يا أماه

-بل الى لقاء يا (وحيد)...الى لقاء يا بنى

قالتها باسمة وانصرفت تتبعها عينا ولدها الذى ارتاحت نفسه أخيرا بعد سنوات قضتها فى عذاب قلَّما تحتمله نفوس بنى الانسان...لم يكد نظره يدرك اختفاء أمه حتى سمعت أذناه ذلك الحديث الجانبى القادم من بعيد بين أصوات ثلاثة ليست بالغريبة على مسامعه...

-ها هو هناك أخيرا يا أصدقاء...ألم أقل لكم أننا سنجده؟

-(وحيد)...ها هو أخيرا صديقنا الذى أرهقنا البحث عنه...كنت محقا يا (عبد الله)...لم يشأ الله أن يخيب ظننا بعد كل ما كان من عناء بحثنا.

-الحمد لله أن جمعنى بابن عمتى من جديد بعد طول غياب

انطلق صوت (وحيد) من بينهم قائلا بصوت جلية فرحته:

-انه أنتم من جديد يا أصدقائى الأعزاء...كم افتقدتكم أيامى...فرحتى الآن بلقائكم تعجز عن وصفها ألسنة أبلغ الواصفين.

لم ينتظر طويلا حتى أتاه رد (عبد الله):

-بل انى على ثقة أن فرحتنا بلقائك أعظم من أن تتناولها تلك الألسنة بالوصف يا صديقى...أتعلم يا (وحيد)...قابلنا فى بحثنا عنك شخصا دميما يدعى أنه أنت...كدنا نفتك به حين تجرأ ولفظ ذلك الادعاء...فشتان بينكما فى كل شئ...كان أشبه بشيطان رجيم.

fb.com/Book.juice

لم يكد (عبد الله) يتم كلماته حتى جاء صوت (أحمد) مكملا:

-لن أنسى ادعاءه الكاذب بوجود علامة فى جبهته كتلك التى خطها (الساعى) فى جبهتينا قديما يا صديقى...جُن جنونى حين أراد الانتساب اليك دون وجه حق.

ابتسم (وحيد) ابتسامة عريضة بعدما أيقن أنه نال عفو ربه ورضا محبيه عنه:

-أنا أيضا قابلت ذلك الشيطان...بل انى عايشته سنوات

-عايشته؟

-نعم يا (حسام)...عايشته

-كيف كان ذلك يا صديقى؟

-انها قصة طويلة يا أخى...دعنا ندخر سردها الى ذلك اللقاء القريب الذى وعدتنى به أمى

-زوجة عمى (أمينة)...كم أشتاق لرؤية تلك السيدة من جديد...طال غيابها عن ناظرى منذ كنت طفلا

-أنا أيضا يا (حسام) أشتاق لعمتى (أمينة) كثيرا...شوق كبير يدفعنى لرؤيتها بعد عقود من الغياب.

-بل أنا الذى قتلنى شوقى لرؤية تلك السيدة يا أصدقائى...سمعت عنها ما يكفى لملئ صفحات فى كتب الكفاح...غير أن عيناى لم تنعما حتى الآن برؤيتها.

-قريبا جدا ان شاء الله يا صديقى الأسوانى...هكذا كان وعد أمى

-أنا بالانتظار على أحر من الجمر حتى هذا اللقاء الموعود

جاء صوت (حسام) مكملا لحديث صديقيه:

-دعونا الآن من حديث المستقبل ولنستمتع جميعا بلقاءنا العائد الى انعقاده بعد غياب طويل.

-وهو كذلك يا ابن عمى...ولو أنى أراه مستقبلا حق وصفه بالقريب الى حد بعيد.

طال انحناء (وحيد) على قبر أمه حينا طويلا...ذلك الانحناء الذى أثار وبشدة انتباه ذلك الخفير على المقابر فاتجه اليه يوقظه:

-سيد (وحيد)...سيد (وحيد)...

لفظها عدة مرات بلا رد قبل أن يهزه بذراعه ليفاجئ به يهوى على الأرض جثة هامدة بجوار قبر أمه

انه الرحيل أخيرا...نهاية لحياة عامرة بأحداث قلما تشهدها حياة شخص واحد...قضت أقداره بوداع أعظم من عشق قلبه وأصدق من أحبت نفسه...مات (وحيد) أخيرا فى نهاية المطاف...نهاية مفروغ منها مهما طالت الأعوام...ها قد رحل أخيرا بمن تمنى لسنوات اللحاق بهم...احداث جلل شهدتها حياته بينهم وأخرى شهدتها حياته بعدهم...لينتهى الأمر أخيرا بصاحب الحياتين ملقى وحيدا على تراب المقابر بين عكازه عن يساره وقبر أمه عن يمينه...لم يكن الا ساكنا بين سكان عديدين فى هذه الحياة...من المؤكد وجود من عانى مثله الكثير...لا ريب فى وجود من عانى أكثر منه الكثير...ولا يساور العاقلون الشك فى وجود الأقل معاناة الكثير...هى حكمة الأقدار ومنطق الدنيا...اختلاف فى الدرجات باختلاف الحيوات...لينتهى المطاف بالجميع ميتا كذلك الوحيد...يلاقى ربه يجزيه باحسانه احسانا...ويجزيه عن آثامه بعدله جل شأنه.

ثلاثة شهور مضت على الرحيل قبل أن يعود (على) من جديد بعدما أنهى أعماله كاملة فى عمان كما كان وعده لعمه المسن...وفاء بالوعد كما علّمه والده...غير أنه متأخر الى حد كبير...تلقى الخبر كما لو كان قد عايشه طوال عمره...أحس بفراغ كبير لم يشعر به قبل اليوم...احاسيس متداخلة تاه بينها لُبّه المصدوم...بين شفقة على حال ذلك العجوز الراحل الذى فارق دنياه فاقدا لكل شئ...وعظة مما حكاه له قبل موته فى جلسات سمرهما معا...وأخيرا حزن على صديق أبيه الأول والوحيد...عكف كثيرا على قراءة مذكراته مبعثرة الأوراق جليلة الأحداث...قبل أن يعمل على طباعتها ونشرها لتكون قصة (وحيد) المكتوبة بيده الأثر الوحيد الباقى من ذلك المنتقل الى العالم الآخر للقادمين من بعده...

أقام (على) فى المنزل وحيدا قبل أن يتزوج وتمن عليه الأقدار بولدين سماهما (حسام) و (وحيد)...لعله الدافع فى عدم نسيان هذين الأسمين مهما امتدت به أيامه...طفلان مازالا يخطوان أولى خطواتهما فى دنيا التناقضات حاملان لأسمين طالما صالت خطواتهما وجالت فى هذه الدنيا...ساكنين لمنزل طالما شهد من عظيم الأحداث قبل عقود طوال.

كان صباحا مشرقا الى حد يوحى بشموس ربيعى رغم كونه أحد أيام الصيف...جولة معتادة لتلك الأسرة ذات الأعضاء الثلاثة...أب من أصل أسوانى وأم على نفس شاكلته وبينهما ابنهما الشارع فى الخامسة عشر...سير ونيد كذلك الذى اعتاده الثلاثة فى أيام عطلتهم المتكررة فى نهاية كل أسبوع...توقف الأبوان فجأة وقد فطنا الى غياب ولدهما السائر بينهما منذ بداية السير...التفتا ليجداه واقفا يتأمل احدى الواجهات لمكتبة صغيرة على جانب الطريق...تعلق نظر الفتى بشدة بتلك القصة المتواجدة فى ركن بعيد وقد توّجها ذلك العنوان الصغير (وحيد)...رغبة خفية تملكت الصبى فى الاطلاع على ما تضمه بين دفتيها من الأحداث...لم يعلم دافعها أو يفطن لأساسها...لكنه الحرص الغامض على قراءتها بكل الأحوال...لم يدر بنفسه الا طالبا من أبيه ذلك الطلب المفاجئ بشرائها...لم يكن الأب ذلك المعتاد على اهتمام ابنه بقراءة مثل تلك الكتب ذات المحتوى القصصى...غير أنه لبّى طلبه بكل تأكيد.

أيام مضت على هذا الموقف وذلك الفتى لا يغادر حجرته الا لضرورة...لا يقرأ صفحة الا وتجنبه الأخرى لقراءتها...موقف لم يعتد عليه ذلك الأب الذى دفعه فضوله لاستكشاف تلك الكلمات التى نجحت فى حبس ولده الغير معتاد على القراءة من الأساس...عكف كولده على قراءة تلك القصة الطويلة حتى بلغ آخر صفحاتها...انتهى منها أخيرا بعد أيام ليغلقها دامعا يقبلها ويضمها الى صدره بعدما أيقن أن والده الأسوانى كان احد أبطالها المؤثرين...لم يعد يساوره أى شك فى ذلك بعدما قرأ من اسمه ووصفه وحكايته ما ذكره (وحيد)...ولالأخص تلك الصورة التى رسمها لابنه الغائب عن أحضانه قديما والتى لا زال هذا القارئ يحتفظ بها تزين أحد الحوائط فى حجرة ابنه حفيد الرسام...كانت تدابير الأقدار اذن هى التى دفعت ولده للتعلق بذلك المطبوع...لا لشئ الا لتتكشف أمام ذلك الأب حقيقة أبيه النقية التى غابت عنه لسنوات...أغلقها ووضعها على سطح ذلك المكتب الملاصق لحائط ابيض اللون تزين صدره تلك اللوحة لصبى صغير رسمها له أبوه قبل عقود...

انصرف مغادرا حجرة ولده مغلقا بابها وما زال ذهنه يعانق كلمات (وحيد) التى ختم بها قصته قائلا:

-لا أعلم ان كانت هذه المذكرات سترى النور يوما أو لا...لا أهتم كثيرا بمصيرها...يكفينى معايشتها لحظة بلحظة طوال بعض وسبعين عاما...ان قضت الأقدار بخروجها للنور يوما من مظروفها المتهالك ذاك...فاعلم يا قارئى العزيز أن شيخوخة مسطر تلك الكلمات لم تسمح له باحتواء كل ما مر به من الأحداث...بعضها عانق ذهنى بشدة فكان مصيره الخلود بين أركانه...وأخرى تاهت بين سبل الغفلة فكُتب لها ذلك المصير المضاد من النسيان...هى الذاكرة البشرية القاصرة على أية حال...قد تذكر البعيد وتسهو عن القريب...تحتفظ بالعسير وتغض الطرف عن اليسير...وما بين تذكرها وسهوها تظل على جدارتها بالتأمل والدراسة...ما بين احتفاظها وغض طرفها تبقى شاهدة على ضعف الكائن البشرى المغرور...لست اديبا أو شاعرا...لم أكن يوما بالسائر فى سبيل الكتابة أو السابح فى يم التعبير...لكنها قصتى التى لا أراها تتكرر كثيرا بين الأحياء من بنى آدم...عكفت على تدوينها سنوات غير عابئ باطلاع أحدهم عليها أو عدم اطلاعه...سنوات قضيتها سائرا بين صفحاتها...لم أعرف لى صديقا غير أقلامى المسجلة أحداثها...لم أعلم لى رفيقا الا أوراقى الحاضنة لتلك التسجيلات...سمعت من أمى قديما أن الحياة ليست الا اقتناص العظات من أحداث أيامنا...ليست الا اصطياد الغبر من نكبات لياليا...ليست الا حيازة الحكمة من مصائب واجهتنا بها سنوات أعمارنا...اقتنص العظة من أحداث (وحيد) الطفل اليتيم...اصطد العبرة من نكبات (وحيد) الرجل الذى أعماه الانتقام...واذا أردت أن تحوز الحكمة فضالتك فى احزان ذلك الشيخ الوحيد...اكتسيت أردية الجهاد ونظيرتها لرواد السجون...أردية العزة وقرينتها لأرباب الذل...أردية الغنى ومثيلاتها لأهل الفاقة...أردية ونظيراتها وأخرى وقريناتها وثالثة ومثيلاتها...وصاحبها قد خلعها جميعا ليكتسى أردية الوحدة العجفاء قبل رحيله...لا أظننى أجد من دنياى المزيد من الأحداث الجديرة بالذكر...كفانى ما لقيت من من مفاجآتها وكفاها ما لاقت من صمودى...عقود كنت ودنياى خصمين بلا حكم بين طرفى الخصام...متناحرين بلا وسيط بين عضوى التناحر...متنازعين بلا قاضى بين فريقى النزاع...وانى وان كنت الآن ذلك الشيخ الذى جاوز السبعين فلا أرانى قادرا على تحديد الطرف الفائز أو العضو الرابح أو الفريق ذى

الظفر...ظفرت منها بسنوات من أفراحي وظفرت هى بأخرى من أحزانى...وما بين انتصارها وانكسارى وانتصارى وانكسارها...فها انا على وشك الرحيل صفر اليدين خالى الوفاض...ليكن لك يا قارئى العزيز أخيرا فى حكمة (أمينة) وكفاحها قدوة...فى هدوء (حسام) ووفائه مثل...فى حمية (أحمد) اخلاصه شاهد...فى تضحية (سامى) وتوبته عبرة...أما عن (عبد الله) فلا أظنك تجد خيرا من طيبته وصبره لتتخذهما سراج دربك الطويل...ما أنداه ذلك المخلوق المسمى بالانسان...ما اضعفه واشد ضآلته...لا يعى حكمة الحياة وقانونها الا بعد انتهائها وخروجه منها صفر اليدين...ومهما علت منازله يقتصر فى النهاية على بعض كلمات تخطها اقلامه أو اقلام محبيه...تلاقى مصيرها بالقطع او الحرق او الضياع...حتى وان كتب لها الخلود...فلا زالت تقتصر على كونها مجرد كلمات تتناولها بعض الألسن فى اوقات سمرهم وفراغهم...ينساها من ينساها ويرددها من كان لها من الذاكرين...وبين النسيان والتذكر...تظل مجرد كلمات...لا أظننى مالكا للمزيد من الكلمات...يكفينى ما بذلت من دموع فاقت بذل السطور بأضعاف...حسبى ما نزفت من دماء تخطت نزيف الأحبار بفارق بعيد...هو البذل لأثمن ما اقتنيت والنزيف لأغلى ما امتلكت على مدار سبعة عقود أو يزيد.

الراحل غدا أو بعد غد الى عالم الأموات حيث أحبابه الغائبون:

(وحيد محمد المصرى)

كم فى الخلائق من عبر وآياتٍ   هى الحياة سعادات وأشجانُ

تجرى السنون بما لا تشتهى نفس   وتعود يكسوها صبر وسلوان

كانت لنا بفيافى الحزن رحلات   ونعود يجمعنا بجمال الفرح أفنان

ياأيها الذى لا يقوى على جزع   صادق بصدق فالاخوان أعوان

قالوا قديما ان الموت هادمٌ   هو القضاء فكن للخير عنوانُ

حملت لياليك لصحف اليأس أحبارا   عاند وقاوم فللآمال ألوانُ

لا تأسفن على يوم حزنت له   ستعيش زمنا لن تشهدك أزمانُ

نعلو ونطغى وغرور النفس قائدنا   يا للضلال سيبقى الاسم انسان

عصير الكتب
fb.com/Book.juice

عصير الكتب
fb.com/Book.juice

عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

هذا الكتاب حصرى على جروب عصير الكتب

انضم الينا لتحصل على كل ماهو جديد

follow me : facebook.com/OmaR.1.Bs